
نهاية المشير عامر ومن معه
العشاء الأخير للمشير
اسرار هزيمة ١٩٦٧
سر محمد حسنين هيكل
اقوال شمس بدران وصدقي محمود
عبد الصمد محمد عبد الصمد
تهريب مذكرات عبد الحكيم عامر
Bibliotheca Alexandrina
0169172

العشاء الأخير للمشير

بقلم

عبد الصمد محمد عبد الصمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد ربى الذى أتاح لى أن أكتب صفحة من أهم ـ ان لم تكن أهم ـ صفحات التاريخ الحديث لمصرنا الحبيبة .. وهى قصة نهاية عبد الحكيم عامر ومن معه .

وقد أوشكت هذه القصة السياسية الانسانية أن تختفى من صفحات التاريخ وكأنها لم تحدث ولم يكن لها أسباب وضحايا ونتائج .

ولو اختفت ولم تكتب الآن لكتبت للاجيال القادمة من خيال كل مؤلف وأصبحت أقل واقعية من القصص الفرعونية !!

وكان يجب أن أنشرها عقب الغاء الرقابة على الكتب الذى أعتبره النافذة الوحيدة التى تستطيع الحقيقة أن تطل منها سافرة ومضيئة .. ولكن كانت امكانيات النشر عندى غير متاحة فلما شاءت رحمة ربى أن يكون فى حياتى شعاع من نور يخفف من قسوة ظلم رهيب ويبدد ظلام ليل أسود طويل أسرعت فى نشرها لعلى أترك فى بلدى أثرا يفيد الحقيقة والتاريخ .

وقد يكون من مميزات هذا الكتاب انفراده بازاحة الستار عن أسرار خطيرة أظهرت كثيرا من الحقائق التى كانت ستختفى وتضيع الى الابد .

كذلك فهو ليس مذكرات ادعاء بطولات وانما اعترافات لا تنقصها الصراحة التى تصيب أول ما تصيب كاتبها !! وان كان للقصة طابع المذكرات فلانى أكتبها من واقع أيامى فيها وأحاول أن تكون بترتيب زمن أحداثها .

فان أساءت الحقائق بعد هذا الى احد أو احسنت ـ فلا ذنب لى فى

اساءة ولا فضل لى فى احسان ـ المهم هو الحقيقـة لا من تصـيبهم الحقيقة .

وقد رأيت ألا تبقى القصة سجينة أيام أحداثها لان وقائعها مرتبطة بأحداث أخرى سابقة ولاحقة توضحها ولان الايام السـابقة عليها والتى كانت بعدها ولبضع سنوات كانت تعيش فى صمت رهيب وظلام موحش كئيب فكان يجب وأنا أفتح فمى بحرية كاملة لأول مرة أن أتكلم بالقـدر الذى يسمح به حجم الكتاب .. وأتيح للقارىء والتاريخ بعض الرؤية فى ذلك الظلام المخيف .

وبقى أن أعتذر عن هذه السوابق (جمع سابق) التى قدمت بها اسمى كى يعرف من لا يعرفنى من القراء صلتى بالقصة فيقتنى الكتاب .. ذلك انى أؤمن بأن الانسان لا يقيم الا بشرفه وصدقه . وسلوكه فى الحياة .

وكان فضل الله عظيما ..

عبد الصمد محمد عبد الصمد

مقــــدمات الحرب

كنت من بين أعضاء الوفد البرلمانى الذى سافر الى موسكو فى ١٧ ابريل سنة ١٩٦٧ ·· وتركنا القاهرة وليس فى الجو السياسى احتمال نشوب معارك خارجية جديدة سواء مع اسرائيل أو مع غيرها فقد كنـــا نعيش فى معاركنا الكلامية الاذاعية مع معظم دول العالم وبأشــد عنف مع اخواننا العرب !!

وكان عندنا معركة اليمن العسكرية ونعانى من النزيف المالىالمستمر وننتظر معجزة تخرجنا من هذه الورطة غير ذلك الحل الاحمق الذى كان مطروحا لتنفيذه فى وقت كنا نخشى أن يكون قريبا وهو الدخول فىحرب مع الشقيقة السعودية !!

هذا غير معاركنا الداخلية المستمرة وهى أول معارك من نوعها اذ أن الحاكم هو الذى كان يثيرها ويشعل نار الفتنة والاحقـــاد بين فئات الشعب بخطبه وتصريحاته وقراراته المرتجلة والتى بلغت ذروتها بقيـام لجنة تصفية الاقطاع بارهابها المخيف ··

المفروض أن من صالح أى حكم أن يسود السلام والحب والتعاون بين جميع أفراد الشعب ·· ولم يكن موضوع مرور السفن الاسرائيلية فى خليج العقبة مثارا حينما كنا فى موسكو وكيف يثار أمر لم تبحثه القاهرة بعد ؟ ·· وكل ما ذكره بدجورنى فى لقائه معنا هو أن روســيا ستقف بجانب سوريا اذا اصطدمت مع اسرائيل لخلافهما حـــول المياه (بنص تعبيره) ·

وعدنا الى القاهرة فى ٤ مايو ولم تكن العاصفة هبت ولا بوادرها ظهرت فى الجو ·

وقابلت المشير عامر وسألته كيف تكون روسيا الدولة الثانية الكبرى فى العالم وقد شاهدت مظاهرة من حولى قامت لفرجة على (الولاعة الرونسون) لما أشعلنها ؟!! فضلا عن أن معظم صناعاتنا المصرية متقدمة عن مثلها عندهم بخمسين عاما على الاقل !! فقال ببساطة قول للريس !!

ثم هبت العاصفة الهوجاء وهدأت (فى رأيى) وأصبحت نسماتها تنشينى بالامل بعد أن عقد عبد الناصر مؤتمره الصحفى الشهير وراح يجيب على أسئلة أجهزة الاعلام بثقة كبيرة بلغت حد التعالى والسخرية من بعض أسئلة التحذير !!

وقال انه اختار الزمان والمكان ومن قبل كان يدفع الى المعارك بدون اختياره ورحب بالحرب قائلا أهلا وسهلا !! وأعلن أنه وضع فى تقديره اسرائيل ومن وراء اسرائيل !!

ولم يكن عندى شك واحد فى المليون فى أن قضية فلسطين حسمت وانتهت !! فاما أن تكون حربا تلقى اسرائيل فيها حتفها واما أن توقع على شروط الصلح التى نمليها عليها !!

ولم تكن ثقة عشوائية وانما تصورت انى كسياسى بسيط ولا بد أن يكون عبد الناصر أكثر منى فهما وذكاء ودهاء بألف مرة على الاقل !! فتكون هذه الزوبعة مرسومة ومتفقا عليها مع أمريكا !! للسبب الذى كان يعرفه أعضاء مجلس الامة ولا بد أن يكونوا أذاعوه فى كل البلاد .. فقد زار رئيس مجلس الامة (السادات) أمريكا فى عام ١٩٦٦ قبل المعركة بأقل من عام وعاد ليحذر عبد الناصر من أن (جونسون) فى قمة غضبه وأنه (الرئيس السادات) يعتقد أنه سيضربنا !!

فبعد أن رحب جونسون بهذه الزيارة قال انه يدهش من موقف مصر من أمريكا التى تقدم لكم قمحا قيمته ٨٠ مليون دولار ولا تطلب جزاء أو شكورا ولا اتخاذ أى موقف لصالحها .. ثم نسمع فى كل مناسبة وكل خطبة لرئيس مصر وابلا من الشتائم !! فهل أقول لدافعى الضرائب من الشعب الامريكى أننى أرسل هذا القمح ثمنا لهذه الشتائم!

وأبلغنا (السادات) بهذا فى اجتماع اللجنة التنفيذية للهيئة البرلمانية ولم يكن مطلوبا منه أن يبلغنا بهذا التحذير اذ أنه لم يسافر بصفته رئيسا لمجلس الامة ٠٠ كما أن أعضاء هذه اللجنة من رؤساء المجموعات البرلمانية في المحافظات كانوا ينقلون ما يدور فى اجتماعات اللجنة الى باقى الاعضاء ٠

وبفهمى البسيط تصورت أن عبد الناصر لا يقدم على أخطر عمل كهذا الا بعد أن يكون سوى موقفه مع أمريكا ٠٠ وبنفس هذا القدر من الفهم تصورت أن أمريكا اتفقت معه على اتخاذ هذا الموقف كى تفرض الشروط (المتفق عليها معنا) على اسرائيل ٠٠ لنقيم صلحا دائما وعادلا بيننا ٠٠ لصالحها وصالح كل العالم ٠ وأن عبد الناصر بذكائه ودهائه أخفى هذا الامر عن روسيا وتركها تقوم بألاعيبها كما تشاء !!

ولم يخف عنى أمر الشتائم الجديدة التى قرأتها فىخطابأول مايو والموجهة لامريكا ٠٠ فقد اعتقدت انها بالاتفاق مع الامريكان لزيادة اتقان اخفاء الامر عن روسيا واسرائيل !! كما قيل أنه حدث بالنسبة لصفقة الاسلحة الاولى مع تشيكوسلوفاكيا وايماء السفير الامريكى له بأنيهاجم أمريكا وهو يلقى بخطابه عن هذه الصفقة !!

وأعتقادى أنه لا يمكن لاى فهم آخر أن يفهم غير هذا الفهم ٠٠ لان الفهم المضاد يكون معناه استفزاز أمريكا لضربنا ثم اعطائها الفرصة باتخاذنا هذا الموقف !!

كذلك كنت أعتقد أن اجتماعات القادة العسكريين واجتماع عبد الناصر والمشير بهم ليس الا لذر الرماد فى العيون ولاتقان تنفيذ الاتفاق السرى مع أمريكا والذى لا يعلم به غير الاثنين وشاركهما هذا العلمشمس بدران وزير الحربية ٠

مع وزير الحربية للثانية صباحا !!

وقبل اندلاع الحرب بثلاثة أو أربعة أيام اتصل بى شمس بدران فى نادى الزمالك وسألنى إذا لم يكن عندنا مانع ليحضر لتتناول معنا

العشاء فى هذه الليلة فأجبته بأننا سوف ننتظره فى الساعة الحادية عشرة فى روف النادى حتى يكون معظم الاعضاء قد انصرفوا •

وكان قد اعتاد العشاء فى هذا المكان وفى مثل هذا الموعد قبل أن يتولى وزارة الحربية •• وفى ليلة أدائه لليمين الدستورية بعد تعيينه وزيرا قال للفريق سعد متولى كبير الياوران ونائب رئيس النادى الذى حضر القسم بحكم منصبه أنه سيأتى الليلة ليتناول معنا العشاء كالمعتاد !! وذلك (كما أعلم عن شمس) ليرضى شعوره بأن منصب الوزير لا يزيد من مكانته ولا يغير عاداته وقد حمدت له هذا الشعور •

وفى تلك الليلة لم أدهش لحضوره وصحافة العالم ملأى بنذر الحرب فكما ذكرت كنت أعتقد أن هذه الحرب لن تقع بأى حال ••وجاء شمس وكنا أربعة نتناول العشاء ونتحدث فى الحديث الذى لا حديث غيره •• كان هو وسعد متولى وحسن عامر شقيق المشير ورئيس النادى وأنا ••

وأثناء العشاء أظهر كل واحد منا اعجابه بل انبهاره (بصلاح الدين الحديث) وهو الاسم الذى أطلقناه على عبد الناصر •• وكان اجماعنا أن الاقدار أرادت أن يخرج من مصر زعيم يعيد فلسطين الى أهلها ويرد كرامة واعتبار العرب بدون قطرة دم تراق !! وأن سياسته فاقت كل تصور وذكاءه فوق العبقرية بل انه الهام ! وقال حسن عامر أنه رأى أخاه فوجده فى أكمل صحة وأبهى اشراقة وابتهاج !!

وقال شمس أن بعض دورياتنا العسكرية تجتاز حدودنا وتتحرش باسرائيل لعلها تستفزها فترتكب حماقة وتخطىء الخطأ الاول والاخير فى حياتها وتبدأ باطلاق النار !!

وأستمر حديثنا بل سمرنا وسعادتنا حتى الساعة الثانية صباحا تقريبا وازداد يقينى فى صدق فهمى السياسى البسيط !! فليس من المعقول أن يسهر وزير الحربية (وهو ليس كأى وزير آخر) حتى هذا الوقت مع وجود أى احتمال فى أن جيشه سيحارب !!

اضواء اخرى حول الحقيقة !!

كان من المعلومات البدائية فى العلوم العسكرية والتى عرفتها باختلاطى ببعض العسكريين أن الجندى الذى يقاتل فى مكان ما ويهزم فيه لا يجب أن يعود ويقاتل فى نفس المكان مرة أخرى ·· وقد استدعى عشرات الالوف من جنود الاحتياطى الذين حاربوا فى سيناء فى عام١٩٥٦ وهزموا وعادوا من الصحراء سيرا على أقدامهم وفى حالة تعسة ·· وقد حشدوا وأرسلوا بغير تدريب أو استعداد الى سيناء !! فهل من المعقول أن تجهل قيادتنا هذه المعلومة أم أن الامر مجرد مظاهرة وتمثيلية كما فهمتها ؟!!

وذهبت مع أعضاء مجلس الامة الى القصر الجمهورى فى كوبرى القبة نبلغ عبد الناصر بالتفويض الذى أعطاه له هذا المجلس ·· ورغم اشتعال الحماس وارتداء أعضاء المجلس عن محافظة البحيرة الملابس العسكرية (!!) فأنا لم آخذ كل هذه الامور بجدية وداعبته وأنا أسلم عليه بالنسبة لسؤال الصحفية الانجليزية له عن سنه وشبابه !!

وخطب فينا وقال انه علم بهذا التفويض قبل حضورنا (!!) ربما ليعطينا دليلا على الصراحة (!!) ثم قال ان الروس أعطوا الوفد البرلمانى تأكيدا بأنهم سيقفون معنا الخ (الوفد الذى أنا منه ولا أعرف شيئا من هذا الذى أسمعه !!) واعتبرت هذا أيضا قرينة أخرى للتمويه على الروس واسرائيل معا !!

ورغم دهشتى من أن هذا الكلام يلقى فى وجوهنا فقد ازدادت الدهشة فى خلال دقائق لما أعلن أن شمس بدران عاد من موسكو يحمل تأكيدا جديدا وشديدا عن موقف الروس معنا !! فأنا أعرف أن شمس آخر مصرى يمكن أن يفاوض أحدا لانه لا يجيد الاحاديث السياسية التى تحتاج الى لباقة واقناع واجادة وغزارة علم بالسياسة الخارجية !!

وأعتبرت هذا أيضا دليلا جديدا للتمويه على الروس والعالم كله ما عدا أمريكا اذ لو كان الامر جديا لاختار أى مفاوض غير شمس !!

السر الرهيب

واذا كان ما تصورته من وجود اتفاق سرى بيننا وبين أمريكا قد انهار بعد وقوع الكارثة فقد بقى ما يجعل الفهم صحيحا ومستمرا فى وجود سر ما ولغز ما يفسر تلك التصرفات التى يستحيل قبولها عقلا اذا لم يوجد هذا السر والذى لا يعلمه غير عبد الناصر والمشير والذى أعتقد أنه من أهم أسباب ضياع عبد الحكيم عامر وضياعنا معه دون أن نشترك معهما لا فى الاسرار ولا فى الهزائم !!

وبسبب هذا الفهم بذلت جهدا مضنيا فى البحث عن هذا السر أو الاسرار التى أدت الى هذه الكارثة التى دهش لها العالم أجمع ٠٠ وكان بحثى بالطبع عند المشير وسيرى القراء فى توقيت أحداث القصة محاولاتى معه وما حصلت عليه ثم التصرف الخطير والاخير له ٠

ولا أريد الا وضع الحقائق أمام الباحثين عنها وأمام لجنة تحقيق أسباب الهزيمة وأمام كل مصرى يهمه تاريخ بلده كى لا تتكرر مثل هذه المأساة الاليمة التى لولا حرب أكتوبر لبقيت فى جبين مصر بقعة سوداء لا يمحوها الزمان ٠

ولم يكن ما سبق ذكره الا نتيجة فهم خاص لم أشرك معى أحدا فى بحثه ولم أسأل عنه أحدا فقد فهمته بقدر ما كان عندى من معلومات سياسية وبفهم المدنى العادى للمسائل العسكرية ٠

وكان يجب أن أفهم أكثر وأتأكد من هذا الفهم أكثر وكان يستحيل أن أصل الى ما وصلت اليه لولا المصادفة ٠٠ وأترك الحديث عن هذا السر حتى أصل الى توقيته فى القصة واذا غمض على القارىء فهم موقف ما فى أحداث القصة فان هذا السر سيجلو هذا الغموض فقد رأيت أن أكتب القصة بشعورى وفهمى للاحداث وقت وقوعها لا بعد توقيتها كى أصف مشاهد رأيتها لا قصة ألفتها فوصف الواقع طبيعة سهلة لواقع بسيط أما وصف حدث ما كما رأيته وفهمته ثم بعد رؤية جديدة وفهم

جديد فهذا يكون تأليفا وأى تأليف سيكون صناعة وخيالا لاجادة حبكة أو تنسيق مشاهد وفوق أنه أمر شــاق فهو قد يبتعد عن الحقيقة البريئة البسيطة .

وقد شق على فهم مواقف عديدة فى القصـــة ثم فهمتها بعد أيام وأسابيع وقد رأيت من هذا التنويه ألا يقع القارىء فى المعاناة التى عانيتها وأنا أتساءل لماذا حدث هذا أو لماذا قال فلان هذا .. ثم فهمت الاجابة فيما بعد .. وقد عشت أيام هذه القصة كما كنت أعيش بشعورى وأنا أقرأ قصة بوليسية ولكن المصيبة أنى وجدت لنفسى دورا دون قصـد ودون ارادة حتى دون أن أعرف حتى الآن ماذا كان دورى فى القصة !!

واذا كنت لم أذكر هذا السر مع صفحات الحـديث عن الحرب ليكون الحديث متصلا ومتكاملا فذلك لانى لا أدرى وأنا أكتب فصـول هذا الكتاب ان كنت سأجمعه مرة واحدة فى طباعة غالية ولا تتوفر الا فى القطاع العام أو أنى سأطبعه بالطباعة التقليدية العادية وهى الجمع باليد فى مطبعة صغيرة حيث يطبع الكتاب فى ملازم وتبقى الملزمة الاولى قرابة الشهر معروفة ومقروأة من عمال الطباعة وصاحب المطبعة ومن المترددين عليها فتذاع أهم أسرار الكتاب قبل وصولها للقارىء .. ولهذا ألغيت هذا السر حتى الملزمات الاخيرة التى تطبع قبل التوزيع مباشرة .

علم أم حلم ؟!

فى ٢٣ يوليو من عام الهزيمة استمعت لخطاب عبد الناصر فى قاعة جامعة القاهرة وسمعت قوله أنه توقع ضربة اسرائيل وحـدد لها يوم خمسة الذى ضربنا فيه فعلا !!

وبالرغم من أنه كانت عندى حصانة ضد الدهشة لتوقعى لاى عجب وكل عجيب فى تلك الحياة .. الا أننى لم أتحمل ألم الدهشـة من هذا النبأ !! ومع احترامى لمن أيدوا هذا الكلام أو صـــدقوه فانى أكتب ما سمعته وفهمه عقلى ويفهمه كل عقل وأى عقل !!

فقد كان شمس معنا قبل هذا الموعد بأربعة أو ثلاثة أيام كما ذكرت فهل وزير الحربية لم يعلم من القائد الاعلى بتحديده لموعد الهجوم ؟! أو علم به ولم يعبأ ؟! أحسب أن الامرين يستبعدهما العقل !! وبالرغم من هذا فقد خرجت عقب هذا الاجتماع وذهبت على الفور الى المشير الذى أستمع الى الخطاب .. فأنكر هذا الكلام وقال ولماذا تركنى أحلق بطائرتى صباح هذا اليوم فى سماء سيناء ؟!! ولماذا ترك الوزير العراقى مع حسين الشافعى فى طائرة أخرى تحلق أيضا فوق سيناء ؟!! وكان معنا بعض الاصدقاء فتساءلوا عن السبب الذى جعله (وهو الرجل العسكرى والقائد الاعلى للقوات المسلحة) لا يذهب الى غرفة العمليات فى القيادة ويتولى مقاومة هذه الضربة التى حدد تاريخها ؟! (كما حدث فى حرب أكتوبر) وكانت المفاجأة التى ظنتها اسرائيل ستتحول الى مفاجأة ضدهم تسبب لهم خسائر جسيمة وتفسد خطتهم ؟!

وهل المشير وشمس وباقى القادة العسكريين سمعوا كلامه ولم يعملوا شيئا أو يأبهوا به ؟!!

وهل يعقل ان يستهين هؤلاء جميعا بأقوال عبد الناصر وهو فى ذلك الوقت فى قمة زهوه ؟!!

هل يعقل أن عبد الناصر بشخصيته المسيطرة لا يطيعه أحد ولا يستطيع أن يفعل شيئا وهو على يقين من أن بلده ستضرب فى هذا اليوم ؟!! وهل وقف عاجزا (بعد أن عصاه الجميع) يتفرج على طائرات اسرائيل وهى تضربنا ؟!!

ثم من أين جاءه هذا العلم ؟ آن كان علما أكيداً فكيف يا ربى يقف رئيس دولة حتى لو كان مدنيا هذا الموقف السلبى ؟! ولماذا لم يحاكم هؤلاء الخونة الذين عصوه ليدمروا بلدهم ويعدمهم رميا بالرصاص فى نفس اليوم ويعزلهم ويتولى هو القيادة قبل الموعد بساعات على الاقل ؟! أم كان علمه هذا ظنا لم يتمسك به ؟ وحتى لو كان ظنا فقد كان يجب أن يكون فى غرفة العمليات من قبل فجر هذا اليوم !! وقال أحد الحاضرين

لا بد آنه رأى فى نومه هذا الحلم ولم يصدق أحلامه الا بعد أن صدقت فأعلنها !!

وحينما فتحت نافذة تضىء منها الحقائق ظهر أنه قال للبغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم أن اسرائيل غير مستعدة للحرب الا بعد سبعة أشهر .. فهل يتفق هذا القول مع هذا التنبؤ أو الحلم !!

انها مصيبة الذى يخطب وحده .. ويتكلم وحده ويقتنع بما يقوله وحده !! حتى بعد موته بستة أعوام وأصل المستفيدون من هذا التهريج تهريجهم فنشر أحدهم أن القائد الملهم أغلق على نفسه باب حجرة مكتبه أثناء المعركة ليتصل بأصدقائه الشيوعيين ويطلب نجدة من الطائرات .. فلما حصل عليها (بعد ثلاثة أيام) خرج من صومعة العبقرية ليسأل عن أخبار المعركة فوجد النجدة لا تفيد !!

ثلاثة أيام لا يفكر القائد الملهم فى السؤال عن أخبار المعركة ولو من باب الفضول ؟!! فهل سمع أحد فى الدنيا تهريجا كهذا التهريج ؟!

الضربة الاولى

قبيل بدء الحرب نشر هيكل أن مصر لن تبدأ بالضربة الجويةالاولى وستكون لها الثانية !! وغضب المشير والقادة العسكريون غضبا شديدا وقيل لتبرير هذا النشر أن اسرائيل ستعتقد أنه خدعة !! وقال المشير وهل اسرائيل من السذاجة والغباء بحيث لا تفهم هذه الخدعة الساذجة !

وكانت الخطورة أن هيكل نشر هذا القرار الذى اتخذه عبد الناصر لاعلان انتصار رأيه على معارضيه وهم المشير وصدقى محمود وضباط الطيران وسوف نذكر تفصيلات أكثر عن هذا القرار فى فصول آتية من الكتاب ..

وقال لى اللواء عثمان نصار وهو الصباغ عثمان نصار الذى نصح ليوزباشي) جمال عبد الناصر بالسؤال فى منقباد المنقول اليها عن الملاز

أول عبد الحكيم عامر واتخاه صديقا له !! وكان جزاؤه السـجن عشرة أعوام على هذه النصيحة التى كانت غالية فى تلك الايام !!

قال لى فى بيت المشير فى الجيزة أمام بعض زملائى من المنيا أن اجتماعا كبيرا عقد فى سيناء برئاسة عبد الناصر وحضره المشير وكبار القيادات العسكرية ·· وقال الفريق صدقى محمود لعبد الناصر أمام كل هذا الجمع أنه لا يستطيع تحمل الضربة الاولى ويخشى أن يحدث له ما حدث فى حرب سنة ١٩٥٦ بل وحدد العبارات التى قالها فقال ان الضربة الاولى ستكون كارثة ومصيبة وتسبب له شللا تاما بل وعلى وجه الدقة والتحديد عبر عن هذا الشلل بالانجليزية وقال انه (كريبلنج) !! وفى فصل آخر قصة أخرى عن هذه الضربة وشهود آخرون ·

وقال الفريق صدقى ان هذا ليس ذنبه وأنه طالب مرارا باعتمادات مالية لانشاء (مخابىء) وربما تعبير فنى آخر لحماية الطائرات وهى على الارض كما طالب بأجهزة الرادار الخاصـة بالطيران المنخفض ولم تجب مطالبه ·

وقال له عبد الناصر انه يجب أن يخضع للقرار السياسى ويقوم بحراسة جوية بتحليق طائراتنا فى الجو لتلافى طائرات العـدو فى أى هجوم مفاجىء ·· فرد صدقى بأنه لو كان يعرف المدة التى تحلق فيها الطائرات لنفذ هذا الامر ·· أما أن يأمر بهـذا التحليق ولتوقيت غير محدود فمعناه استهلاك موتورات طائراتنا ولا اختـلاف فى النتيجة واستهلاك موتورات الطائرات وهى فى الجو كضربها وهى فى المطارات ·

وقد أشاد هيكل بكفاءة الفريق صدقى وقت اشتداد الحملة ضده وكتب له شهادة قائد الطيران الإسرائيلى بأن صدقى من أكفأ من عرفهم من رجال الطيران فى العالم فكيف ارتكب هذا الخطأ البديهى المنسـوب اليه ؟

وكان التفسير الذى سمعته فى المعتقل أنه يستحيل أن ينشر هيكل رأيا كهذا لا يرضى عنه عبد الناصر وأنه مقال موحى به ·· ولم يغب عن

المفسرين أن عبد الناصر لا يهمه براءة صدقى لشخصه ولكن يهمه تخفيف السخط الذى عند الشعب وكان وقتها يطالب باعدام الفريق صدقى ٠٠ وكان عبد الناصر يخشى من غضب الذين سـيعلمون بالحوار الذى دار بينه وبين صدقى وسوف يكتشفون الظلم الرهيب الذى سيقع عليه فمثل هذا الحديث الذى سمعه عدد كبير من الضباط لن يبقى سرا الى الابد ٠٠

ماذا قال صدقى محمود ؟

وكان الفريق صدقى معنا فى سجن القلعة وكان قد تقرر تقديمه للمحاكمة والشعب كله يطالب برأسه ويعتقـد أنه وحده المسئول عن الهزيمة ٠٠ وذاعت قصص وحكايات ونكت حتى كتب موظف فى مكتب سامى شرف فى ١٢ ابريل سنة ١٩٧٦ فى مجلة كبرى متأثرا بما سمع لا بما يعلم فلم يكن هؤلاء الموظفون يرون أكثر من الاوراق الموضوعة فوق مكاتبهم !!

قال ان شريفة ماهر ليلة ٥ يونيو المشئومة كانت تغير ملابسها فى غرفة عمليات سلاح الطيران وتنقد طريقة صف الطائرات !!

ولم أعجب من ثبات وهدوء الفريق صدقى بالنسبة لما سمعته فى ببيت المشير ٠٠ وكنت أراه من بعيد ولكن لا أستطيع الحديث معه ولا هو يستطيع السلام على !! ولم أكن أدرى هل كانت ادارة المعتقل تخاف من أن أمده بمعلومات فنية تفيده فى القضية ؟!

وكان الذى يؤلمنى ولكن يدعو الى التأمل العميق هو أن الفـريق صدقى (وزملاءه) كان يمر بنا فى طريقه لاخذ حمام يقع بجانبنـا فى الجناح الذى وضعونى فيه ٠٠ وكانوا يغلقون علينا أبواب الزنزانات قبل مرورهم وأقول للمخبر يا ابنى يتقفل علينا ليه لا فيه حريم فى الزنزانات ولا فيه ستات فايتين ؟! لكن أقول لمين ؟ لا يرد على حتى بأنها أوامر !!

والذى كان يدعو للتأمل العميق هو معاملة الفريق للمخبر (كامل) الذى يحرسه ليمنعه من الكلام مع أحد أو السلام على أحـد ٠٠ وكان

الفريق وزملاؤه يحافظون على كرامتهم فلا يخالفون التعليمات حتى لا يتدخل المخبرون بالتنبيه أو التأنيب !!

واذا كان شعور الضابط الكبير يمكن أن أجد بعضه فى نفسى وأنا ألقى معاملة أسوأ بكثير جدا من معاملة المخبرين لكبار الضباط فان الذى كان يدعو الى تأمل أكثر هو شعور هذا المخبر الذى كان يدخن السجائر الكنت والكرافن يأخذها من زنزانة الفريق الذى كان يدخلها بلا استئذان ويأخذ أى شىء بلا استئذان بل ان المعتقل كان يسعده أن يرضى عنه المخبر ويرفع معه التكليف !! وفى الوقت الذى كان يقف فيه المخبر مذعورا ليضرب تعظيم سلام لضابطه فى المعتقل برتبة نقيب كان يثقل سمعنا ومعنا اللواءات والفرقاء بنكاته المبتذلة السخيفة والمعادة ونفتعل الضحك حتى نرضيه !

وفى هذا الهوان كان البعض منا ينفذ صبره فيتحدى بالدفاع الصريح عن نفسه واتهام غيره والبعض كان يلزم جانب الحذر والحكمة وكان منهم الفريق صدقى الذى التقيت به يوما وأغمض المخبر عينيه لحظات وسألته عن موقفه فى القضية فقال لى انه قال لابنه الوحيد كل الحقيقة وطلب منه أن يرفع هامته ويثق فى أن أباه برىء ولم يهمل أو يخطىء

واكتفيت بهذا الايجاز فهو لا يقل عن أى تصريح صريح ·· فهل يتكلم الفريق صدقى بعد ظهور هذا الكتاب الذى أرجو أن يقرأه ويرى فى صدوره دليلا قاطعا على أن الحرية واقع فى أيامنا وليست مجرد كلام

وجاءت البشرى !!

وجاءت البشرى فى التاسعة والنصف من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو المشئوم ومن أبناء الجيران الذين كنا نسميهم بالاقطاعيين والرجعيين وهم لا يحتملون السعادة من سماعهم لعدد الطائرات التى اسقطناها ويملأون الشارع بدوى البمب يعبرون بضربه عن سعادتهم فى وطنية صادقة تكتسح تلك الشعارات الغوغائية والبلهاء التى لم يكن لها هدف

الا تفرقة الشعب واثارة الاحقاد وافتح الراديو وأنا أقول لاسرتى ٠٠ الحمد لله لقد جنت اسرائيل !! وجنت على نفسها براقش ! واستمع للبلاغات العسكرية في طرب وسعادة ونشوة ٠٠ فقد تحققت أمنية وزير حربيتنا الهمام ؟!

وقبيل الظهر يتصل بى زميلى المرحوم عامر ابن عم المشير من مكتب شخصية كبيرة (واعتذر عن ذكر الاسم) ويقول لى لقد اسقطنا حتى الآن ما بين ثلث وربع طائرات اسرائيل !! وأسأله هل أحضر عندكم؟ ويجيبنى بأن أبقى مستريحا فى بيتى أستمع فى اطمئنان تام الى بلاغاتنا العسكرية !!

وفى الساعة السابعة مساء والسعادة الغامرة لا تجعل سمعى يفارق الراديو لحظة تجيئنى محادثة تليفونية من صديقى الفريق سعد متولى ليطمننى بأن الموقف عال العال !! وأسأله من أين تتكلم ؟ فيقول لى من مكان ما وأفهم أنه مع عبد الناصر بحكم منصبه وأشكره راجيا أن يكلمنى منى وصلنا تل ابيب !!

وبعد ساعتين يتصل بى من سمالوط مصطفى عامر أخو المشير ويسألنى فى مراره وتهكم ان كان عندنا عيش فى القاهرة ام يرسل لنا كمية منه ؟! وأقول له ما هذا الهذيان ؟ وأنقل اليه سعادتى واطمئنانى ٠٠ ويبدو انه ارتاح لكلامى خاصة لما سألنى عن سبب اطمئنانى فقلت له ما (أقدرش أقول لك فى التليفون) فنقل الىمن حوله هذا التفاؤل ٠٠ وقال لى على كل حال اخوانك بيقولوا لك انت مكانك فى المنيا مش فى الدقى ! ويطلب منى باسمه واسم زملائى أن اكون فى الغد فى المنيا لاطمئن اخوانى المواطنين

وأمضيت كل أيام الحرب فى بلدة المشير (اسطال) مع أخيه مصطفى حيث نشترك فى شعور واحد وننتظر مكالمة من أحد الضباط فى القيادة ولا تأتى كما حدث فى حرب سنة ١٩٥٦ وكنا نقول أنه اذا نجونا منها فستكون آخر مغامرة لنا غير محسوبة !!

وأعطيت المواطنين فى المنيا أملا وتفاؤلا وصـدموا فى تصريحاتى واعتبروها (فيما أحسب) أكاذيب محترفى سـياسة ولم أكذب عليهم وانما كنت لا أتصور أن زعيمى يلقى على سمع الدنيا تصريحات وتأكيدات بأنه حدد زمان ومكان المعركة وحسب حساب اسرائيل ومن وراء اسرائيل ونسى أن هناك طيرانا منخفضا ورادارا خاص به وأنه ليس عنـده جهاز واحد منه !! .. لم أتصور أن كل هذا الدوى الذى وصل لكل مكان فى العالم لم يكن الا مظاهرة عسكرية دخلت فيها أسلحة بصناديقها وخرجت من الصناديق لتعرض فى ميادين وشوارع اسرائيل !!

ولا أدرى هل توقفت العقول فلم تلاحظ أنه فى مؤتمر للاتحـاد الإشتراكى وبعد عامين فقط من هذا المؤتمر الصحفى التاريخى خطب عبد الناصر معلقا على قيام احدى الطائرات الاسرائيلية بضرب أهداف فى نجع حمادى .. فقال بثقة أشد وصـوت أعلى مما كان فى ذلك المؤتمر (فيه طائرة اسرائيلية تمكنت من دخول مجالنا الجوى وضربت بعض الاهداف .. والحكاية دى مش ح تتكرر ولو دخلت طائرة ثانية مش ح ترجع !!

والتهبت أكف المؤتمرين بالتصـفيق !! نفس الاكف التى التهبت وهى تسمع تصريحاته فى ذلك المؤتمر القريب !!

ثم توالى دخول الطائرات الاسرائيلية لا فى نجع حمـادى أو فى الصعيد فقط بل وفى القاهرة وفوق بيت الزعيـم !! وضربت حلوان وعمال أبى زعبل وتلاميذ مدرسة بحر البقر ولم يقـل لنا الزعيم كيف دخلت ولا كيف خرجت !!

ولكن السادات بعد هذا الخطاب بوقت ليس بالقصـير زار بعض المحافظات وقال (ان أمامنا ستة أشهر عصـيبة لا نستطيع فيها تجنب ضرب الطائرات الاسرائيلية لاهداف فى العمق فاذا استطعنا الصمود هذه المدة فسوف نستطيع بعدها ضرب الاهداف العسكرية الاسرائيلية) !! ولا أدرى هل غضب الزعيم من هذا التصريح الصادق الذى يكذب تصريحه السابق .. أم أنه ارتاح لان الصدق عادة يصعب بل قد يسـتحيل أن نعتادها فى الكبر اذا فاتنا أن نتعلمها فى الصغر ؟!!

الاجتمــاع الثلاثى الخطير

بعد ما تأكد عبد الناصر والمشير وشمس بدران من ضياع كل أمل فى مواصلة القتال والخروج من المأزق بسبب واحد يبرر بقـــاءهم فى الحكم اجتمع الثلاثة وتدارسوا الموقف الذى كـان من الوضـــوح بحيث لا يحتاج لاى دراسة ٠٠ ولم يكن فيه غير معلومة واحدة كنت أجهلهـــا وعرفتها أولا من المشير وهو يحكى قصة هذا الاجتماع وبعد ذلك أصبحت معلنة رسميا لما طلب الرئيس السادات منا كرؤساء للمجموعات البرلمانية فى المحافظات ابلاغ باقى الاعضاء بتواطؤ روسيا مع أمريـكا فى الحاق هذه الهزيمة بنا ٠

ولا أنقل ما دار فى هذا الاجتماع بتفاصيله فما سمعته من المشير فى بلده وأمام شمس وثلاثة فقط من الاسرة وأنا كان موجـــزا وبعض الحوار ونتيجة الاجتماع ٠٠ وبما كان عندى من معلومات ومن أحـاديث أخرى للمشير أوضح الموقف كما رأوه وكما عرفته ٠

مــوقف اسرائيل

كان موقف اسرائيل لا يحتاج الى بحث ٠٠ انها تدخل حروبها معنا بدراسة وعلم وتخطيط وتضمن نجاح كل معركة قبـــل دخولها لا خطب ولا ابراز عضلات بدون عضلات ولا طنطنة وضجة وضجيج ٠٠ انهـــا تتظاهر بالضعف وتصرخ مستغيثة من أن خطر ابادتها يحيط بها من كل جانب لتكسب معاركها سياسيا قبل أن تدخلها وتنهـال عليها المعونات الاقتصادية من كل مكان ٠٠ وفى حرب الســـــويس خاضـتها بحماية انجلترا وفرنسا واشتراكهما معها .. وفى هذه الحرب اعتمدت على أمريكا وروسيا وعلى تهريجنا المكشوف !! فقد تصورنا أنه ليس فى العالم مفكر عسكرى واحد يفهم أنه لو كان عبد الناصر جادا فى هذه الحرب واختار الزمان والمكان كما أعلن لسحب السبعين ألف مقاتل من اليمن ليقـاتلوا من أجل بلادهم وفى بلادهم وعدوهم الوحيد !! واذا كنت أنا فهمت اننا لن نحارب ولكن نقوم بشىء أجهله وتصورته على قدر تفكيرى أفلييس فى

أمريكا (التى تصورت أنها هى التى أوحت لنا بهذه التمثيلية) من يعرف هذه الحقائق ؟!

وقد قال لى شمس بدران فى المعتقل أن الطائرات الامريكية التقطت صورا لمواقعنا بدقة بلغت حد أن الصامولة الصغيرة كانت تظهر فى الصورة !! قلت له لانى فقط قرأت وسمعت شيئا من هذا اعتقدت أنكم تقومون بهذه التمثيلية بايحاء من أمريكا ؟!!

وصمت الصمت الرهيب الحزين !!

وقد شاعت نكتة بعد الحرب عن القنابل المغناطيسية التى كانت تترك خدع هياكل الطائرات الخشبية وتبحث عن الطائرات الحقيقية لتدمرها .. وقالت هذه النكتة أن احدى القنابل كانت تبحث عن الفريق مرتجي قائد القوات البرية فوجدته فى النادى الاهلى فعادت كى لاتصيب المدنيين !! فأين كل هذا من جعجعة قائد يترك جيشا كاملا يحارب فى اليمن وهو الذى رفع شعار أن العربى لا يقاتل شقيقه العربى .. ثم ككل شعاراته كلام يكتبه هيكل ويردده هو ولا يطبق منه شعارا واحدا ويتشبه بهتلر فيقاتل فى جبهتين !!

انه لم يسحب جيش اليمن لانه كما قال لكمال الدين حسين يخشى أن يعود البدر الى بلده !! يخشى عودة البدر الى اليمن ولا يخشى (أو يهمه) أن تصل اسرائيل الى ضفة القناة وأن يصبح مليون مواطن مصرى من اللاجئين وبمثل عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين ترعاهم مؤسسات دولية ويرتمى هو فى أحضان روسيا وشعبها الاسيوى (كما رأيته) أسوأ حالا من اللاجئين ؟!! هذه احدى عبقريات زعيمكم يا من تسمون أنفسكم بالناصريين ؟! أفلا تخجلون ؟!

موقف امريكا

وكان موقف أمريكا واضحا كل الوضوح .. جونسون يريد ضرب عبد الناصر شخصيا بسبب شتائمه التى لم تعرف الدبلوماسية العالمية لها مثيلا فلم يخطب سياسى واحد فى العالم فى كل التاريخ ويشتم

الامهات !! وأى أمهات ! الامهات الشريفات اللاتى لهن فى نفوسنا مكانة مقدسة ؟!!

وكان المشير يعتقد أن جونسون حينما رحب باستقبال زكريا محيى الدين فى يوم الاربعاء ٧ يونيو كان يعلم أن اسرائيل ستضرب ضربتها قبل هذا الموعد بيومين ·· وذلك لزيادة التشفى ·· وليفرغ بعض غله وكبته الذى اختزنه طويلا والذى شعر به السادات أثناء زيارته لامريكا وحذر منه عبد الناصر ولكن مثلنا المعروف يقول (ساعة القدر يعمى البصر) ·· والقدر الذى كتبه الله كان عقابا لحاكم امتهن آدمية من حكمهم وأذل أعناق الرجال وأسال دموع النساء والاطفال وطغى وبغى وصعد دعاء المظلومين وأنين وبكاء النساء الى السماء يشكون لربهم استعباد عبد من عبيده لعشرات الآلاف من عبيده دون رحمة أو عدل أو منطق !!

كان موقف أمريكا واضحا وصريحا وهو عداء شخصى من رئيس أمريكا لموقف شخصى من حاكم مصر ولا عداء بين الشعبين ·· ولا لوم لموقف عدو صريح وانما الذى لا يغتفر هو خيانة روسيا الصديق ·· ولم يكن هناك أى شك فى أن فى يد أمريكا الضغط على اسرائيل لتجلو عن الاراضى التى احتلتها بسبب اندفاع وتهور الزعيم العبقرى الملهم !! وأنه لا أمل فى أن تقوم أمريكا بهذا الضغط ومعها الغرب كقوة أخرى ضاغطة مساعدة طالما بقى عبد الناصر فى الحكم وقد قطع العلاقات مع أمريكا ومعظم دول الغرب !!

ويقول المشير انه لا يفهم فائده تلك الشتائم التى كان يتأذى منها ويتألم ويتساءل هل كان يظن جمال أن أمريكا ستخاف من شتائمه وتتخلى عن اسرائيل ؟!! أو أنه يستطيع بهذه الشتائم أن يجعلها دولة صغيرة لا تفيد اسرائيل ؟!! ثم يقول وأهو شاف !! لا أمريكا خافت ولا صغرت!! واحنا اللى صغرنا !!

وموقف روسيا

أما روسيا الصديق الغادر فقد كان لدى المجتمعين من المعلومات ما يقطع بتواطؤ روسيا .. وحينما ذكر لنا المشير هذا النبأ ظننت أن فيه مغالاة لكراهيته المعروفة للشيوعية والشيوعيين .. ولكن أكده السادات وثبت هذا التأكيد في محضر اجتماع اللجنة التنفيذية للهيئة البرلمانية لمجلس الامة .. وسألت المشير عقب الاجتماع عن رأى عبد الناصر بالنسبة لاذاعة النبأ ولماذا لم يعلنه في خطبه أو تصريح قال انه يرى أن يذاع داخليا عن طريق أعضاء مجلس الامة ولا ينشر في الصحف أو يذاع لينقل في الخارج ..

وكان رأى المشير أن عبد الناصر يريد ألا يشمت فيه الزعماء العرب وباقي الزعماء ورجال السياسة ومنهم بعض الشيوعيين الذين حذروه من سياسة الروس !! وكذلك لانه قرر الارتباط لما لا نهاية بهذا الصديق الخائن !! وهو يحاول بهذا الاعلان المحدود أن يشعر به الروس فيحاولون تصحيح موقفهم ! كما يكشف عن سر عجيب وهو أن عبد الناصر لا يحب الروس بسبب ايدلوجية أو شيء من هذا .. ولكن لان بينه وبين رجال السياسة في الغرب نفور فالروس يتظاهرون معه بالتواضع وأحيانا بالجهل ليشعروه بالتفوق !! بينما الآخرون يتمسكون بكرامتهم وكرامة من يتعاملون معهم ولا يلجأون لهذه الاساليب !! ويضيف أن الذى يخون صديقه مرة يخونه مائة مرة وأنه وشمس قالا هذا الكلام لعبد الناصر في هذا الاجتماع .

كيف يتفق الضدان ؟!

وكان ما وصلوا اليه من نتائج يتطلب الاجابة على هذا السؤال اذ كيف يتفق الخصمان ؟

كانت حسابات أمريكا أنها بهذه الضربة تقول للمصريين (افهموها بأه ؟!) وهي تعتقد أن عبد الناصر سيستقيل وانها بعد هذا ستحصل على

قرار من مجلس الامن بجلاء اسرائيل عن جميع الاراضى التى احتلتها فى هذه الحرب ·· ومقابل هذا تعمل على تسوية شاملة للقضية الفلسطينية وعادلة تعيد لها مكانتها وصداقتها للعرب وتخرج روسيا خاسرة من المنطقة ·· وكانت تعتقد أن هذا المقابل سيسهل أمر حل القضية فلا يسمح للمتاجرين بها أن يرفضوا السلام والكلام والتفاوض والاعتراف ·· أما بالنسبة لاسرائيل فهى تعرف أسلوب التعامل معها ··

أما حسابات روسيا فكانت واثقة من أن عبد الناصر لن يستقيل ويستحيل أن يستقيل بل انه سيزداد عنادا وعنفا فى الخصومة لامريكا التى تحاربه شخصيا وسوف يزداد ارتماؤه فى أحضان الروس ولا يكون أمامه غيرها وفى موقف الضعف هذا تجنى ثمار هذا التواطؤ وتسرع فى خطاها لتحويل مصر الى دولة حمراء وتتخذ من عبد الناصر مرحلة الى يوم اعلان هذا الاحمرار الفاقع فتأتى الى الحكم بأحد عملائها وترفع المنطقة كلها علم الشيوعية وتسقط بسولة كالثمر وبعد نضجها ·· ونجح الرفقاء الثلاثة فى تحليل شخصية عبد الناصر وكانوا فى قمة الذكاء ·· وفشل جونسون الذى اعتمد على المنطق وكان فى قمة الغباء !!

القرار ···

وبعد دراسة الموقف ـ كما ذكرت ـ دراسة كاملة قال عبد الحكيم لعبد الناصر هل فيه أى ملاحظة أو كلام ثانى ؟ قال عبد الناصر ·· مافيش شك ان أمريكا مش عايزانى وفى يدها الحل ·· وان روسيا عايزانى ضعيف وأنا ما اقدرش أتعامل معها بضعف ولافيش فى يدها حاجة !! كما انه مافيش خلاف فى مبدأ الاستقالة ·· وأخذ عبد الحكيم ورقة وكتب استقالته من جميع مناصبه فى ثلاثة أسطر وقدمها لعبد الناصر وقال له عن نفسى لو رجعت فى استقالتى مايبقاش عندى أى دم !! وأكون أهنت الشرف العسكرى ·· أما بالنسبة لك فأنت عارف انك أقرب واحد لى لكن مصر والكرامة والمصلحة العامة فوق كل اعتبار وشمس بالطبع ماشى من غير كلام ·· وكتب شمس أيضا استقالته وقدمها لعبد الناصر ويقول عبد الحكيم عامر انه لم يكن من حقه الاشتراك

فى اختيار خليفة لرئيس الجمهورية فهم بالانصراف فقال له جمال أيـه رايح فين ياعبد الحكيم ؟ قال عبد الحكيم ٠٠ أنا ماليش صفة رسمية فى القرارات اللى جاية ٠٠ فقال له عبد الناصر ٠٠ ماأنا كمان بعد ساعات أبقى زيك وأحصلك !! اقعد ما دام قررنا الاستقالة سوا نأخذ قرار الرئيس الجديد سوا ٠٠ فجلس عبد الحكيم وشمس وفكر جمال قليلا ثم قال ٠٠ أنا أرشح شمس !! ويقول عبد الحكيم ان الدهشة عقدت لسانه لحظات ثم قال له شمس مين ؟! شمس ده ؟ (وأشار الى شمس) احنا ما قلنا ده أول الماشيين !! ثم مين يعرف شمس غير انه وزير الحربية المهزوم ؟!! الامر المحتوم انك تختار زميل لنا من مجلس قيادة الثورة ٠

وبعد لحظات قال جمال ايه رأيك فى زكريا ؟ أنا باشوف اننا بهذا الاختيار كأننا بنقول لجونسون أدينا جبنا لك زكريا اللى كنت مستعد تقابله قبل الحرب بيومين اتفضل حل بأه !!

قال عبد الحكيم أنا قلت رأيى فى المبدأ وماليش اعتراض على زكريا أو غيره ٠٠ كويس !! على بركة الله ٠٠

حسين الشافعى لا يعلم !

ومن عجب أن تبقى هذه القصة لا تنشر ولا تعرف بصفة علنية أو تعرف من المستويات العليا فى الدولة ٠٠ حتى كنا فى معتقل القلعة وجاء دورى فى الاذن لى بالذهاب لدورة المياه بعد الحجز بساعتين !! وأنا أعجب من هؤلاء الناس الذين أعطونى من سنوات ثلاث (كعضو فى مجلس الامة وبمخالفة دستورية من السلطة التنفيذية) سيارة نصر بدون حجز ثم لا يسمحون لى بالذهاب لدورة المياه الا بعد الحجز !!

وقابلت هناك (فى مصادفة نادرة) حسن عامر الذى سألنى ان كان اللواء (الفريق) محمد صادق (وكان مدير المخابرات فى ذلك الوقت) سألنى عن الاجتماع الثلاثى ؟

فأجبته بأنى لم أسأل بعد وسألته (وهل اللواء صادق عرف ؟) قال ان سبب علمه أنهم يريدون اثبات أن المشير هو الذى رشح شمس!!

ثم قال انه أجاب على هذا السؤال بما سمعه من المشير وسـألنى وانت ح تقول ايه ؟ أجبت بأنى لو سئلت سأذكر ما سمعته من المشير فى حضور شمس . وقلت له أمال فاكر ح أقول أنا اللى رشحته ؟!! فقال انت لسه بتنكت ؟! قلت مافيش غير التهكم والسخرية والنكتة أرد بهم على الظلم حتى وأنا ذاهب الى المشنقة آخر كلمة أقولها نكتة عليه !!

ثم حدث أن تسلل شمس الى زنزانتى رقم ١٥ وكان هو رقم ٩ بعد منتصف الليل حيث لم يكن ساهرا غيره وغيرى اذ كنا الوحيدين المصابين باصابتين هو كمتهم أول بعد وفاة المشير فى القضية المسماة بقضـية محاولة الاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة وكان يرأس المحاكمة السيد حسين الشافعى وأنا الوحيد الذى أخضعه الزعيم العـادل الامين للحراسة كى لا يسمح لاحد الشرفاء من أنصاره أن يحقق أحد شعـاراته الببغاوية ويرفع رأسه !! ولم يكن من بين تلك الشعارات وللاسف الشديد شعار اكذب يا أخى فالكذب سر النجاح !!

وقال لى شمس انه أثناء احدى الاجابات فى جلسة صباح الامس قال الشافعى .. الشافعى ـ يعنى عايز تقول انك كنت مرشح لرئاسة الوزارة ؟

شمس ـ وزارة ايه ؟ أكتر !
الشافعى ـ أنا ماعرفتش حاجة زى دى ؟!
شمس ـ وانت من امتى بتعرف حاجة ؟!

الذين تمسكوا بالزعيم المهزوم !

نشر كلام كثير حول حقيقة كوميديا الاستقالة أو مأسـاة هذه التمثيلية .. ولكننى لا أذكر الا ما رأيت وعرفت فلم أكن فى القاهرة حتى أرى أحداث هذا اليوم ولكننى رأيت ما حدث فى ثلاث محافظات هى المنيا وبنى سويف والجيزة .

وكان المشير فى القاهرة ولكن رؤيته وعلمه بما حدث كانا أقل من رؤية وعلم بعض المشتركين فى تلك المظاهرات ؟! فقد كان له مكتب فى

الاتحاد الاشتراكي يقول انه لم يدخله أكثر من مرتين !! وبالرغم من صلته الوثيقة بعباس رضوان الذى كان أمينا مساعدا للاتحاد الاشتراكي يختص بالوجة القبلى الا أنه لم يسأله ولم يكن في هذا الوقت مهتما بالوصول الى الحقيقة وهل كانت تلك المظاهرات تدبيرا أم كانت طبيعية وقد سألنى ونحن فى بلده عن رأيى فقلت له هذا الذى أذكره وكما أكتبه !!

كنت في بلدى فى مساء هذا اليوم التعس (الجمعة ٩ يونيو) واستمعت الى ما سمى بخطاب الاستقالة متلهفا الى ما سيقوله لاصل الى نتيجة ما فى الخطاب لا متفهما لما قاله فهو كالعادة يترك جوهر الموضوع ويطيل فى مقدمات قالها ألف مرة ولا صلة لها بالموضوع الذى ننتظره !!

وبكيت مع الباكين بانفعال العاطفة لا بتفكير العقل فحينما تذرف عيوننا الدموع فانها تسيل وتنساب بدفع من مشاعرنا المختلفة لا بوعى العقل العاجز عن التحكم فى هذه العواطف الخادعة والمخدوعة !!

انى لما فكرت فى سبب بكائى وجدت أنى بكيت نفسى وعمرى الذى ضاع وتضحياتى الجسيمة ثم كان مصيرى ومصير بلدى هذه النهاية الاليمة !!

ومهما قيل فى تبرير تلك المأساة فهى ليست الا انفعالا عاطفيا ممن لا يعرفون ان كانت العريش احدى المدن المصرية ام مدينة فى اليونان !!

وكنت أعرف أن عبد الناصر يستحيل أن يستقيل حتى ولو لم يبق فى مصر مكان غير محتل الا البيت الذى يقيم فيه ويخطب منه فقد عاش فى سماء الالهة ولا يستطيع أن يحيا فوق أرض العباد والعبيد !! كيف يعيش مع من خدعهم وخدعوا فيه او خافوه ويتعامل معهم على قدم المساواة ؟! وهو الذى امتلك فعلا لا تشبيها الارواح والارزاق والاباء والنساء والاطفال ؟! وامتلكهم بقانون !! (القانون ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فيا لبؤس الجاهلين او المتجاهلين والغافلين او المغفلين !!

وخرج الصبية والفتيان يبكون هذا الفراغ المخيف وهذه النكبة التى حرمتهم الشيء الوحيد الذى يعرفونه !! انهم لم يسمعوا ولم ينشدوا ويهتفوا فى مدارسهم كل صباح الا لعبد الناصر .. انهم لا يعرفون اسم

مصر فقد كان لها اسم أخر !! الاقليم الجنوبى !! الجنوبى لاسرائيل !! ولا يعرفون وطنا ولا وطنية ولا مبادىء أو قيما انسانية ٠٠ لايعرفون غيره وغير صنم الاشتراكية !!

واصطحبت زميلى عامر وعضوا آخر من بنى مزار بعـــد أن طلبت الاتصال بأعضاء المنيا وأبرقت لرئيس مجلس الامة بأنى وأعضـــاء المنيا فى الطريق وأرجو امتداد الجلســـة حتى نصل !! وأفزعنى ما رأيت فى كل الطريق حتى القاهرة ٠٠ خرجت كل وسائل النقل فى القطاع العام والخاص (بالامر) وهرع الالوف من هؤلاء الصبية والفتيـــان وكل واحد يحمل عصاة من غصن شجرة أو جريدة من نخلة وينهالون على السيارات الخاصة ضربا وتكسيرا وتحطيما ومنها سيارتنا !! حتى أخرج زميلى عامر مسدسه وطلب من السائق أن يخترق هذه الحشود ولا يقف مهما حدث ,فلا ذنب لنا أن نقتل بدلا من اليهود !! فما معنى هذا التصرف من رجال المستقبل ؟!!

وحملتهم وسائل النقل المختلفة ليملأوا شوارع القاهرة ويشاهدوها مجانا لاول مرة فى حياتهم ويعودون مجانـــا أيضـــا ومعززين ومكرمين ويذكرهم التاريخ كأصحاب أمجاد يومى تسعة وعشرة يونيو التعيسين !!

ونجونا من الموت بمعجزة ومن بلدة (العياط) والى بيتى فى الدقى (٦٠ ك٠م) يوقفنا بعض شباب منظمات على صبرى ليفتشوا الســـيارة بسبب سريان اشاعة عن تسلل جندى اسرائيلى الى داخل البلاد !!

وأخرجت لهم بطاقة عضوية مجلس الامة (بعد أن طلبوا بطاقاتنا) وشرحت لهم مهمتنا فأصروا على أن يروا بطاقتى الزميلين بعقلية أن الجندى الاسرائيلى قد يكون بيننا ومعنا ونخفيه !! وكان هؤلاء أصـــحاب اليومين الخالدين !!

يوم عشرة المشئوم !

الساعة العاشرة صباحا وصلت الى مجلس الامة بصعوبة كبيرة ٠٠ وكان أول من قابلت فؤاد محيى الدين ٠ وقال لى فى صوت حزين أن زكريا لم يؤخذ رأيه فى ترشيحه للرئاسة ودفع الى مطب آخر وليشرب

مقلبا آخر فيهتف ضده المتظاهرون ويحاولون الاعتداء على بيته !! وكان المقلب الاول اشترك فيه المشير مع عبد الناصر باسناد رئاسة الوزارة اليه لينفذ سياسة رفع الاسعار لانقاص معدلات الاستهلاك .. وبعد أن يطلق علية الشعب اسم زكريا (غلاء الدين) !!

يخرج من الوزارة ويكتب هيكل تفسيرا أو تبريرا فيزيد الغموض غموضا ولا يعرف أحد ان كان قد استقال أو أقيل !!

ولاحظت في نظرات الاعضاء لى (غير الصعايدة) أنها نظرات غير ودية على غير عادتهم معى !! وكان التفسير بسيطا فان صلتى بالمشير تجعلنى أحد المسئولين عن الهزيمة !!

لهذا ذهبت الى مكتبى فى أمانة الهيئة البرلمانية .. وكنا جميعا عرفنا ومن الامس أن استقالة عبد الناصر شكلية وأنه عائد بل عاد وليس باقيا غير اجراءات كديكور المشهد الاخير فى المسرحية !!

وكان الانفعال العاطفى انتهى .. وشعورى نتيجة لتفكير عقلى .. وليس كشعور الامس عاطفة بغير عقل !! كان شعور انسان يجلس فى سرادق مأتم الهزيمة ولا حاجة لهتاف أو تصفيق لعودة القائد الاعلى المهزوم !! واتصلت بحسن عامر أسأله عن موقف المشير فقال لى انه كان فى العراق لحضور مؤتمر للبترول بصفته رئيسا لمؤسسة البترول وأنه عاد بمعجزة بعد أن رأى الموت بضع مرات ولم ير المشير ويعتقد أنه مادام عبد الناصر قد عاد فهو أيضا سيعود وقد علم أنهم متفاهمون على كل شىء !!

وجاء الى مكتبى ضياء الدين داود وسألنى رأيى فى اقتراحه بأن يكون المتحدثون رؤساء المجموعات البرلمانية فى المحافظات .. فوافقت ووقعت على الطلب الذى قدمه لى ولم أكن أملك الا الموافقة أو تقديم اقتراح بديل لاقتراحه .. ووقعت فى مطب عميق !! .. قد أستطيع أن أرثى ميتا حتى ولو لم أعرفه !! ولكن كيف أرثى سيناء ونحن لا ولن نعترف بموتها ونموت نحن وهى لا تموت !! كيف أشيد ببطولة من أضاع سيناء فى ساعات ؟! فلم أكتب شيئا وكعادتى قلت يحلها ربنا لغاية (ماييجى على الدور) !! .. وقد حلها .. ولم يتكلم أحد غير وكيل المجلس ..

حكاية العضــو الذى رقص !

لقد وصمنا أنفسنا باتهام ظالم ـ لم يحدث ـ وبعد أن أثبته السيدان توفيق الحكيم والبغدادى فى كتابيهما أصبح لزاما على تصحيحه والا أثبت التاريخ بشهادتنا أن مجلس الامة رقص لعودة القائد المهزوم كما كتب سيادتهما ولهما العذر فهذا ما شاع وذاع ولم يكذبه أحد !!

والحقيقة كما ذكرت أن الاعضــاء لم يكونوا فى حاجة الى الهتاف والرقص الذى قد يكون نتيجة عاطفة ملتاثة لان عودة عبد الناصر كانت معروفة واعلانها كان مجرد استيفاء اجراءات !

ولكن أحد الاعضاء وهو من محافظة بني سويف وفي أول انتخابات جرت بعد ذلك لم يأخذ غير عشرين صوتا من آلاف !! هذا العضو واسمه وصورته كانت فى معظم صحف العالم الا مصر !! لان الصحافة عندنا اما أن تظهره كبطل وهى لم تقبل أو كتافه فتعاقب !! فأغفلت هذه الواقعة (واسمه ر٠أ) ٠

ولكن هذا العضو ارتكب جريمته مع سبق الاصرار !! فقــد غير ملابسه الفرنجية وارتدى أخرى بلدية وما يشــبه العمامة ووقف فوق الادراج التى أمام المقاعد لتتجه اليه عدسات المصورين ٠٠ وأتى بحركات غير متزنة ليبرهن على سعادته ويتقاضى الثمن لانه حظى برضاء الزعيم فى تمثيلية سابقة !! اذ كان فى الحج مع بعض الاعضاء الذين استثنوا من الاقتراع وساعدهم نادى المجلس ماليا فكانت (فرصة امتياز) وهنــاك افتعل معركة كلامية مع أحد التجار السعوديين وهتف بحياة عبد الناصر الذى بلغته الواقعة على الفور ورغم هذا يقال انه كان لا يعلم ٠٠ وهو يعلم دبيب النمل !!) ٠٠ وأراد السيد العضــو أن يكرر التمثيلية فى موسكو وكان من بين الوفد البرلمانى ويكررها مع زميــل هو الدكتور الطرشوبى أحد أعضاء الدقهلية ولكننا أفسدنا تدبيره فلم يبق أمامه غير فرصة الرقص !! انها قصة فرد واحد ولا تخلو هيئة أو جماعة من واحد أو أكثر من التافهين !!

مظاهرة عسكرية فى بيت المشير !

خرج الاعضاء بعد انتهاء المشهد الاخير من تلك التمثيلية وكأن على رؤوسنا الطير وذهبنا (عدد منا) حزانى تماما كالعائدين بعد دفن ميت وبقينا بعض الوقت فى نادى المجلس ·· ونحن نمثل أولئك المتظاهرين فأين هى السعادة التى أرادوا اثباتها تاريخيا لما سمى بيومى تسعة وعشرة وأنا على يقين وكل من شاهد التمثيلية أن مشاعر الجماهير بعد الظهر لا يعبر عنها الا بأن المتظاهرين كانوا يقولون سرا (سينما أونطة هاتوا فلوسنا !!) فقد عادوا بحسرة ضياع سيناء !!

وذهبت فى الساعة السابعة مساء الى بيت المشير القريب من بيتى ورأيت الحديقة صفراء !! فقد كان مئات من ضباط الجيش من مختلف الرتب يملأون الحديقة فاخترقت هذا الحشد بصعوبة وصعدت الى حيث مكتب المشير وقاعات الاستقبال وكان الحشد أشد تكدسا ومن كبار قادة الجيش وكان بينهم الفريق محمد فوزى وخرج المشير من مكتبه ومن خلفه حسنين هيكل (الذى انصرف) وكان رابط الجأش لا يبدو عليه أثر اضطراب أو هذيان (كما كتب أحد الصحفيين) ولكن مظهر الحزن العميق كان أمرا طبيعيا وقال للمجتمعين أشكركم كل الشكر وأرجو أن تتفضلوا بالعودة الى مواقعكم وان شاء الله بكره الساعة عشرة نتقابل فى القيادة·

وعدت الى بيتى حيث جاء حسن عامر وابن عمه الزميل المرحوم عامر والزميلان المرحوم حسن سعداوى ·· ومحمود عبد الله والاول النائب السابق لابى قرقاص والثانى النائب الحالى ثم حسن حسين زوج شقيقة المشير وابن خال السيدة حرم عبد الناصر ·· وتناولوا معى العشاء وأمضينا جميعا السهرة وكل واحد منا يعتقد أن المسألة سويت وقد عاد الجميع الى مناصبهم (وكأنك يا أبوزيد ما غزيت !!) ·· واتصل بى عدد كبير من الاصدقاء فأخبرتهم باعتقادنا فأظهروا سعادة كبيرة وأقسم أحدهم أن يأتى إلينا ماشيا على قدميه !! وبعد هذه الليلة لم يكلمنى أحد ولم أر وجه أحد حتى اليوم !!

اختفــاء المشــير !

في صباح ١١ آثرت البقاء في بيتي هربا من رؤية من يعرفوني !! فبراءتي من الاشـتراك في الهزيمة لا تجدي في نظرهم مع انتمـائي لمن تسببوا فيها !!

وكنت حسبت أن الامر استقر وأن السفينة ستسـير في مجراها ولن يحدث أي تغيير في مسارها بل اني رحت أفكر في الضربة القادمـة التي سيضربها عبد الناصر لفئة أو أكثر من المصريين ليعوض شـعوره بالضعف كعادته عقب كل هزيمة وليقطع ألسنة من قد يهمسـون بأي نقد !!

ولم اكن أدري أن الايام تخبيء لي أن أكون من أول ضحايا هذه الضربة وأنها ستكون هذه المرة شديدة بحجم الهزيمة !! وأنه سـيضرب أقوياء كان يعمل حسابهم ويجاملهم الى حد أن يظهر غير ما يبطن وأعرف معنى كل كلمة أكتبها ولا أكتب كلاما انشائيا ولكني أتحمل مسئوليته وعندي عليه شهوده وأدلته !!

كانت هذه الضربة ستقع قطعا ولكني لم أتوقع أن تكون بأسـلوب هذا الغدر ويمثل هـذه القسـوة !! وأحسب أن كثيرين توقعوها ممن كانوا يدرسون ويتأملون تصرفاته فعقب هزيمة السويس التي سماهـا نصرا قام بأكبر حملة اعتقالات للمواطنين وكان يزهو ويفخر بأنه أعـد فرقة لتضرب بالرصاص الذين علم (كما قال) انهم قادمون لتبادل الرأى معه !! اعلانا منه بايمـانه بالرأى الآخر أو بالرأى الذى قد يتفق مع رأيه !!

وكانت احدى محطات اذاعتنا تذيع كل يوم بصـوته (ان حرية الكلمة هي الطريق) وكلام عكس معنـاه ويغير الواقع فالواقع كان (ان حرية الكلمة هي الطريق الى السجن) ..

وعقب الانفصال قام باعتقالات أخرى وبالتأميمات وما سـماه

بالقرارات الاشتراكية المجيدة وشهد الاقتصاديون أخيرا ومنهم زكريا توفيق عبد الفتاح بأنها لم يكن لها صلة قريبة أو بعيدة بالمجد !! وابتكر أحدث وأبشع جرائم العصر باسترقاق الناس فيما سماه باخضاعهم للحراسات !! اخضاع وخضوع مع ارفع رأسك يا أخي !!

وفي ورطة حرب اليمن قام بالتخلص من بقايا الاخوان المسلمين .. وبتلفيق اتهام لسجن مصطفى أمين وبتشكيل لجنة تصفية الاقطاع التى كانت ستقوم سواء قتل ذلك الشيوعى أو لم يفتح انسان فمه فقد كان فى حاجة الى تعويض شعوره بالورطة بالفتك برعاياه المسالمين من المصريين المستسلمين لا لقوته وانما لغوغائيته !

وتناولت طعام الغذاء وبينما أنا ذاهب للنوم كعادتى وبعد حرمانى منه لمدة أسبوع سمعت نشرة اذاعة الثانية والنصف وفيها اعلان تعيين الفريق أول محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة وأدركت أن شيئا ما حدث لعبد الحكيم أو معه وأنه أخلف وعده أو أجبر على عدم الذهاب للقيادة .

وعلى الفور ارتديت ملابسى وذهبت الى بيته بشعور الصعيدى الريفى يجامل أصدقاءه وهو لم يكن مجرد صديق يكفى أنى نائب بلده ودائرته !! ووجدت البيت وكأنه أطلال زمن غابر وأنه لم يسكنه أحد منذ ولى هذا الزمن !! ووجدت نفسى وحدى مع ضابط ملازم ذراعه مقطوع فى أحد الحروب ويجلس أمام سويتش التليفون الذى لم أسمع له أى رنين ولا أرى أو أسمع غير الصمت المخيف والاكتئاب فى وجه هذا الضابط الحزين !!

بقيت ساعات أسأل نفسى هل أنا المغفل الوحيد الذى أسرعت لاستقبال الزائرين المجاملين فلا أجد أحدا حتى من أفراد الاسرة يجيء ليعرف مصير هذا الذى كانوا يستظلون بظل شجرته التى سقطت أوراقها فجأة !!

عدت الى أهل بيتى واجما أقول لهم انى رأيت الهزيمة الكبرى منذ لحظات .. رأيتها فى مذبحة الوفاء ومذبحة الحياء من اختفاء الوفاء ومذبحة الشخصية المصرية العريقة !! وبحثت فى كل مكان فلم أعثر على المشير

أو شقيقه حسن أو شمس بدران ... وفى المســـاء جاء الزميل عامر والصديق حسن حسين وكانا مثلى أخفقا فى العثور على الثلاثة !! وذكرا لى أنهما أخبرا منزليهما بأنهما عندى .. ثم جاءتنا مكالمة بأن الثلاثة فى سمالوط فاتفقنا على أن يجيئا فى الصباح نسافر معا بالسيارة .

ووصلنا ظهر يوم ١٢ يونيو الى اسطال بلدة المشــير ولكن لم نر ما يدل على وجوده وقيل لنا انه فى منزل أخيه الاصغر مصطفى على بعـد ثلاثة كيلو مترات فى عزبة اسمها عزبة خديجة .. ولما وصلنا وجدتـه وشقيقه حسن وشمس يجلسون معا وفاجأنى قبل أن أسلم عليهم بسؤال فيه بعض التهكم قائلا (شفت صاحبك سعد) ؟ وفهمت أنه يقصد سعد متولى وقلت لا ماشفتش حد ايه اللى حصل ؟ وقد تبادر الى ذهنى أن سعد تصرف تصرفا يسىء الى المشير وبسبب صداقتى له فقد يكون اسمى أقحم فى هذا التصرف وأكون ارتكبت خيانة من أول يوم فارق فيه المشــير الحكم وأصبح (بروتس) الاول !!

لقــاء بين الصــديقين

لكن المشير كان يقصد بهذا السؤال فتح باب الحديث من بدايتـه فقال .. أنا فت على جمال امبارح الصبح وقلت له طبعـا هيكل وفوزى قالوا لك على اللى حصل امبارح ؟

أنا كنت بره ورجعت أنا وأخويا حسين ودخلت بصعوبة شديدة . وفوجئت بوجودهم (يقصد وجود ضباط الجيش فى بيته مســاء يوم عشرة) لكن التفصيلات دى طبعا ماتوصلكش وماقدرتش أمنــع تأثرى العاطفى أو أتجاهل هذا الوفاء وكنت عارف انهم مش ح يسيبونى الا لما أعلن لهم عدولى عن الاستقالة فقلت لهم أنا رايح القيادة بكرة الساعـــة عشرة ومن فضلكم كل واحد يروح موقعه لان ده مش وقت تظاهر من أجل المناصب .. ده وقت استعداد للاخذ بالثأر وشكرتهم وانصرفوا .. ولم يشك جمال فى كلامى بالطبع لانى لو كنت عـايز أرجع كنت بالغت فى وصف شعورهم وقلت مثلا انهم متمسكون نبه دتن وما قدرتش أرجع فى

كلامي لكن قلت له أنا جاى أشوفك وأودعك لانى مسافر البلـــد أرتاح شوية ومش ح أروح القيادة ٠٠ اللى قررته انك ما دمت تحملت المسئولية كاملة يجب أن تصلح الموقف بحرية كاملة فى التصرف ٠٠ أنا يا جمال القدر حدد نهايتى والحمد لله راضى بحكمة وأنت ربنا يوفقك وتمحو هذا العار ٠٠

وقال جمال برضه (يا حكيم) تسيبنى وحدى فى الظــروف دى وتمشى ٠٠ خلاص مش عايز تشتغل معلهش !! لكن ماتسبشى أخوك وحده وتروح تقعد فى اسطال هو احنا بيننا مناصب ؟ أو دى مهمة يقدر عليها حد لوحده ؟ خليك (يا حكيم) احنا ما نستغناش عن بعض ح احتاج لك وتبقى قريب منى ٠٠

قلت له انت عارف لما بلدى تعوزنى أقاتل فى الميدان كجندى يبقى ده الشرف اللى باتمناه أموت وأنا باقاتل لكن أنا شايف ان دى المصلحة وان حبيت تاخد رأيى أنا بارشح لك محمد فوزى تعينه قائد عام وبعدين ترتبوا أموركم زى ما تشوفوا وتعانقنا بحرارة وقبــل ما أمشى افتكر حاجة فقال لى سمعت باللى قالو لى شمس امبارح ؟

اله على أنا كمـــان

يقول المشير مستطردا وقلت له :

عبد الحكيم : أيوه قال لى شمس على كل حاجة ٠٠

جمال : عاجبك كلامه ؟

عبد الحكيم : انت عارف شمس (مبرشم) ومايعرفش يعبر أحسن من كده ؟ وبتشكى لى شمس ليه ده ابنك الروحى المناكف اللى اديتــه لى هدية ؟!

جمال : أنا باسألك عن معنى كلامه

عبد الحكيم : المعنى ده هو اللى اتفقنا عليه وانت اللى رجعت فيه

جمال : أنا رجعت غصب عنى بضغط الشعب !

عبد الحكيم : أيوه صحيح ٠٠ انا نسيت ضغط الشعب !!

جمال : انت بتتكلم جد أو بتتهكم !!

عبد الحكيم : وايه الفرق ؟ المهم انك رجعت وربنا يوفقك ..

ثم يستطرد المشير قائلا ولما بان على وشـه انه كان عايزنى أكلمه بغير اسلوبى معاه وبغير المواجهة الصريحة قلت له اوعى يا جمال تفتكر انه ح ييجى يوم أغير أسلوبى معاك وفى معاملتى لك ؟ أنا قلت لك مش رايح القيادة .. يعنى مش رايح .. مش علشان خاطرك ؟ لأ بالعكس أنا مازلت باشوف ان مصلحة البلد ومصلحتك انت كمان انك تسيب الحكم ولو كنت بافكر فى مصلحة خاصة كنت لا طلبت منك تسيبه ولا أنا كمان كنت سبته وزى ما قلت لك انت أقرب واحد لى .. لكن مصر أقرب منك .. وكان يجب تفكر ان رأيى مجرد عن الهوى لانه ازاى أفضـل زكريا عنك ؟ وانت عارف اللى بينى وبينه ؟!!

ويستطرد المشير قائلا .. ويظهر انه خاف رغم كلامى ده انى أرجع فى رأيى وأروح القيادة لانه راح متـلاعب بعواطفى وهو عارفنى كويس وأنا كمان أكتر واحد فاهمه فقال جرى ايه يا (حكيم) ؟ انت طول عمرك قلبك أبيض وطيب ايه اللى خلاك تتصور ان العلاقة بيننا تتغير فى أى يوم ثم احتضننى وقبلنى .. فتأثرت تأثرا كبيرا وبادلته عواطفه (ولو انى عارفه) بأحر منها وانصرفت !!

ويتكلم شمس فيقول : أنا ماقلتلوش حاجة لما طلبته أول امبـارح (يوم عشرة) وقلت له ومستعجل على ايه ؟ مش كنت تستنى شـوية لما تشوف زكريا ح يعمل ايه ؟ وانت فى أى يوم تقدر ترجع وزكريا مش ح يتمسك بالحكم أو يقاومك لو مانجحش .. زكريا كان ح يتصـل بالامريكان ويقول لهم أنا جيت بشرط انكم تحلوا المسألة وتعلنوا موقف حازم وحاسم باصراركم على انسحاب اسرائيل زى ما عمل ايزنهـاور ونبدأ صفحة جديدة من العلاقات الطيبة والتعاون على حل القضية واحلال السلام فى المنطقة .. واذا ما عملتوش كده وأعلنتم موقفكم فى خلال أيام أنا ح أسيب الحكم ويرجع جمال يتفاهم مع روسيا وفى الوقت نفسـه يتصل بالروس ويقول لهم اما أن تقفوا موقفا حاسما وتتفقوا مع الامريكان بوسائلكم باعلان تدخلكم اذا لم تجلو اسرائيل أو انى ح أتفاوض مـع الامريكان وحدهم .

لكن انت رجعت وانت عارف انك لا ح تاخد حاجة من دول ولا م دول!!

آدى اللى قلته !؟ فيه ايه الكلام ده ؟ أنا مش عارف زعلان من ايه هو ح يعمل اله على أنا كمان ؟!!

ماذا حدث فى القيادة

واستطرد المشير قائلا : طلعت من عنده وشعورى انى ودعت خمستاشر سنة فاتوا واحنا فى مسئولية الحكم ٠٠ لكن كنت حاسس ان احنا أخيرا ودعنا الشكوك والخلافات والاجواء الفاسدة اللى سببها الحكم وأن صداقتى مع جمال اتولدت من جديد ورجعت بريئة نظيفة زى ليلة قيام الثورة وكنت فاكر انه كمان أخيرا وجد صاحبه عبد الحكيم ٠٠ولو انها مناسبة تعسة لكن العواطف الانسانية بتعيش فى أى مواقف ٠

ورحت بيت شمس وقلت له يتصل بالقيادة ويقول لهم انى مش رايح ويطلب من الضباط الانصراف وكل واحد يروح شغله ٠٠ وراح شمس اتكلم فى التليفون وطول شوية ورجع يقول لى مافيش فايدة الضباط ماصدقوش وفيه ألف ضابط فى القيادة بيقول بعضهم انى باخدعهم وفاكرين انى مش معاك فقلت له أنا ح أكلمهم بنفسى ٠

وكلمت اللواء على عبد الخبير وقلت له أنا اللى قلت لشمس يكلمكم وكلامه صحيح قول للاخوان كتر خيركم وأشكركم وان قرارى لمصلحة البلد والجندى مابيختارش قائده فيه قائد جديد ح يتعين وأنا معناه ومعاهم بروحى وحياتى والعلاقات الشخصية باقية بيننا وأنا وجمال شخص واحد والعسكرية مافيهاش عواطف وآخر ما أطلبه منك تعمل لهم انصراف ٠

ثم طلبنا مصطفى نقول له احنا جايين فى الطريق يعمل ترتيب مكان ننزل فيه أنا وشمس والجماعة اللى صمموا يبقوا معايا من جنود الحرس لغاية كام يوم نبقى نتصل بفوزى يعتبرهم فى أجازة ٠٠ وسكت المشير فترة وطلب لنا وله قهوة وأشعل سيجارة وراح ينفثها فى الم ومرارة وقال ٠٠

زكريا يصـــفى عبد الحكيم

أنا رميت المسدس في الارض ومشيت وأنا ماشى راح واخـــــده وضاربنى بيه !! تماما زى أفـــلام (الكاوبوى) لما تلاقى فارس لا يمكن يضرب من الخلف وآخر لا يضرب أبدا وجهـــا لوجه !! طيب ليه ؟ فيه حاجة تانى كان يمكن أعملها علشان يطمئن وماعملتهاش ؟ وأنا لسه فى السكة لهنا كان شكل لجنة برياسة زكريا محيى الدين وعضوية محمد فوزى وسعد متولى ومهمتها تطهير الجيش من أصدقاء وأنصار عبدالحكيم! يبقى لازم يسرحوا الجيش كله ؟! واحنا فى حاجة لكل جندى وضابط .. لكن أنا عارف ح يفصلوا مين ؟

ثم قال بصوت يمتزج فيه التهكم بالألم زكريا يرأس لجنة تصفية عبد الحكيم عامر ؟! ومين يا ترى ح يرأس لجنة تصفية زكريا ؟ وح يقول على ايه ؟ رجعى واللاشيوعى والا من أعداء الثورة ..

واشترك بعضنا بالحديث فى التعليق علىّ تشكيل هذه اللجنة لذا أذكره دون أن أنسب كلام كل واحد لصاحبه وبعض توضيح من عندى .

سألت نفسى : هل يظن المشـير أن كل واحد يستطيع معاملة عبد الناصر كما يتعامل هو معه ؟ أو يستطيع أحد العضوين فى هـذه اللجنة مناقشة هذا القرار ؟ أم أنه عندما سألنى عن سعد كان يريد أن أشترك فى معرفة هذه المعلومات وما يحدث بعدها بتقدير انى سأكون من بين من يتحملون نتائج هذا الخلاف ؟ وكان هذا الرأى هو الصـــواب .. وكان المشير يعرف سعد ويحبه قبل أن أعرفه فقد كان سعد فى الموقع (أبو عجيلة) فى حرب السنتويس وحارب ببطولة وعاد من سـيناء سيرا على قدميه حتى دخل المستشفى العسكرى !! ورشحه عبد الحكيم نائبا لكبير الياوران الفريق رشاد حسن ووافق عبد الناصر ولما توفى المرحوم رشاد رقى سعد الى منصبه ..

بعض اساليب السـياسة التحتية

ثم انضممت وحسن عامر فى سنة ١٩٦٢ الى نادى الزمالك بسبب فراغ سياسى ووظيفى ٠٠ اذ كنت قررت اعتزال الحياة العامة وكان حسن بلا وظيفة (!!) ولم يشـعر أحد بهذا والا لما فكر النـادى فى أن نتولى ادارته !! كان هناك توتر خفى بين عبد الناصر وعبد الحكيم وبأساليب يطول شرحها يحدث ضغط على حسن وعلى كى ينحنى عبدالحكيم ويتدخل بالوساطة أو الرجاء !! وكان الضغط على حسن أشد بسبب عـدم تعوده على الفراغ وحبه للعمل الشاق !! أما أنا فقلت بركة يا جامع !! اللى بينى وبينهم غلب وتضحية وضياع للحرية الشخصية مقـابل مظاهر تافهة وزائفة فى جو نفاق مبتذل !!

فانشغلنا فى هذا النادى بصورة غير عادية وضايق هذا عبد الناصر فقد تكون لنا شعبية لا يريدها لنا أو لاى انسان فى مصر أو غير مصر !! رغم أننا كنا نعتقد أن أى مكانة لاحدنا كسب لعبد الناصر كدعاة له وهو يخطو أول خطوة فى طريق الشهرة !! وكان المشير يعرف صاحبه تماما فقد توقع هذا الشعور منه فوافق على دخولنا النـادى وادارته ليغيظ عبد الناصر !

وقد قطعت بأنه مائة فى المائة لمن تحدث معى بشأن دخولنا هـذا النادى بأن المشير سيرفض بصفته رئيسا لاتحاد الكرة وفى ادارتنا للزمالك ما قد يجعل حياده يهتز للمنافسة بينه وبين النادى الاهلى !

ودهشت لما وافق عبد الحكيم واعتبرت موافقته تصرفا خاطئا ولم أكن أعرف كل هذه الحسابات !

وفى النادى كان أقرب واحد لنا هو سعد متولى فنشأت صـداقة قوية بيننا فحسن كان رئيس النادى وسعد نائبه وأنا عضـو بمجلس الادارة فبيننا انتماء رياضى وسياسى مشترك واحد ٠٠

ولكن لان حسن يهوى الاشغال الشاقة وسعد وأنا نهوى أن يكون لنا

ساعة لقلبك وساعة لربك كانت الصداقة بينى وبين سعد أقوى ٠٠ولم أكن أعرف أن المشير يعرف هذا ٠٠ يعتبرنى شبه مسئول عن أخبـــار سعد لعضوية هذه اللجنة ! وكان رأيه أن السر فى اختيـــاره هو لاثارة الشكوك فى نفس عبد الحكيم بالنسبة لاصدقائه ٠

بين بغــــدادى وعبد الحكيم

أما زكريا محيى الدين فقد كان عبد الناصر يركز عليه هو والبغدادى ليفرق بينهما وبين عبد الحكيم وكانت لعبته مع البغدادى وعبـد الحكيم لعبة النائب الاول ٠٠ تركها عايمة ! يتعمد أثناء ســـفره فى الخارج أن يأخذ معه البغدادى مرة وعبد الحكيم مرة فيكون كل منهما نائب رئيس الجمهورية فى غياب الثانى !

وطبيعى أن مثل هذه التصرفات كانت مكشوفة لمن يعرفون الاثنين والكثيرين ٠٠ ولكنها تبدو عادية لمن يحســــنون الظن ويعتبرون هذه التصرفات بريئة وليست مقصودة !

وكان المشير يعرف انى أحب البغدادى فكان يسعده أن لا أخفى هذا الشعور فى وقت وجود ضباب بينهما ٠

بينما كنت أكاد أصاب بالصرع من فهم بعض من كانوا حول المشير الذين كانوا لا يفهمون أن الذى ينكر فضل الآخرين عليه لا يستحق أن يكون انسانا ٠٠ فقد كان البغدادى وهو رئيس مجلس الامة سنة ١٩٥٧ وعضو سابق بمجلس قيادة الثورة وأنا عضو عادى فى المجلس وصعيدى وهو بحراوى ولم أره فى حياتى قبل هذه العضوية ورغم هذا وه فى لله كان يريد تسليط الاضواء علىّ وأشعر وأكثر الاعضاء إنه يريد أن يعمل منى عضوا ناجحا ورئيس المجلس دائما فى قدرته دفع بعض الاعضاء الى النجاح ان كان عندهم استعداد له ٠

وكان للاثنين اباء وعزة نفس وشعور بالكرامة جعلتهما يتفوقان على هذه الصغائر ويحتفظ كل منهما (رغم هذه المنافسة) للاخر بتقـــديره

وحرصه على الزمالة والصداقة وأعتقد أنهما كانا يعرفان ولا شك أن كل واحد منهما ضيؤكل على جده !! ..

وهذه القصة التى لا أدرى ان كنت أصفها بأنها أليمة أم طريفة تدل على لون الحياة التعسة التى كنا نحياها !! فقد علمنا فى يوم ما بأن البغدادى مريض .. وكنا فى نادى المنيا فى القاهرة فعرضت على الزملاء والاصدقاء أن نذهب جماعة لزيارة البغدادى .. ولكن حسن عامر قال انه مرض سياسى لا عضوى !.. وقلت أحسن الحمد لله ! نستعبط ونزوره على أنه مريض !! ولكن الزملاء استهجنوا هذا التفكير .. وقال أعلمنا بهذا الجو اما أن نزور البغدادى وعبدالناصر حتى لاننحاز لاحد واما ألا نزور أحدا !! وقلت لهم طيب البغدادى ح نزوره علشان سمعنا انه عيان .. وعبد الناصر صحته بمب والحمد لله ح نزوره نقول ايه ؟! ده احنا لو طلبنا زيارته من غير سبب يمكن يحبسنا !! وقال الذى أضجره حديثى (يا أخى ماتجيبلناش مشاكل عايز تزور روح زور لوحدك !

ولم تتم الزيارة وعاد البغدادى الى مكتبه فى (مبنى فندق هليوبوليس) واقترحت مرة أخرى زيارته لتهنئته بالشفاء من المرض السياسى !! ولكن قوبل اقتراحى أيضا باستنكار .. وقررت أن أقوم بالزيارة وحدى كما اقترح الزميل الاشد معارضة من الجميع !! وفوجئت لما وجدت فى مكتب مديرمكتبه الاستاذ حامد الزميل المعارض بشدة ! وقال لى حامد طبعا تحب تدخلوا سوا ؟ قلت له لأ: أنا عندى كلام سر !! خلى فلان يدخل الاول !! وبعد أن سلمت على البغدادى وأخجلنى بترحيبه وكرم استقباله لم أجد ما أقوله فقلت فى الحقيقة الواحد مش عارف يقول ايه؟ قال ماتقولش حاجة أنا عارف شعورك وعارف كل حاجة !! وكم كانت دهشتى لما علمت (ليس من البغدادى) أن الزميل كان بيزوره علشان شغله !!

وكنت عرفت أن عبد الحكيم كان يسعى لازالة سوء التفاهم بين عبد الناصر والبغدادى ..

فقال له عبد الناصر انت عايز تصالحنا والبغدادى بيقول انك انت السبب فى زعلنا !!!

وغضب عبد الحكيم غضبا شديدا من سوء ظن البغدادى فيه وعلمت أنه لم يفاتحه فى الامر وأحسب أن البغدادى يعرف سر غضب عبدالحكيم فيه الا اذا قرأ هذا الكتاب !!

وبين زكريا وعبد الحكيم

أما علاقة المشير مع السيد زكريا فلا أعرف متى بدأت الخلافات بينهما .. ولكن حدث وقت أن أتخذ عبد الناصر قرارا بعزل فئات من المواطنين عزلا سياسيا باعتبارهم أعداء الشعب (!!)

كان المشير فى الخارج وعاد ووجد العزل السياسى شمل أفاضل الناس فى المنيا وكان من بينهم الشيخ على عبد الرازق باشا وزير الاوقاف السابق ومؤلف كتاب الاسلام وأصول الحكم الذى استقالت من أجله احدى الوزارات تضامنا مع المؤلف كما شمل العزل كثيرا من أفراد العائلة وكما شمل كثيرين من أبناء الذين حكم الانجليز على آبائهم بالاعدام والذين عرف آباؤهم الوطنية قبل أن نولد !! وكان الذى يتولى العزل وزارة الداخلية ووزيرها زكريا فقال المشير لعبد الناصر أنا آجى من السفر ألاقيكم عازلين نص البلد !! ونقلت الى السيد زكريا بتعبير ألاقى زكريا عازل نص البلد !! وفى مرة أخرى قال المشير لعبد الناصر انت ح تعمل زكريا (بريا الثانى) ؟ وحدث تحريف ونقلت لزكريا بأن وضعت كلمة هو بدلا من أنت ! فأصبحت هو زكريا الخ ! مما جعل زكريا لا يأخذ رأى زميله عبد الحكيم فى الاجراءات التى تحدث فى المنيا وكان عبد الحكيم لا يريد أن يهتم تسير شمال أو جنوب المنيا ..

وكانت غلطة العمر بالنسبة لعبد الحكيم أنه صدق ما كان يسمعه من جمال عن رأى زملائه فيه أو عن تصرفات لم تحدث منهم ولم يواجه زملاءه بما سمع فانعزل عنهم وانعزلوا عنه !! وفى وسعى ذكر العديد من الامثلة لولا تضخم حجم الكتاب والخروج عن الموضوع وربما كان هذا المثل الذى سأذكره يغنى عن باقى الامثلة .

فعند ذكر جمال عن عبد الحكيم أنه يريد أن يجعل البلد تحكمها

عصابة ويطلب لنفسه رئاسة الوزارة ويتدخل حتى فى تعيين رؤساء المدن !!

وكان العجب الاول أنه ذكر هذا الاتهام وهو وعبد الحكيم يقضيان أحلى شهور العسل التى لم تطل والتى أعقبت انقلاب الجزائر لاسباب نفسية لا تخفى والتى أفقدت عبد الحكيم كل حسنات ماضية والعجب الثانى ما سيراه القارىء في هذا الكتاب من رفض عبد الحكيم لمنصب رئاسة الجمهورية ومنصب النائب الاول لا زهوا ولكن كى لا يكون تحت رحمة عبد الناصر يقيله فى أى وقت أو يبقيه فكيف يرفض الاعلى ليصبو الى الادنى ! وكيف يشتهى عبد الحكيم منصبا كان يشغله على صبرى الذى كان يعمل فى مكتبه قبل أن يهديه لعبد الناصر ؟! وكيف يشتاق لمنصب طلب منه عبد الناصر أن يختار له من يشاء عقب خروج زكريا وأختار فعلا المهندس صدقى سليمان وتم اختيار معظم الوزارات فى بيت عبد الحكيم ؟! اذ كان معتكفا بسبب نزلة برد بسيطة وجمال هو الذى أراد هذه الصورة ووقتها ذاعت نكتة أن نسمى مصر باسم ج٠ع٠م٠ معناه جمال عبد الحكيم مناصفة !!

أما العجب الاكبر والثالث فهو مسألة تعيين رؤساء المدن فأن أكثر من مائة غيرى يعرفون طريقة اختيار وتعيين رؤساء المدن فقد طلب الاتحاد القومي من كل رؤساء المحافظات والمراكز ترشيح رؤساء مدن مراكزهم وقد كان السيد كمال الدين حسين مشرفا علي الاتحاد القومي ووزيرا للحكم المحلي وهو صاحب الرأى الثاني فى هذه الترشيحات بعد عبد الناصر ٠

وقد رشحت ثلاثة أسماء للمدينة التى أنتمى اليها (مطاى) ولم يؤخذ بأي ترشيح منهم !! لا لأنى أسأت الاختيار ولكن لان عبد الناصر فجأة طلب من عبد الحكيم وزكريا أن يرشح كل منهما ضابطا أو ضابطين (حسب حجم المحافظة) من وزارتيهما الحربية والداخلية لكل محافظة وتم هذا الترشيح بالطريق الروتينى من الادارات المختلفة فى الوزارتين ٠٠ وتم تعيين ضابطين من الجيش فى محافظة المنيا أحدهما اسمه أميل ميخائيل عين فى بلدى ولم أكن أعرفه من قبل ولم يعرفه المشير أو يراه

حتى وفاته !! والثاني اسمه مصطفى شاهين وعين فى دير مواس ولا صلة له أيضا لا بالمشير ولا بالمنيا واهلها وكان للاثنين مواقف عدائية منا ومن بعض أفراد أسرة المشير !!

فهل عين المشير من لا يعرفهم فى المنيا وعين أصدقاء له فى باقى المحافظات التى لا يعرف أيضا أحدا من أهلها ؟ ولم يزر فى كل حياته أى محافظة وحده حتى المنيا لم يزرها وحده غير مرتين ليحضر حفلين أقامتهما المدرسة الثانوية التى تخرج منها !

وكيف يتحدث رئيس عن مرءوس صديق له ويشكو منه من وراء ظهره ولا يواجهه بما يأخذه عليه من تصرفات ؟!

وقد طارد عبد الناصر بعد موته بهذه الإساليب ٠٠ ففى أحد الايام فوجئنا فى المعتقل بنشاط الضباط والمخبرين والعساكر وجرت عملية كنس ورش المعتقل بصورة لم تحدث من قبل ٠٠ وفهمنا أن زائرا كبيرا يزور المعتقل وقد سبق أن زاره على نور الدين النائب العام كما زاره شعراوى جمعة ولم يحدث مثل هذا النشاط فمن هو هذا الزائر الاكبر من شعراوى ؟ وفشل جميع المعتقلين فى معرفة اسم هذا الزائر ٠٠ الى ان رأيت مصطفى عامر يرتدى ملابسه ويغادر الزنزانة ٠٠ ولولا هذه الرش والكنس لاعتقدت انه أفرج عنه ٠

وعاد بعد وقت طويل الى زنزانته وفى المساء وبأساليب تهريب الانباء عرفت أن الزائر كان سامى شرف ! وأعتقدت بغفلتى أن شيئا ما يجرى لصالح عبد الحكيم أو ضده فلم أعرف أنه مات الا بعد موته بثلاثة أشهر تقريبا !

وأتضح أن سامى جاء يزور مصطفى ليدعوه لوليمة شهية بأن يأكل جثة أخيه بنبشه سيرته وحياته الخاصة ! ولم يكتفوا بهذا بل راحوا ينقبون فى أعماق نفوسنا عن المبادىء والاخلاق ليجتثوها ويحرقوها بعد ان تجف من عدم وصول ماء الحياة والحياء اليها ولا شىء يقتل النفوس ويدمرها مثل الحاجة والعوز والفقر والعياذ بالله ٠

فبعد أيام قليلة من هذه الزيارة رفعت الحراسة عن مصطفى وابن

عمه عامر وبقيت على ابن (الجارية) وهو كاتب هـذا الكلام !! وضرب الزعيم مثلا جديدا فى الحكم الصالح الذى كنا نتمناه وندعو اليه !

والمفروض أن الحراسة ترفع عن الشرفاء وتبقى عـلى اللصوص والسفافين والمرتشين والشفاطين وأن يكون لقرار الحاكم هذا المعنى في نفوس المعتقلين والمواطنين الذين علموا بهذا القرار العجيب ولكن كان العزاء أن المواطنين لم يفهموا هذه القرارات بهذا الفهم بل كان أول من نظروا اليها باحتقار وازدراءهم موظفو الحراسة !٠٠ وكنت أتسـاءل فى خوف ماذا يحدث لو طلبوا منى ارتكاب عمل دنيء ليرفعوا الحراسة عنى ؟ ولم أجب على سؤالى فمثل هذه التصرفات لا بد أن نواجهها فى امتحان عملى لنحكم على أنفسنا والحمد لله لم يحاولوا !!

وبقى من اللجنة الفريق محمد فوزى وهو الوحيد الذى كان يعرف الضباط المطلوب فصلهم وكان عند سامى شرف كشف بهذه الاسماء ٠٠ وكانت اللجنة مجرد شكل وقد عرفت أن من بين من فصلوا أصـدقاء لسعد متولى عضو اللجنة !!!

خطـاب استجداء ثقة !

بعد تناول الغذاء فى هذا اليوم الذى وصلنا فيه (يوم ١٢) بقينا فى صمت وحزن الى أن قال المشير وهو يشير الى راديو كبير بجوار شمس كان لا يفارقه وأخذه معه فى السجن ! قال له شوف لنا اسرائيل بتقول ايه يا شمس ؟ وكانت نشرة الانباء انتهت وبدأ التعليق وأخذ المذيع يزهو بالنصر فقال المشير فى ضيق ٠٠ كفاية يا شمس ! ثم قال ايه رأيكم مش أحسن ننام شوية ونسهر بالليل يكون الجو اتحسن ؟ وبالطبع وافقنا وكنت بدأت أنام فعلا وكان من المستحيل أن أجد مكانا فى هذا الزحام حيث كانت الحجرة الواحدة تضم أضعاف ما فى ثلاث حجرات من لوكاندة الكلوب المصرى فى سيدنا الحسين !

وذهبت الى بيتى فى بلدى القريب وعدت فى المساء لاجد جلسـة الظهر لم تتغير وقد إزدادت الكآبة والحزن وأحدث حضورى تغييرا ليصبح

دقائق عاد بعدها الصمت الحزين مرة أخرى ! وكان كل واحد منا يفكر تفكيرا خاصا ونشعر بآلام نفسية وأحزان متفاوتة ولكن هذا الرجل كان يحمل أثقالا من الهموم والآلام لا تتحملها الجبال ٠٠ كان يدفع ضريبة المناصب السياسية العليا وهى ضريبة تصاعدية تصل الى فقد الحياة وما هو أسوأ من فقد الحياة !!

وكان من التفاهة أن يتحدث أحد فى غير السياسة ولا يفتى ومالك فى المدينة !! فاذا لم يتكلم المشير الذى يعرف كل الاسرار فسنبقى فى هذه المحزنة الى أن نختنق ٠٠ وتكلم طويلا حتى عدت لبيتى مع آذان الفجر وبدأ كلامه بالحديث عن خطبة عبد الناصر التى قيل انها خطاب استقالة !

قال : يمكن حد يكون فاكر انى فوجئت بخطبة الاستقالة وباللى حصل بعدها ؟ ده أنا باعتقد ان اللى صدق حكاية الاستقالة مش بس ساذج ده يبقى عبيط !!

هو أول ما اقترح ترشيح شمس للرئاسة كان واضح لاغبى انسان انه عايز يضمن ألف فى المائة ان الناس ح يثوروا ويتظاهروا حتى الطفل فى بطن أمه ح يصرخ ويحتج !! ودى من الغلطات القليلة لجمال لما يتكلم معايا ويفتكرنى واحد من بتوع الاتحاد الاشتراكى !! وبالطبع فوتها له علشان ما يشعرش انى باشك فى جدية استقالته ٠٠

وتأكدت شكوكى لما بدأ يكتب الخطبة لوحده ٠٠ أيقنت أن اللعبة بدأت ! وانه مش ح يجيب سيرة على أن الاستقالة جماعية ونتيجة دراسة ولصالح البلاد ٠٠ وواضح بدون حاجة لاى ذكاء انه لو كان عايز يستقيل (بجد !!) لا كانت عايزه خطب ولا بكاء ونحيب من المذيعين والمذيعات كمقدمة جنائزية للخطبة !! ولو حد سالنى عن الخطبة قبل ما اسمعها كنت قلت له على اللى فيها فجمال يكرر نفسه فى كل حاجة !! كل تنظيم سياسى أزفت من اللى سبقه ! وكل برلمان (أنيل) من اللى قبله !(تعبير أنيل بالياء لا بالباء من النيلة التى تضعها النساء على وجوههن فى الجنازة الحارة !) ٠٠ الخطبة صورت حرب السنة دى زى حرب السويس اثارة

عواطف وشحن ارادة التحدى والرغبة فى الثأر ٠٠ فى حرب السويس كان ضد اعتداء انجلترا وفرنسا ومعاهم اسرائيل والسنة دى ضد أمريكا وانجلترا واسرائيل !! يعنى مافيش لا غلط ولا هزيمة !! دولتين كبار قوتهما رهيبة ومعروفة ضدنا ومعاهم اسرائيل ٠٠ تآمر عالمى وخيانة وغدر ٠٠

وبالرغم من كل ده ماحصلتش غير نكسة بسيطة ! حصل شوية برد ويومين اعتكاف ويشفى المريض ! فهل دى خطبة استقالة علشان الشعب رفضها ؟!

دى أولا شرح لمؤامرة دولية ضد استقلالنا وثانيا مدح فى نفسه ولاعمال الثورة اللى سجلها باسمه فى الشهر العقارى ! وبينسى دائما ان مجلس الثورة هو اللى أنجز أهم أعمالها وسبنا له المبدأ السادس (اقامة حياة نيابية سليمة وحرية وديموقراطية) والمرمطة اللى مرمط فيها المبدا اللى سبناه له أمانة فى عنقه ما حصلتش من حد قبله ولا ح تحصل بعده ! يفتخر بأعمالنا ويلغينا جميعا ويخليها حكر عليه وحده والابن الوحيد من أولادنا الستة اللى سبناه له شنقه ومابيجيبلوش سيرة لانه مبدأ محبوس أو مبدأ ميت !

وثالثا وصف قدراتنا وقدرات الامة العربية لرد العدوان وهزيمته فى جولة أخرى ! يبقى الشعب يقبل الاستقالة ازاى ؟ واحد مجد أعمال وهون من الهزيمة ورسم طريق الانتصار لو استمر فى الحكم ثم ذكر اسم خليفته بدون تزكية لماضيه ولا الامل فيما سيفعله ٠٠ كل مهمته انه ح يلطش منه الحكم !

وفى آخر الخطبة بيقول ان قلبى كله معكم واريد ان تكون قلوبكم معى ؟! فحين يقول ان دى خطبة استقالة ؟! ده واحد بيقول امسكوا فى واوعوا تسيبونى !! أنا عارف ازاى أطرد اليهود وباحبكم وعايزكم تحبونى !!

مامعنى تحمل المسئولية ؟!

واستطر المشير يقول : كان لاجتماعنا الثلاثي معنى واحد لا معنى غيره وهو أننا نتحمل مسئولية الهزيمة فما فيش حد له صلاحية القرار السياسي غير جمال والقرار العسكرى غير هو وأنا وشمس ده راح فى الرجلين باعتباره وزير الحربية ولو ان ترك الحكم مش عقوبة لاننا لا اشتريناه ولا ورثناه !!

وبهذا القرار قررنا اننا نمشي والا أصبحت الهزيمة كالانتصار !! ولكن ظهر معنى جديد لتحمل المسئولية وهو تجديد الثقة بالمسئول الاول عن الهزيمة واستمراره فى الحكم لغاية ماتيجى هزيمة ثانية ويتحمل المسئولية مرة ثانية ! ومش بس الاستمرار ولكن زيادة الانفراد بالحكم والتحكم باسم ازالة آثار المصيبة الجديدة !! وبهذا يكون معنى تحمل المسئولية هو المكسب من تحمل المسئولية !

والادهى وأمر انه بيقول فى خطبته (وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الازمة فاننى على إستعداد لتحمل المسئولية كلها !) يعنى ايه قد أكون ؟! ده انت لازم تكون ونص ! لازم تكون عملت ألف حساب وألف دراسة لقرار مصيرى مثل قرار الحرب فعوامل النجاح والفشل لازم تحسب وتدرس بدقة وعمق وروية قبل فتح فمه بوعيد أو تهديد ويقول أهلا وسهلا بالحرب ويبدأها بالخطب والكلام وبعد ما ترك المصريين لا يتصورون احتمال أى مخاطر يقول لهم (كنا فاكرين اليهود ح ييجوا من الشرق جاءوا من الغرب !!)

وانى على استعداد ! استعداد ايه ؟! انت استقلت والا لسه على استعداد لتحمل المسئولية ؟!

ولكن كم واحد حلل هذا التحليل وسأل هذه الاسئلة ؟! وما تأثيرهم ؟ ويختم كلامه فى أسى قائلا على كل حال ده مش وقت الحساب!

أسرار اذاعة اســـتقالة المشير

يقول عبد الحكيم عامر ٠٠ حتى حقى فى اذاعة اســـتقالتى عايز يلغيه ؟! وأقول لنفسى آ. انيت عرفت دلوقتى بس ان مافيش حـــد فى البلد له حقوق ؟! وامتى حد غيرك استقال وحد عرف باستقالته ؟! ولو كان قال لى وهو فى الحكم هذا الكلام لقلت له هدا التعليق فمن مميزات عبد الحكيم عامر المجهولة على مستوى الرأى العام والمعروفة من المقربين منه أنه لا يكابر فى الحق ولا يغضب منه بل انه حينما كان يســـمع عن موقف رجولى وشجاع لمواطن كان يتمنى أن يعرف هذا المواطن !! وقـــد حدث معى حينما نقلت اليه موقفين لبطلين نادرين فى شجاعتهما وفدائيتهما هما المرحومان الشيخ على عبد الرازق (باشا) وحسين عبد الرازق وكيل الاخوان المسلمين والذى استقال من الجماعة قبل الثورة ٠٠ وكان هذا أيام العزل السياسى وقد ألح (على باشا) فى أن أعطيه وعد شرف فى أن أنقل قوله بأنه لم يخلق بعد الذى يقول ان على عبـــــد الرازق غير وطنى !! ونقلت فعلا كلامه حرفيا وفيه أكثر من هذا من ابن أخيه حسين وبينهما وبين المشير صلة قرابة ولكنه لم يكن يعرفهما ولا يعرفانه وقـــد سعد بهما وبهذه الصلة ورفع عنهما العزل بعد أن رفضا تقديم طلب تظلم ووصف الشيخ على تقديم هذا التظلم بأن فيه اهانة أكثر من هذا الذى يسمى بالعزل !!

وتبدأ هذه القصة حينما يقول المشير انه كان يحب أن يذيعهـــا فى خطاب الاستقالة الموهومة فيقول وقد قدم لى فلان بصفته كذا وكذا وكذلك وزير الحربية استقالتهما وقد قبلتهما وكان الامر قد انتهى ولا سابش له (نزناژه) وتركه (مايع) زى معظم المواقف ! وربما خطر على باله لحظة أن يذيع استقالتى واستقالة شمس ويصهين هو عن حكاية استقالته والتمثيليات لزوم الاستقالة المزعومة ويخطب ويقول انى أنا وشمس المســـئولان عن الهزيمة وقدمنا استقالتينا وبالطبع الموقف ده أصلح موقف لخروجه منا

الازمة فالناس على طول ح يصدقوا ويطالبوا برأسي وينتهي مني ومن الهزيمة ولا حد شاف ولا حد سمع !! ويوجه كلامه لنا قائلا : ويمكن تفكروا انه ماعملش كده لاعتبارات خلفية ؟! .. هو لو كان عمل كده كان عارف ح يحصل ايه ؟! كنت مش ح أسكت طبعا ونتيجتها ح تكون سيئة جدا وكارثة ! وكان عارف انى قادر على التدخل وعلى حسم الموضوع .. وصدق في تقديره ونقل له فوزى وهيكل اللي شافوه أول امبارح من الضباط في بيتى وعرف امبارح مين كان في القيادة !!

اذن كان لا بد من تمثيلية الاستقالة لانه اما أن يقول ان احنا الثلاثة مسئولين ولا يجيبش سيرة لاستقالته أو استقالتنا ويبقى موقف بارد ويقابل بهجوم وبدل المظاهرة تبقى جنازة !! أو يقول ان احنا الثلاثة استقلنا وفي الحالة دي يمكن يحدث صدمة للناس وبيان حجم الهزيمة وانها مش ولعة في شوية عفش وجردل ميه يطفيها ونفسد الزفة اللي راسمها !! أو لا تحدث الصدمة وتمشى الزفة زى ما هو عايزها لكن في الحالة دى ح نمشى فيها !! فالناس ح يهتفوا بعدم التغيير وفي الحالة دى يرجع (الفرسان الثلاثة) لقواعدهم !! وتبقى المسألة كأنه لا حد حارب ولا حصل حاجة ولا فيه غالب ولا مغلوب !! واللي يتكلم بعد كده ياخد على راسه !

وانتهت حساباته الدقيقة (واللي دايما يحسبها بدقة لما تمس شخصه أو تهز مكانته في الحكم) على الصورة اللي تمت ويحقق منها هدفين ..

الاول : يبقى الاستقالة ولا يعلنها حتى يمكن اغرائى بأى منصب آخر ويبعدنى عن الجيش فربما ظن انى اعتدت حياة الرفاهية ولا استطيع الحياة بعيدا عن الحكم ونسى انى رفضت منصب رئيس الجمهورية .. ولكن ربما قال لنفسه ان ده كان في ظروف غير هذه الظروف

ولذا فشل الاغراء يبقى التهديد بانكار الاستقالة واخفاء أمرها تماما ويصدر قرار باقالتى واقالة وزير الحربية ويحملنا مسئولية الهزيمة

(بعد ما يتأكد من عجزى عن عمل شيء) ولا نستطيع الدفاع فلا فيه اذاعة ح تذيع ولا صحافة ح تنشر وهو في يده كل شيء !! وعلشان كده صممت على إذاعة ونشر الاستقالة وهو واثق انى عارف تفكيره وتدبيره .

عبد الحكيم يقـول : هزلت !

وبعد الانفتاح الذي حدث منذ سنوات بالنسبة لنشر بعض أسرار الماضى فقد نشر عن هذه الاستقالة أن ورقة قدمت لعبد الناصر من مكتبه وهو يذيع خطاب الاستقالة وفيها أن المشـــير ينوى الذهاب للاذاعة لاذاعة استقالته فقطع كلامه وأمر بمنعه من الذهاب للاذاعة !

وكالعادة فالقارىء يصدق معظم ما يقرأه ويعتبره حقائق ولا يفكر او يبحث عن الصدق وغير الصدق ولا عمـــا يتفق مع المنطق أو لا يتفق خاصة والمنطق المسكين كان مغمى عليه فى عهد عبد الناصر من كثـــر الضرب والركل والاهانة والاستهانة بسيادته ! أعنى سيادة المنطق !

ففى هذه القصة كان يجب أن يتساءل قراؤها عن الخطر الشديد الذى رآه مكتب الرئيس فى اذاعة استقالة نائبه والرئيس نفســه يذيع استقالته والمفروض أن المكتب يعلم أنه جاد فيها فلا أهمية تدعو للانزعاج من هذا النبأ حتى يقطع خطابه الذى يسمعه ويراه الملايين من المواطنين فضلا عن أن المسئول عن الحكم والرئيس يعلن اســتقالته هو الرئيس الجديد أو رئيس الوزراء باعتبار أن الاجراءات الدستورية لم تستكمل ثم من أين علم مكتب الرئيس بنية المشير ما دام لم يذهب فعلا للاذاعة ؟

والحكاية يرويها المشير فيقول انتظرت أذاعة استقالتى قبـل أن تطلب الاذاعة انتظار خطاب خطير لرئيس الجمهورية .. والقى خطابه ولم يذكر استقالتى فيه وكان ممكن أطلبه وأقـــول له انت ما أذعتش استقالتى معاك ليه ؟ ثم أطلب منه الامر باذاعة اســتقالتى ولكن سببين منعانى من هذا التصرف .. الاول انه كان ح يقول لى .. انت قدمت إستقالتك قبل ما أستقيل ودستوريا أذيع استقالتى وحدى ! وكنت

أقول ومن امتى بتعرف الدستور ؟! الدستور اللى اتولد ميت لما أصدرت لنفسك قانون قبل اعلان الدستور بيوم واحد يعطيك حق إعتقال أى مواطن وخراب بيته بالحراسة هو وأهله وجيرانه واللى يحبوه واللى يكرهوه ! انت ناسى ان احنا دافنينه سوا والا ايه ؟! وكان ح يقول لى ودفنته معايا ليه ؟! وما أقدرش أرد !

والسبب الثانى هو عارف انى لا أرجو أو أطلب حق لى ! حقى آخده بنفسى اذا قدرت واذا ما قدرتش خلاص غار ولا اترجاش !!

***

وانتظرت بعد الخطبة وبرضه ما أذاعوهاش وقلت لشمس تأخير الاذاعة افقدها قيمتها لان الناس ح يقولوا ده استقال لما وجد رئيس الجمهورية بيستقيل وكان مستميت فى مناصبة ومش عايز يسيبها فلازم حد يروح يذيعها حالا لان كل تأخير فيه مظهر الاستماتة فى الحكم .. فابعت يا شمس حد من مكتبى يروح يذيعها .. وانتظرت ان الاذاعة تقطع اذاعتها وتذيع النبأ .. لكن ما حصلش .. لغاية ما رجعوا اللى راحوا الاذاعة وواضح من منظرهم فشلهم فى مهمتهم فقلتلهم ايه ؟ماوافقوش؟ قالوا طلبوا أمر من الوزير !! قلت لهم ما دام الاستقالة لم تعلن فمعكم أمر من نائب رئيس الجمهورية .. هل الاكبر هو والا الوزير ؟! الظاهر ان المسألة أكبر من كده .. أنا رايح بنفسى أذيع الاستقالة !!

ولكنهم ترددوا وتلعثموا وأخيرا قالوا ان سامى شرف أصدر لهم أمر بأنك لو رحت الاذاعة يمنعوك من الدخول !! قلت ما شاء الله ! هى وصلت لحد سامى شرف ؟! وجن جنونى وقلت لازم أروح فورا ولو مت هناك الناس ح يعرفوا على الاقل أنا رحت الاذاعة علشان ايه ؟ لكن خطر لى خاطر تعقل فقلت أسأل جمال فى الاول واشوف الحكاية ايه ؟ ولما طلبته ورد قلت له :

عبد الحكيم : والله هزلت يا جمال ؟!

جمال : ايه بس مالك يا عبد الحكيم ؟

عبد الحكيم : وصل الامر ان سامى شرف يصدر أمر بمنع عبد الحكيم عامر من دخول الاذاعة ليذيع استقالته ؟ سامى شرف ؟! سامى

شرف هو اللى يصدر أمر على ؟!! يبقى عزلت والا ماعزلتنى يا جمال ؟؟ طيب أنا رايح الاذاعة وأشوف اللى يمنعنى مين !

جمال : اهدأ بس يا عبد الحكيم وقول لى عايز ايه ؟!

عبد الحكيم : لسه مش عـــارف عايز ايه ؟!! أنا مش قدمت لك استقالتى ما أذعتهاش ليه ؟

جمال : مش يمكن نعيد حساباتنا ومافيش داعى لاذاعتها ؟

عبد الحكيم : اعادة الحسابات شىء واذاعة الاستقالة اللى فى عدم اذاعتها مساس بكرامتى وكرامة العسكرية المصرية شىء آخر .. وياماناس بيستقيلوا ويسحبوا استقالتهم !!

جمال : حاضر ح نذيع الاستقالة حالا ..

عبد الحكيم : وبما دام سامى شرف بيأمر يبقى على صبرى بيشنق! ولازم هو كمان أصدر امر للجرايد ماتنشرش الاستقالة .

جمال : ستذاع وتنشر بس اهدأ يا عبد الحكيم !!

ثم يقول المشير وأذيعت الاستقالة ونشرت بطريقة نشر فقد ختم أو استقالة شيخ بلد ..

الاستعداد لـذبحة !

لم يكن مضى على وجود المشير فى بلده غير ثلاثة أيام حينما ذهبت لزيارته كالمعتاد فى كل ليلة أقامها هناك .. ورأيت (دكك وكراسى) كثيرة أمام سور حديقة البيت الصغير وقد جلس عليها عدد كبير نسبيا من المواطنين من مركز سمالوط وكان بينهم عدد من أصدقائى الناخبين فى دائرتى الانتخابية والمشتركة مع دائرة المشير فجلست معهم لاجاملهم وأتبادل معهم أحاديثنا المعتادة ولكننى لم أجد أى كلام أقوله !! فقد جاءوا لمجاملة غير معروف أسبابها فهم ليسوا فى مأتم ولا يزورون مريضـــا ولا يحضرون فرحا ! وهى المناسبات التقليدية للزيارة .

وأقبل حسن عامر ليخرجني من حيرتي ويأخذني معه ونسير بعيدا عن الزائرين ويفاجئني برغبة عجيبـــة ! طلب مني أن أذهب بنفسي ولا أستعمل التليفون الى بني مزار (شمال بلدي) واطلب من صديق لنا هناك أن يكلف من يراقب الطريق الرئيسي ليلا حتى اذا رأى قوة قادمة من القاهرة يخطرهم تليفونيا قبل وصولها اليهم بوقت مناسب !

وسألته في دهشة ليه ؟ قال مش بعيد ييجوا يعتقلوا المشير !! ولما كنت أعرف عن الصديق حسن إتزانه وقلة الكلام وتجنبه وضع النقط فوق الحروف حينما يتحدث عن أسرار أو موضوعات هامة فقد أيقنت أن الاعتقال واقع وليس احتمالا كما ذكر ! ولكن لماذا يعتقل المشـــير ؟ وما فائدة أن نراقب القوة التي ستجيء لاعتقاله ؟ وكنت أعرف أني لو سألت حسن سؤالا مباشرا فهو لن يجيب الا اجابات غامضة ٠٠ وكان المشير هو الذي يجيب اجابات صريحة ولا يخفي عني شيئا ما دمت سأشـترك في تنفيذ هذه المهمة المخيفة !!

الا أني فهمت أن حسن يريد أن أبقى هذا الامر سرا بيني وبينه ولم أكن في حاجة لمعرفة سبب هذه المهمة فقد كنت على يقين من أن المشـير لن يستسلم ولن يسلم وهو على قيد الحيـاة ! ومهما كانت المعركة غير المتكافئة فانه سيقاوم وان كان عنده أمل كبير في أن أي قوة من الجيش لن تعتقله بل ستنضم اليه !

وكنت أعرف أن القوة الموجودة مع المشير عندها بضع مدافع صغيرة وبضع بنادق سريعة الطلقات وكافية لحدوث مذبحة مخيفة !! ولكن ضد من ؟! ضد قوة وطنية لسلطة شرعية يجب الا تقاتل (ونحن معها) غير الأعداء ٠٠ ولم أناقش حسن فلا يمكن أن يكون صاحب القرار وطبيعي أنه في هذه المواقف لا يكون تفكيرنا سليما خاصة لمن كان له مثل ضعف أعصـــابي ! فخيل لي اني لو انصرفت دون أن أبقى بعض الوقت مع الزائرين فانهم سـيعرفون هـذا السر الرهيب ! فعـدت لاجلس بجانب رجل لا أعرفه ولا أجد ما أقوله له غير السؤال التقليدي (ازيك

وازى أولادك) ومال مصطفى عامر الجالس بجانبى الآخر على أذنى وقال لى هامسا (ده مش متزوج !) فأردت تدارك الموقف وقلت له (قصدى إزى أخوك وازى أولاده !!) ومرة أخرى قال لى مصـــطفى همسا (ده مالوش اخوات !) فقلت للزائرين عن إذنكم واتصرفت باضطراب أشـــد مما حاولت أن أخفيه !!

ولاول مرة أرى سيارة تسير بدون سائق ! فقد وصلت بيتى وأنا لا أرى شيئا من الطريق ! ولاول مرة أيضا أجد أن قرار الخوف قد يكون أحكم من قرار الطمأنينة ! فقد قررت ألا أنفـــذ هذه المهمة الخطيرة وبدون حساسية بالنسبة للاخلاق فليس من الوفاء أن أرى صديقا ينتحر فأجامله وأنتحر معه !!

ورأيت أنى بعدم تنفيذ هذه المهمة أتيح للقوة المكلفة بعملية الاعتقال أن تفاجىء أصدقائى وأنا معهم وتعتقلنا فى هدوء ! فالاعتقال مهما كان أفضل من تمزيق أجسادنا برصاص الاصدقاء !

مكـالمة تليفـونية من عبد الناصر

كان من الطبيعى أنى لم أنم فى تلك الليلة الرهيبة ولم يكن الخوف وحده سبب الارق ولكن كان معه القلق ! فأنا لا أعرف فى الغد ان كنت سأعتقل أم أقتل ! ولم أكن أعرف عن الاعتقال شيئا وأعـــرف انى من التراب خلقت والى التراب أعود ولكن المشـــكلة هى متى وكيف أعود فرغم ما فعلته من أجل تجنب الصدام فقد يقع هذا الصدام رغم المفاجأة وربما كان الاحتمال ضئيلا ! ولا نجاة لى الا بالهرب وعدم الذهاب لزيارة المشير كالمعتاد .. ولكنى أعرف أن الموت ليس عارا ولا مهانة وكـــذلك الاعتقال وقد أنجو منهما .. أما مثل هذا التصرف الجبان فهو عار يلازمنى حتى بعد الموت ! فلم تكن الشجاعة فضيلة اخترتها بارادتى ولكنها قدر محتوم !

وكان أى تصرف غير معتاد منى بالنسبة لادارة أعمالى أثناء اعتقالى أو وصيتى لابنائى ينشط عند من ألقى اليهم بتعليماتى خيالهم فيؤلفون

من ينقلون اليهم مخاوفى عشرات القصـــص المختلفة والمختلقة (بالفاء والقاف) وقد تكون احداها سببا في اعتقالى اذا لم يحدث ذلك الاعتقال! لذا ألقيت نظرة وداع عـلى بلدى وبيتى وذهبت الى أصـدقائى ألقى معهم مصيرنا المجهول !

وكان المشير وحده صاحب هذه الازمة (وربما شمس) أما نحن جميعا فالبعض منا لا ذنب له الا بالانتمـاء بصـلة القربى ولا أرادة لهم فيها وانتمائى كان بسبب الصداقة وهى ليست جريمة أعتقل من أجلها أو أقتل ! فهى الصلة التى كانت بين عبد الناصر وعبد الحكيم والتى أراد كلاهما أو أحدهما لها البقاء !! ولكنـه كان حـكما بلا عدل أو منطق !!

وكنت أتوقع أن يسألنى حسن فى لهفة عن تنفيذى لتلك المهمة ولا أريد الكذب الذى كان آفة حياتنا وسبب كل النكبات والمصائب .. ولا أريد الصدق كى لا أفسد خطة تجنب الصدام الدموى الرهيب وكانت كلمة واحدة هى التى تحمل معنى الصدق والكذب فى وقت واحد وهى (انى تصرفت) !! فلا أكون كذبت لانى تصرفت فعلا بما يمنـع وقوع الكارثة ولا صدقت لان المشير سيظن انى نفذت المهمة كما أرادها !!

ولكننى فوجئت برؤية حسن ووجهه لا يدل على أى توتر أو قلق أو اضطراب ! ولم يسألنى عن شيء كأنه لم يحدث بالامس شيء واننى كنت أحلم بكابوس مخيف ! فقلت له أنا شايفك طبيعى جدا أمال نشفت دمى امبارح ليه ؟! قال بالغموض الذى أتوقعه ظروف ! ولم أســأله عن أمر يريد كتمانه وذلك كان أسلوب تعاملنا فى علاقتنا ولكن المشير كان أصرح وأشجع وأقوى وحينما يثق فى شخص خاصـة ان أشركه معه فى تحمل مسئولية فلا حدود لثقته .. فبعـــد انصرافى بالامس فوجىء بمكالمة من عبد الناصر بدأها بقوله :

جمال = أعمل ايه ؟ اشتقت عليك !! قلت أسأل عليه أنا ما دام هو مش عايز يسأل

وتلعثم عبد الحكيم الذى لم يجد كلاما يرد به على تمثيلية الاشواق المفاجئة !! فقال له

عبد الحكيم : ازى الاولاد فلان وفلانه وكان يحب أبناء صديقه كابنائه تماما كما كان عمهم (حكيم) أول واكبر حب فى حياتهم

وطلب عبد الحكيم منه أن يكلم الاولاد فقال له جمال انهم والاسرة يزورون أسرته فى الجيزة فشكره عبد الحكيم فقال جمال جرى ايه يا حكيم ؟ احنا بقينا أغراب والا ايه ؟ هى المسائل الطبيعية عايزة شكر ؟

ومرة أخرى لم يجد عبد الحكيم ما يقوله الا (همهمة) يعبر بها عن شعوره بالتقصير لانه لم يسأل عليه أولا !

وقال جمال : ما تيجى بأه يا عبد الحكيم ! أنا مش شايف معنى لقعادك عندك وسايبنى وحدى فى الظروف دى .

وقال عبد الحكيم : معلهش بارتاح كام يوم ولما تحتاج لى بعد ساعتين أكون عندك أو تبعث لى طيارة على المنيا بعد نص ساعة أبقى معاك .

وختم جمال حديثه بقوله : معلهش اسيبك شوية زى ما انت عايز لكن ضرورى تيجى بسرعة .

وبعد سماعى لهذا الحديث استأت استياء شديدا لسوء ظنهما (المشير وحسن) بجمال صهرهم العزيز وصديق العمر !! وبعد استماعى للتعليق الذى سأذكره استأت من نفسى ! لان فهمى وتقديرى للعاطفة يسببان لى دائما الغفلة والبلاهة ! فقد كنت أحسب أن العاطفة لا يمكن استغلالها وتمثيلها على من نحبهم أو نكرههم خاصة حينما يكون الانسان قويا ولا حاجة له للاستغلال أو التمثيل !

ليست الاشواق احد الاسباب

وكان اجماع الحاضرين فى التعليق على هذه الاشواق سبب المكالمة انها لعبة مكشوفة وفيها امتهان لعقولهم ! ولكن المشير كان عاطفيا فقال لهم (الراجل معذور ما يقدرش يتكلم فى التليفون غير كده) .

وكان الحاضرون والقريبون والمتصلون بالمشير يخافون عليه من هذه العاطفة وحسن الظن اللذين يؤثران فى تصرفاته بعكس عبد الناصر

الذى كانت العاطفة ليس لها أى تأثير في قراراته وكانوا يرون أنه اذا لم يبتعد عن طبيعته هذه فسوف يقع حتما فى الهوة العميقة التى يحفرها له صديقه ولا يخرج منها !

وكان رأيهم فى الاسباب التى دعت عبد الناصر الى هذا الاتصال ولم يمض غير ثلاثة أيام على فراقهما أن عنده أمورا تقلقه فى القاهرة أو يخشاها أو يتوقعها .. وأن عبد الحكيم قادر على أن يطمئنه ويزيل القلق من نفسه وأنه (عبد الناصر) سيستغله بصورة ما وأسلوب ما لايعرفونه حتى اذا انتهت مهمته كان له منه موقف آخر !

كما كانوا يذكرون اللجنة التى شكلها عبد الناصر لتصفية عبد الحكيم ويعجبون كيف يقتل القتيل ويلطم الخدود ويكون أحد المشيعين لجنازته نواحا ونحيبا ! ويتساءلون ماذا سيقول لعبد الحكيم تبريرا لهذا التصرف ؟

ويطرأ على أحدنا خاطر فى اقتراح يخفف به حدة هذه الكآبة التى تسود الجو الحزين الذى نعيشه فيقترح أن يدلى كل واحد منا يتصوره لما سيبرر به جمال تصرفه وأن يكون بيننا رهان يكسبه من يصدق فى تصوره ! ولكن أصغر الحاضرين سنا يقول اننا جميعا سنخسر الرهان! فلا يمكن لاحد أن يصدق فى حكمه على أى تصرف من تصرفات عبد الناصر !!

ونعترف بهذه الحقيقة .. وقد كنا نقوم فى نادي أبناء المنيا قبل كل خطاب فى ٢٣ يوليو بمثل هذه المحاولة ويستنتج كل واحد منا مفاجأة هذا العام ثم لا يصدق أى استنتاج !!

ونعود لمحاولة فهم الاسباب التى تدعوه لاستدعاء عبد الحكيم مع أن الواضح أن بقاء المشير فى بلده يبعد أى احتمال لحدوث أزمة بينهما ..

ويقول واحد أن السبب الثانى هو أن يكون عبد الحكيم تحت رقابته فى القاهرة ويرد آخر بأن الرقابة هنا أيسر وأن المباحث ترصد وتسجل كل زائر له هنا .. والمكالمة التليفونية يسمعها جميع موظفى لترنك من القاهرة الى سمالوط !

ولا يبقى الا أسوأ ظن وهو أنه يريد استدراج عبد الحكيم للاقامة في بيته في الجيزة ليؤلف له إتهاما يصعب الصاقه به لو كان فيقريته!! وكان أسوأ ظن هو أصدق فهم !

بعض النفاق المبتذل !

أرجو ألا يكون من بين قرائي الاعزاء من يتصور أن عجزنا عن فهم قرارات وتصرفات عبد الناصر كان نتيجة لقصور عقولنا عن ادراك عبقرية هذا الالهام ! كما قيل في المقارنة بين رسالتي عبد الناصر وسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بأن الثـانية كانت من وحى السـماء أي لا فضل لسيدنا محمد فيها (وأستغفر الله) أما الاولى فهى من عبقرية انسان له هذا التفوق العضلي الذي تجاوز به الامكانيات العقليـة التي للبشر !

وكان الذى قال هذا الكلام السخيف المبتذل سـعد زايد محافظ أسيوط في خطاب عام نقلته وسجلته الاذاعة ... ثم رقى بعد هذا الخطاب وهذه البلاغة ليكون محافظ القاهرة !!

ولم يكن في الحقيقة صاحب هذا البحث العلمي الخطير (!!) ولكن سبقه مع الاسف الشديد أستاذ عالم هو رئيس جامعة أسيوط (برضه!) في المؤتمر الاول للاتحاد القومى في لجنة التوجيه القومي وأمام كبـار الادباء ورجال الفكر ومنهم فكرى أباظة ومصطفى وعلى أمين واحسـان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين ... الخ .

وكان عبد الناصر يطوف بلجان هذا المؤتمر ليعطيها مهابة وأهمية اعلامية ودعائية ليتوهم الناس أن قراراتهـا لم يأت بها السـابقون ولا اللاحقون !. رغم أن هذه القرارات جاءت نتيجة تمثيليات أخرى من عدة فصول ومتشابهة في كل لجنة ويعرفها جميع أعضـاء ذلك المؤتمر وهم مئات وأرجو أن يكونوا جميعا من الاحياء .

وكان الدكتور حزين يتصور (والله أعلم) أن عبد الناصر سيسمع هذا الكلام أو أنه سينقل اليه وكان دليل هذا الظن وأترفق فلا أقـول

أنه يقين أنه ظل يكرر هذا القول السخيف حتى يئس من حضور عبد الناصر أثناء القائه له فانتقل لغيره في خطبته الطويلة والتي ليس لها أي مبرر لانه لا يلقيها على تلاميذ وانما على بعض من ذكرت أسماءهم !! ٠٠ وسمعت السيدة الفاضلة الدكتورة سهير القلماوى هذا الكلام السخيف وكان يجلس بجانبها أمين شاكر (الوزير والمعتقل فيما بعد) وكنت أجلس أمامهما ٠٠ وقالت السيدة الدكتورة لامين شاكر (وأعتقد أنه كان في هذا الوقت أو قبله مدير مكتب عبد الناصر) انها تشمئز وتكاد تتقيأ من هذا النفاق السخيف المبتذل !

وتمضى الايام ولا بد أن تمضى سواء عاشت في الضياء أو في الظلام وبعد ما يزيد على خمسة أعوام يحال الى في أمانة الهيئة البرلمانية لمجلس الامة شكوى من محمد عثمان نائب أسيوط (أيضا أسيوط !) ومحافظها الآن ومعه زميله محمد على كيلانى نائب ديروط ضد الدكتور حزين مدير جامعة أسيوط !! وهي في حجم كتيب متوسط الحجم ٠٠ وبدأت أقرأها وأسأل بعض المختصين من الفنيين عن بعض ما فيها تمهيدا لكتابة تقرير عنها وعما يجب أن يتخذ فيها من اجراءات ٠٠ وفي ذات صباح توقفت عن القراءة فقد فوجئت بتعيين السيد الدكتور المشتكى في حقه وزيرا للثقافة ! وحفظت الشكوى عندي حتى الآن !

ان ذلك العجز عن التنبؤ بما يقوله أو يفعله عبد الناصر كان نتيجة عجز عقولنا عن توقع صدور ما ليس معقولا ولا مقبولا ولا مفهوما !

مستقيل وغير مستقيل

الذى كنت أعرفه وقرأته منذ قامت في مصر أول حكومة أن الوزير ومن أعلى من هذا المنصب اذا قدم استقالته فانها اما أن تقبل ويأخذ أوراقه الخاصة من مكتبه ويودع موظفى وزارته ويترك سيارته الحكومية ويرفع كشك الحارس من أمام بيته ويعود حارسه الى حرس الوزارات٠٠ واما أن ترفض وتقنع المستقيل ويعود الى عمله وخلال فترة قصيرة جدا٠٠ ولكن في أيام عبد الناصر لم يكن أولا أحد يستقيل ولا أحد يقال ! أسماء

تختفى وتجيء أسماء بعدها ! كانت القرارات الجمهورية تصدر بعد تنفيذها أو لا تصدر ! (مثل بعض ما نشر عن قرارات فرض الحراسة !) وحدث أن حضرت اجتماعا مشتركا من لجنة الشئون العربية واللجنة المالية فى عهد حكومة على صبرى وكانت اللجنة المشتركة ستقدم تقريرها الى أعضاء مجلس الامة عن عملية صك نصف مليون ريال يمنى لحكومة اليمن (وكان جيشنا هناك) وكانت العملية تحقق ربحا للخزينة المصرية لا دهشة من عدم صدور قرار جمهورى ولكن الدهشة كانت بسبب اثارة هذه المواضيع الهايفة (!!) فمسألة قرارات جمهورية ودستورية وهذا الكلام قد ينظر اليه على أنه كلام رجعى ولا يتفق مع جدية الاشتراكية التى لا تعبأ بهذه الاجراءات الشكلية !! وأذا كان القانون يعطى أجازة .. وحقوق الانسان العالمية لا يحميها قانون ! ألا يجوز أن تأخذ مثل هذه القرارات راحة وتصطاف وتصدر على مزاجها ؟! وهذا ما أثبته البحث فقد صدر القرار بعد أن تسلمت حكومة اليمن النقود بستة أشهر !

ووجد بعض الاعضاء أنها فرصة لارضاء حنينهم الى الكلام فى مثل هذا الكلام الذى اشتاقوا اليه وارتفعت الايدى وكل واحد نفسه يدوق الفاكهة الجديدة !! وقلت فى ضنجر ايه فايدة أننا نتكلم للصبح فى كلام مفهوم ومعاد ؟! ح نعمل ايه يعنى ؟! نرجع الفلوس ؟! انصرفت !!مافيش غير اننا نقول الحكومة غلطت ويجب ألا تكرر هذه الغلطة !!

وقال رئيس اللجنة عال ! ما دمت (لمض) بالشكل ده .. خليك انت المقرر للموضوع !! قلت له وماله ؟ وستين مقرر كمان !!

وحينما عرض الموضوع على المجلس ضمنت التقرير هذا الرأى وانتظرت أن تحتج الحكومة وتقول أى كلام أو أن يقول أحد الاعضاء من غير اللجنة للحكومة (عيب ماتعمليش ثانى كده ؟!) ..

وكنت أريد أن أتكلم وأرد وأناقش ولكن لما لم يتكلم أحد ح أقول ايه ؟ قلت السلام عليكم وغادرت المنصة دون أن أفتح فمى !

وهذا ما حدث مع المشير فلم أقرأ أو أسمع عن صدور قرار جمهورى بقبول الاستقالة أو رفضها والذى حدث أن هذا القرار لم يصدر حتى بعد وفاته ! وكنت متلهفا الى صدور هذا القرار لاعرف راسى من رجلى وأخذ

الاستقرار في أي وضع يكون .. وخشيت اثارة الموضوع كي لا يقال لي انت مستعجل على خرابها ؟! أو يظن أني أريده أن يعود في أي وضع لانى أيضا مستعد لالحس أى اناء !

وترتب على هذا الوضع (المايع) أحداث نراها في فصل قادم .. ولكن في هذه الايام الاولى أثناء اقامته في قريته كنت أتمنى أن يرى المشير كيف أصبحت شخصية الانسان المصرى ؟

حصاد الماضي

لقد كان يصعب ان لم يكن يستحيل على كل صاحب منصب مرموق أن يعرف مكانته عند الناس ورأيهم فيه .. فاذا ترك المنصب أو أبعد عنه رأى ماضيه وحسابه مع مواطنيه فمن احتفظ منهم بصداقته فليس منهم من كان يطمع في نفع أو يحتمى من أذى .

وفي وسط الزحام لم أكن شخصيا أستطيع اكتشاف الصديق الدائم من الصديق الترانزيت العابر الذى يصادق السلطة الا الاشخاص

ولقد كانت لنا قوة نسبية أذكرها دون حذر أو حساسية من هذا التعبير الوهمى (مركز قوة) الذى يطلق دون تحديد لمعناه وأسماء من يطلق عليهم ويسعدنى أن أكون أول وآخر (حتى الآن) من أنكر واستنكر أن يصبغ في تاريخنا كلام غير مفهوم !

فهؤلاء الذين يظن أنهم مراكز قوة لا يجب أن يحملوا هذا الاسم ويمكن أن نسميهم كرابيج عبد الناصر أو زبانية جهنم حكمه أو أصحاب قصور الاشتراكية وثروات الرجعية وحياة ترف القيصرية ! وهم نافخو المزامير وحارقوا البخور وعازفوا أناشيد التمجيد والتقديس وهم يعرفون أنها أناشيد جنائزية !! انهم لم يكونوا أكثر من أصفار لا يعرف عددها على يسار عبد الناصر !

وكيف نتحدث عن مراكز قوة وفي نفس الوقت نتحدث عن حكم الفرد ورأى الفرد وعبادة الفرد ! دون أن نقول من هو هذا الفرد ؟! بكل صراحة اننا نختفى وراء هذا التعبير حتى لا نذكر اسم عبد الناصر صراحة !!

انه من العار ونحن نعيش في ظل سيادة القانون وحماية القضاء ونفهم جميعا أمرا واسما صريحا ثم تلف وندور ونعبر بما لا معنى له فنقول في عهد مراكز القوة ! يعني ايه ؟! يعني عبد الناصر وزع توقيعه في كليشيهات على عديد من الناس وغير مجددة أسماؤهم وأساءوا التوقيع به وهم الذين نسميهم بمراكز القوة ! كل واحد منهم اعتقل عددا من الناس وخرب بيوت عدد آخر !

حرام والله على مصر صاحبة أول حضارة ينشأ فيها جيل وأجيال لا يعرفون معنى كلام يقرأونه أو يسمعونه !

الا يعرف الناس أن الاعتقالات والحراسات لا تتم وتنفذ الا بتوقيع عبد الناصر ؟

وهو لم ينشر اعلانا يقول فيه فقدت ختمي ومن يجده يعيده بالعنوان أدناه ولم أوقع به على اعتقالات أو حراسات !

من المسئول ؟ هل الذى أعطيت له سلطة أم الذى أعطاها ولم يحدد لها حدودا أو قيودا ولم يعاقب من أساء ويثيب من أحسن ؟! بل ويالاعار مرة أخرى ! الذى أثاب من أساء وعاقب من أحسن ؟! وليس هذا أيضا كلام انشاء ولكنه بالادلة والاسماء !

وكانت ترافق المشير سيارتان من الشرطة العسكرية وسيارة ثالثة حكومية وبعض جنود وضباط الحرس وان كانوا بملابسهم المدنية .. وهذا المظهر جعل الناس يعتقدون أن المشير باق في الحكم فجاءوا للمجاملة ولكني أعتبرت أوراق الامتحان مغشوشة فأجلت تصحيحها ! ثم عرفت بعد خروجي من المعتقل والى اليوم الاجابات الصحيحة من تلك المغشوشة! وان كان للناس عذرهم فهم لم يدرسوا من المقـــرر غير مادتي الخوف والنفاق فكيف نمتحنهم ؟! واذا كان المشير ليس ناظر المدرسة فقد كان وكيلها !!

صلاح نصر فوق !

ذهبت قبل ظهر يوم ١٦ يونيو الى حيث يقيم المشير وفوجئت برؤية

محافظ المنيا على فهمى شريف يجلس وحده فى شرفة البيت .. وكنت أعرف أن المشير فى الاجازات ينام حتى الظهر فهو من هواة السهر ولذا لم أجد أحدا من الاسرة موجودا .. فجلست مع المحافظ كمضيف وأنا أحار فيما أفعل ! فلو كان المشير فى مناصبه السابقة لانتظره المحافظ حتى يستيقظ .. وان كان يريد أن يكون مواطنا عاديا ويتخلى عن عاداته وهواياته فيجب أن يستيقظ ليقابل المحافظ !..

انه هو الذى يقرر كيف يتعامل فى حياته الجديدة .. ولكن الاهم هو لماذا جاء المحافظ ؟ فلو لم أكن أعرف أنه رجل أخلاق أحالته الى المعاش بعد شهور (!!) لظننت أن المشير عاد الى مناصبه وان كنت لم أقرأ هذا النبأ !

وأدرك المحافظ ما يجول بخاطرى .. فقال لى انه تلقى اشارة بأن ينتظر صلاح نصر فى مطار المنيا ويرافقه ليقابل المشير وأن صلاح تركه وحده وصعد الى الدور الثانى ليقابله .. ولم أكن أريد أن أقابل صلاح نصر فقد كنت التقيت به عشرات المرات فى المناسبات التقليدية ولم يسلم على وبالتالى لم أسلم على منصبه فلست جاسوسا وليس فى دائرتى الإنتخابية جواسيس ! وفى احدى ليالى صيف ٦٥ كنت فى قاعة الانتظار فى مستشفى الطيران حيث كان المشير تجرى له عملية جراحية طارئة وكان فى الحجرة بعض الوزراء والمحافظين وجاء عبد الناصر ومعه صلاح نصر الذى جلس بجانبى وبقينا جميعا حتى الصباح وكنت أقوم بدور المضيف لوجود حسن عامر بجانب غرفة العمليات .. وبعد يومين قابلنى فى نفس المستشفى ولم يسلم على ولا أنا سلمت على منصبه !

وقلت للمشير ان صلاح نصر يذكرنى بناظر مدرسة أعرفه كان يعامل جميع الناس على أنهم تلاميذ ! وكان المشير ينقل أى ملاحظة أو نكتة تعجبه لصاحبها ! وكان عبد الناصر أكثر من ينقل لهم المشير دعاباتى ولم يكن يعرف أنه سيتركنى وجها لوجه مع من لا يغفر الابتسامة لا النكتة ! ولكن الامر هنا كان يختلف فصلاح فى بلدى ويجب أن أرحب به لكننى لا أعرف هل يقدر ترحيبى أم سيظن أنى قد أكون يوما جاسوسا

يحقق معه ؟! فانتظرت بلهفة مجيء أخي أفراد الاسرة ليجلس مع المحافظ وانصرفت لاعود في المساء وأعرف سبب هذه التهمة التي كان واضحا أنها وسمية ..

دعوة المشير للعود لمنصبيه

وعرفت في المساء أن صلاح نصر جاء موفداً من عبد الناصر ليعرض عليه العودة إلى منصبيه السابقين منصب النائب الاول لرئيس الجمهورية ومنصب نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة ولكن بدون اختصاصات فتكون جميع أمور الجيش من اختصاص محمد فوزى القائد العام وبالطبع من قبل هذا للرئيس الاعلى ويبقى المشير معهما كمنظر !!

وبالرغم من أن عبد الناصر اتصل بعبد الحكيم من ثلاثة أيام كما ذكرت فهو الان يوفد صلاح نصر بالاغراء الذى سبق وتنبأ به عبد الحكيم وفي خلال هذه الايام الثلاثة استدعى عباس رضوان وصلته الوثيقة بالمشير معروفة وشكا له من عبد الحكيم الذى يتركه وحده فى هذه الظروف ويقعد في بلده اسطال !

وكان رأى الاصدقاء أن يقبل المشير هذا العرض الذى كانه هبط من السماء .. وأن ينحني للعاصفة حتى تهدأ ثم يكون له التصرف الذى يراه .. وقالوا ان الذين خرجوا من الحكم اختفت أسماؤهم وانطفأت أضواؤهم ولم يعد أحد يذكرهم وانطووا فى ظلام النسيان وساعد هو أو رضى لهم هذا المصير فلماذا يتوقع أن يكون مصيره أفضل أو يحل لنفسه ما حرمه على غيره ؟!

وشعرت (وقد أكون مخطئا) أن كل واحد يبكي على ليلاه التي ستهجره ! فرئيس الشركة يتطلع ليكون رئيس مؤسسة وهذا يتطلع إلى الوزارة .. ورئيس المدينة يتوقع أن يكون محافظا وعضو مجلس الامة يبقى عضوا الى الابد اذا لم يتطلع الى أكثر .. ومن في الاتحاد الاشتراكي يرجو أن يعيش في النفخة الكذابة والمظاهر الهايفة وهكذا .

ولا أزعم انى كنت من الملائكة لا أعيش فى أرضهم ولكن رؤيتي

للبلاء كانت فى أن أعيش الحياة التى أحترم فيها نفسى وأرضى عنها ٠٠ وأن أجد حريتى الشخصية التى فقدتها بالنسبة لحياتى الخاصة بما فيها من هوايات وصلات وعلاقات خاصة وأعمال تدار أسـوأ ادارة ٠٠ وأن أستطيع رؤية أبنائى والحياة معهم وقد كنت أعود لبيتى وهم نيـام وأستيقظ بعد أن يذهبوا للمدارس !؟ وكما كنت لا أعرف حقيقة صفات الناس ومعادنهم فهم أيضا يرتابون فى مثل ارتيابى فيهم ! وكنت أعرف أن الكثيرين كانوا يظنون أنى أسير على عكازين من صنع المشـير وأنى لا أعرف مثلهم كيف يكون لى وجود اذا ما فقدت العكاز !

كذلك كنت واثقا أن عبد الناصر لن يغير شيئا فى أسلوب حكمه ٠٠ وأن المستقبل لن يكون فيه جديد أفضل بل قد يكون فيه اتهام ظالم من الناس أو اشاعة خبيثة لا أستطيع تكذيبها فالناس لا يتحـدثون عن السلوك الحميد ولكن يتحدثون عن الاخطاء والعيوب ٠٠

كان رأيى ألا يقبل المشير هذا العرض الا اذا كان مشروطا بتغيير أسلوب الحكم ٠٠ وأن مبدأه كان تغيير كل القيـادة التى تسببت فى الهزيمة كى لا تكون كالنصر وكى يكون فيهـا درس لمن ينفرد وحده باتخاذ قرار مصيرى كهذا القرار ٠٠ واذا كان لم يستطع تحقيق هـذا المبدأ فلا أقل من أن ينفذه بالنسبة لنفسه ٠٠ ولكنى لم أنطق بهـذا الرأى لارى هل سيكون قراره قرار مصالح أم قرار مبادىء ؟؟

أين الخطأ وأين الصـواب ؟

ولكن الاصدقاء أبدوا آراء كنت أعرفها وجعلونى أخجل من رأيى المتسرع وأحمد الله أنى لم أقله ٠٠ قالوا ما أستطيع اثباته لولا تضـخم حجم الكتاب ولكن بعضه ثابت فى محاضر اجتماعات وجلسات وبأدلة أخرى ٠٠ الا أن ما قالوه كان حتى مارس سنة ١٩٦٤ ٠٠ بعد هـذا التاريخ لا أعرف الا أن عبد الناصر احتوى عبد الحكيم بعد تعيينه نائبا أول له فاحتوى معظم ماضيه ! هذا رأيى تؤيده الاحداث وان كان له دفاع

قد يخفف من أخطائه ولكنه لا يعفيه منها ٠٠ وكلمة أخطاء نفسها خاطئة فقد سماها هو فى وقت لاحق من القصة بالجرائم !

تحدثوا عن تصميم عبد الحكيم وإعلانه لرأيه لنا ووعده المتكرر فى أنه سيعمل على منع المسار من الاندفاع الى أقصى اليسار ٠٠ ووقفه قبل الوصول الى هاوية الشيوعية ورأيه فى أن هذه قضية مصيرية لا نقاش فيها ولا انصاف حلول ٠

كذلك كنا نعلق عليه آمالا كبار بالنسبة لبعض الحماية للعدالة وللتخفيف من غلواء الشعارات الغوغائية !

ثم تحدثوا عما سيحدث فيما لو ترك عبد الحكيم جمال والحكم لينفرد به على صبرى وسامى شرف والشيوعيون ٠٠ وقالوا ان الروس والشيوعيين سيجنون أول ثمار الهزيمة بابعاده عنه ليخلو لهم وجهه وحده وأنهم لن يجدوا من يوقف زحفهم المسعور وله مثل قوة عبد الحكيم وتأثيره ٠٠ وتساءلوا عن فائدة السلبية فى بعده عن الحكم ٠٠ وهل هذه الاضرار التى تحدثوا عنها تساوى التمسك بمسائل معنوية ونظرية كالمبادىء والكرامة الشخصية ومصلحة مصر فوق كل اعتبار ٠٠

عبد الحكيم يرفض ويذكر الاسباب

وكان الاصدقاء يظنون أن المشير طلب مهلة للتفكير فى عرض عبد الناصر فترافعوا مرافعات حارة ثم تبين أن مرافعاتهم كانت بعد صدور الحكم فى القضية !

وقال عبد الحكيم انه يقدر وجهة النظر التى ذكروها ٠٠ ولم تغب عنه وهو يعطى قراره الحاسم لصلاح نصر وهو رفض هذا العرض الذى جاء يحمله والذى كان يتوقعه ٠٠ وقال له قل لجمال أنا لا أعرف المناورات ولا التماحيك وحينما استقلت لم أكن أناور ليبقينى وقد كان فى وسعى أن أبقى بدون استئذانه وعلى غير ارادته فلماذا ألقى الرغيف وأعود لاستجدى لقيمات منه أو أقبلها كاحسان شاكرا له كرمه ! ثم قال لنا ٠٠

كنت أظن أنكم مقدرون لاسباب الرفض .. فمسألة الاختصاصات هي سبب استقالتي سنة ١٩٦٢ وسلبي اياها يعنى تماما ابعادي عن الجيش وهي أمنية جمال من (حداشر سنة) وتحققت برضائي ! ولما استقلت وقتها لو كان قادر يقبل الاستقالة كان قبلها ولو كان قادر يعزلني كان عزلني ! فالمسألة مش زى الناس ماهم فاهمين ان اللى بيننا صلات وعواطف بتتدخل فى القرب والبعد والمناصب .. اللى بيننا فرض وجود على غير ارادته ! فلا يمكن لجمال أن يشترك معه واحد فى الرأى أو يقبل ان واحد يرفض له رأى علشان سواد عيون الصداقة والعواطف

راى جمال انه يمسك كل حاجة فى يده وحده على ان دى هى الطريقة المثلى للحكم ! وأنا رأيي انه اذا ماكانش فيه شرعية دستورية ونظام شورى حقيقي (وده عكس رأيه وضد طبيعته) فلا بد من قوة ثانية تعمل بعض التوازن .. ورأى اثنين غير رأى واحد خاصة وانتا مختلفون فى حاجات كثيرة .

ولان القوة الثانية مالهاش صفة العلنية فأنا حبيت أعلنها مرة واحدة من باب طمأنة الناس ولكبح جماح كبريائه باظهار أنه كل شيء ! فبعد اعلان الميثاق (ولو أن رأيي فيه أنه نص العمى ولا الغمى كله)وثانى يوم فى العرض العسكرى للجيش أعلنت فى خطبتى القصيرة السنوية (ان الجيش يضمن تنفيذ الميثاق) وشفت ان المعنى واضح واللي مايفهمش بعد كده يبقى مش ح يفهم أى حاجة !

وجمال لا يمكن ينسى الموقف ده وعشرات غيره فلو رجعت من غير قوة ومن غير كرامة ح يحاول يخلص كل ده ولو قلت له رأى يرفضه حتى لو كان عاجبه !

وأكثر من كده رجوعى للجيش من غير اختصاصات معناه ان محمد فوزى يصدر قرار باحالة مدير مكتبى للمعاش ويصدق عليه جمال وأنا أقرأه فى الجرايد !

مافيش فايدة !

واستطرد المشير يقول : بتقولوا أقبل اللى عرضه على علشان مصلحة البلد .. ايه فايدة انى أرجع وأتحمل المسئولية لسياسة لا أومن بها ومن غير ما يكون لى قدرة على تغيير هذه السياسه أو اقناع جمال بتغييرها ؟ الافضل انى أبعد وأحتفظ بصداقتنا حتى اذا قلت له رأى يسمعه ولا يعتبروش املاء رغبة .

واذا حدثت معجزة وآمن بما بح صوتى بالمناداة به أمكن التعاون معه بأى صورة وفى أى منصب اذا احتاجت لى بلدى .. لكن رأى جمال بل الهزيمة هو رأيه بعدها ! والنهاردة واضح انه سيعتمد على الروس وحدهم ومستمر فى عدائه لامريكا والغرب رغم ان أى واحد حتى لو كان روسى يعرف ان حل القضية فى يد أمريكا ومعها أوروبا ..

الغربية كقوة ضاغطة ومساعدة واحنا قطعنا العلاقة بالاثنين !

بل ان الموقف ساء أكثر بعد ما سمعت من اسرائيل تسجيلا فى اذاعتها التقطته لمكالمة تليفونية لجمال مع الملك حسين وعبد المنعم رياض وبيقول (يا عبد المنعم اصدر بلاغ وقل فيه ان الطائرات الامريكية بتضرب الاردن !) فلما أنكر عبد المنعم الواقعة قال له (علشان المعركة تحمى!) يبقى ايه شعور الامريكان والغرب والعالم بعد ما سمعوا التسجيل ده ؟ هل يقفوا معنا ويساعدونا من غير ما نحاول تحسين العلاقات معاهم واعادتها عن طريق أصدقاء لنا ولهم ؟!

أنا متأكد ان جمال مش ح يحاول ده أنا ياما حاولت أخليه يزور أوروبا الغربية ويشوف صناعاتهم وحياتهم وتقدمهم .. مافيش فايدة ماقدرتش ! عايزين دلوقت أقول له علشان خاطرى تعيد العلاقات مع الناس دول ونبطل نشتمهم ؟!

ده بالنسبة للسياسة الخارجية .. أما بالنسبة للسياسة الداخلية

فنفس الحكاية وأسوأ أنا مليت ويئست تماما .. عارفين حكاية الراجل اللى طلبت منه مراته يغير اسمه اللى كان (س) الجحش وراح غيره وقالت له ماشاء الله خليته ايه ؟ قال لها (م) الجحش !! أهو أنا كنت زى مراته وأمرى لله ! بيعمل معايا ومع البلد كلها زى لما كنا ساكنين سوا قبل ما نتجوز أنا وهو وكان يحب يوفر وهو اللى ماسك الميزانية فأقول له نفسى آكل سمك ! يقول أقلى لك بدنجان ؟! أقول له سمك ؟ بروتين ! تقول لى بدينجان نباتى ؟ يقول طيب ماتزعلش أفتح لك علبة سردين !

أقول له افتح يا أخى أحسن من البدنجان !! فى سنة ١٩٦٢ قلت عايز حكومة ورئيس وزارة راح جايب على صبرى مدير مكتبه ! أقول عايزين برلمان .. يجيب أى كلام المهم انه يجتمع فى مبنى البرلمان !! عايزين تنظيم سياسى زى الناس ! يجيب حتة من يوغوسلافيا وحتة من روسيا وثالثة من الهند ورابعة من السند ويعمل منهم بدلة زى بدلة الشحاتين بميت رقعة !

وكان لازم تكونوا فاهمينه من التجارب اللى اتعملت عليكم ! واللى قال عنها عبد الصمد وأنا فى سوريا ووصلته هو عاملنا فيران تجارب ؟! ولما رجعت قال لى مش تقول له يلم لسانه ؟! قلت له هو بالغ شوية !! الحقيقة انت عاملهم أرانب تجارب !

أما بالنسبة لعلى صبرى واللى معاه وخطر انفرادهم بجمال فعلشان أمنع هذا الخطر مافيش طريقه غير انى أنزل لمستواهم وتبقى الحرب بينى وبينهم وهو يتفرج فى سعادة علينا .. وأستعمل سلاح الدس والنفاق ومع افتراض المستحيل فى قبولى لهذه المهانة فجمال مش ممكن يصدق انى بانافقه وح يزعل ويعتبر انى باتريق عليه !!

المشير يحدد اقامة شمس !

كان عبد الناصر طلب من صلاح نصر أن يبلغ عبد الحكيم بأنه اذا قبل المنصبين المعروضين عليه فانه يجب أن يحضر مع صلاح فى الطائرة

أو بعده بيوم أو يومين على الاكثر حتى يمكن إصدار القـــرار الخاص به والتشاور معه في التشكيل الوزارى الجديد ..

ولكن عبد الحكيم قال اعمل معروف يا صـــلاح تقول له يسيبنى ومايفتكرش اني زعلان .. زعلان من ايه بس ؟ ما أنا كان في ايدى كل حاجة .. قل له هو زهق وانسدت نفسه .. ويبقى عنده عقدة من الحكم واللى بيحكموا ! مش من حقى أعيش حياتى زى أى مواطن؟ وعلشان مايحصلش أى دوشه ح أخلى شمس يجيب مراته وبنته ويقعد معايا شوية ويقطع أى طريق على نقل كلمة من هنا وكلمة من هناك .. ونبقى عشنا حبـــايب وافترقنا حبايب .. وان كان عايز العربيتين دول والكام عسكرى بتوع الحرس أبعتهم له وهم بالطبع ح يزهقوا وأنا ما أقدرش أقول لضيف عندى امش وروح لشغلك (*)

وغضب شمس غضبا شديدا وقال ان له بلده وبيت أبوه زى المشير ماله بلده وايه اللى يخليه يسيب المنوفية ويعيش في المنيا؟ وقال لى شقتى في مصر والحتة اللى تحبوا أقعد فيها أقعد فيها لكن تحـــددوا اقامتى وبرضاى كمان ده مش ممكن ! ثم إن مراتى ح تولد بعد شهرين والبنت الصغيرة بتعوز دكتور أطفال كل يومين .. أنا أروح في أى داهيـــة معلهش ! لكن دول ذنبهم ايه ؟ وكمان ما أقدرش أسيبهم وأقعد هنـــا آكل وأنام .. وطبعا لما ييجوا ح ياكلوا هم كمان ؟ احنا ايه مقاطيع ؟

ولكن المشير قال له .. أنت بتضحى علشان خاطرنا كلنا .. وانت عارف جمال (ودنى) ويسمع الخبص (**) وده قرار مصلحة عامة علشان نقطع لسان على صبرى وسامى شرف ..

والجماعة اللى إنت عارفهم اللى خلى لهم جمال قيمة وأهمية علشـــان مايعرفش ينام قبل ما يدور أسطوانات الخبص بتاعتهم !

ورضخ شمس وان لم يقتنع والعجيب فيه أنه كان يتعامل مع عبد الناصر كزميل له ! ويتعامل مع المشير كمرءوس له ! وسافر للقـــاهرة وعاد بالسيدة زوجته وطفلته .. كما جاءت السيدة زوجة المشير وأقامت

الاسرتان فى بيت جديد كان بناه عامر ابن عم عبد الحكيم الذى رفض الاقامة فيه رغم أنه بيت كبير وجعله لاسر المهاجرين !

وكان المرحوم على شفيق فى أسطال لما علم بهذه القصة وكان بيننا وبين شمس ما بين المطرقة والسندان وكان مشهورا بخفة الدم فقال .. على الله شمس ما يخلفش بنت ؟ سألته ليه ؟ قال علشان ما يسميهاش نكسة ! ولكن شمس أنجب طفلا وأعتقل بعد ولادته بأسبوعين رغم أنه سماه نصر !

متـاعب الهجرة

لما اتخذ عبد الحكيم عامر قرار الاقامة فى بلدته اسـطال ومعه شمس وأسرته لم يكن تنفيذ هذا القرار سهلا فقد كانت متاعب الهجـرة الفجائية لا تحتمل أى زيادة فى عدد المهاجرين فقد جاء من القاهرة ضيوف جدد منهم المرحوم على شفيق وعبـد المنعم أبو زيد الذى نشرت بعض الصحف كثيرا أنه كان مدير مكتب المشير رغم أنه كان ملازم شرف فى حرسه وكان مسجونا والذى حاكمه شمس .. ولكن المشير أفرج عنـه وعن جميع المسجونين من العسكريين لما بدأت الحرب ليقاتلوا فى معركة شرف ولا يظلوا سجناء كأسرى الاعداء .

ونشأت أزمة اسكان شديدة واختناقات طارئة فى التموين ومشاكل

لاختلاف الامزجة وتفرغ مصطفى أخو المشير الصغير للضـيافة وتحمل النفقات ودلع الضيوف الذين احتاجوا لمكتب تنسـيق للتوفيق بين الرغبات فى المعيشة والمشتريات من البندر والرجيـم المختلف وطلب الترنك ليتكلم الواحد ساعة مع بيته وهو لا يعرف أن المدة الثالثة بنصف جنيه ! حتى بلغت النفقات اليومية أكثر من ستين جنيها بسـعر تلك الايام ! وكان من المتوقع أن يزيد هذا الانفاق مع الزيادة المنتظرة فى عدد المهاجرين .. وشعرت بضرورة مشاركة الاصدقاء بصورة ما فى هـذا الحدث الطارىء رغم أن كثيرين من القادرين من الاسرة لم يكن عندهم هذا

الشعور الا أن كل واحد فى هذه الحياة يفسر الواجب بالتفسير الـذى يريحه لا التفسير الصحيح ٠

وكانت المشاركة تتطلب استضافة عدد من هؤلاء الضيوف الا أن مأساة كانت فى طريقها الى ولم تكن نزعت بعـــد النقاب عن وجهها القبيح !! فقد ولدت فى قصر تاريخى بنى فى القرن الماضى ولم يكن هـذا ذنبى ولا ذنبى أن غيرى ولد في بيت صغير ويسعده هدم البيوت الكبيرة!

وقال لى مهندس صديق ان ترميم هذا البيت يكفى لبناء فيلاحديثة أنيقة ٠٠ وأراقتنى الفكرة فقد كان له ولحديقته ثلاثة أبواب يدخل منها كل أهل القرية فى أىساعة (كعادتنا) فى الليل أو فيالنهار فلا أستطيعأن تكون لى حياة خاصة باستضافة أصدقائى ٠٠ ولذا كنت أمضى السـهرة وأتناول العشاء مع اخوة وأبناء عم المشير فى بلدهم وكل ليلة ومن قبل الثورة بعامين ٠

وأوحى لى قدرى أن أهدم هذا البيت قبيل الحرب بشهور وأعيـد بناءه فارتفعت أسياخ الحديد فى الاساس وبقيت هكذا بعـد سجنى ووضعى فى الحراسة تشكو لرب السماء استعباد الانسان لاخيه الانسان رغم الشعارات التى تلعن الاستغلال وتحل لصاحبها الاستعباد ! وخرجت من السجن لا أجد القصر التاريخى ولا الفيلا الحديثة وأجد حديقة الزهور هوايتى الاولى فندقا مجانيا للمعيز والحمير ! ومن أجل هذا ظللت أثناء اقامة المشير في بلده أعانى من خجل أليم فلم أستطع القيام بأى واجب استضافة بصفتي الصديق الاول ونائب الدائرة بل أكثر من هذا انضممت فى العشاء الليلى لمكتب التنسيق !!

حكـاية الفلـوس !

حكاية الفلوس في هذه القصة لا يمكن اغفالها ٠٠ ففى أثناء الحرب وقبل اعلان الهزيمة رسميا أطلق مكتب الاشاعاتفى الاتحاد الاشتراكى اشاعة بأن المشير باع بلده وتسبب فى الهزيمة مقابل سبائك ذهبية من اليهود ! ٠٠ ولما كان من يتولون مثل هذه المكاتب من الاغبياء فقـد

تصوروا أن اليهود لا يزالون فى حى الصاغة وقاموا بعملية الخيانة التاريخية !

ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى تطلق فيها الاشاعات حول هذا الرجل .. فاشاعة تدخين الحشيش أذاعها الشيوعيون فى منشورات فى عام ١٩٥٣ على أنه هو واللواء محمد نجيب يشتركان فى هذه السلطنة !!

واشاعة علاقته باحدى المطربات عرف أيضا من أطلقها وكان فى وقتها (خام) وبدون أى صقل ولا يعرف أى شىء عن مثل هذه العلاقات فكان تعليقه (ياريت !!) بس لو كانوا يقولوا اشاعات ويحققوها ؟! .. ويكمل تعليقه لكن تبقى اشاعة ازاى ؟! وقد كانت هذه الاشاعة قويةوعلى كل لسان لسبب بسيط هو أن صاحبتها هى التى أطلقتها !

وقبل أن أبدأ كتابة هذا الكتاب وجدت أكثر من شخصية محترمة من الاسرة قالوا انهم مستعدون للمثول أمام لجنة تحقيق يرأسها أحد رجال الدين ليقسموا أمامها بكل ايمان عظيمة أن المشير لم يذق الخمر فى حياته ولا دخن الحشيش الذى ألفت فيه قصص رمزية من خيال مريض!

والقصة الحقيقية الوحيدة لا أتعرض لها لان الطرف الاصيل فيها على قيد الحياة ولم يتكلم ولا أريد أن أكون أقل خلقا منه ولكن أكتفى فقط بأنها أيضا لها سر سياسى واذا عرف مع باقى الحقيقة لكانت تحسب له جدا وليست عليه الا اذا كان الناس يفضلون الحرام فى الخفاء على الحلال المعلن !

الحكايتان الاولى والثانية

وأبدأ بالحكايات المختلفة لقصة الفلوس ..

الاولى هى حكاية السبائك الذهبية وهى أسخف وأتفه من العودة اليها .. أما الحكاية الثانية فقد أثيرت فى محكمة الثورة وتحدثت عنها الصحف عن مبلغ ستين ألف جنيه قيل انها ذهب أو ورق أو عملة صعبة (لم يقطع أحد بنوعها) وعلى أنها خرجت من القيادة فى يومى ٨ أو ٩

يونيو .. ولما تحدثت عنها الصحافة ورأى عبد الناصر أنها ستتخذ طابع التشهير بالحكم خطب وقال (الفلوس دى مش إختلاس ولا حاجة) ..

الفلوس دى كانت للاتفاق على .. المؤامرة ! (المؤامرة التى لا تزال موضوع تحقيق (وهى فين المؤامرة ؟!)

ثم تنشر مجلة المصور منذ عامين قصة على لسان صلاح نصر بأن هذا المبلغ كان لشيء فنى ذكره كالدفاع داخليا أو شيء من هذا وقال انه كان فى حقيبة لا تفتح الا بمعرفة المخابرات ولكن من فتحها أخذ منهـا عشرة آلاف جنيه وأعلن أن هذا الاتهام بالنسبة لمن فتحوها !

ولكن فى العدد التالى للمجلة يرد أحد الاساتذة المحامين ويقول له لأ يا أبو صلاح !! إنت قلت فى تحقيق النيابة العامة التى أجرته معك بعد اعتقالك أن هذه الفلوس هى نصيب عبد الحكيم عامر من الشركتين اللتين تديرهما المخابرات العامة لحساب عبد الناصر وعبد الحكيم معا ! واحداهما للنقل الداخلى والثانية للتجارة الخارجية ! وتنتهى القصـتان وناقل الكفر ليس بكافر والمجلة موجودة والتحقيق موجود وكذلك صلاح والمحامى موجودان !

القصـــة الثـالثة

يضبط المبلغ كاملا فى (الحرانية) بلدة عباس رضوان ولا ينقص مليم واحد ويدخل عبـاس الحراسـة وباحصـاء ثروته وهو معتقـل والحراسة تقوم بالبحث تحت البلاط وبعمل أشعة على بطن المحروس خشية أن يكون ابتلع قرشا ويثبت أن عباس من أفقر عباد الله السياسيين وغير السياسيين ويدهش موظفو الحراسة ويقولون لى وجدتلك زميل ! فهذا الرجل يدخل الحراسة ازاى وهو وزير ويبيع بعض ميراثه القليل؟

ولكن لماذا أخذ عباس هذا المبلغ من صلاح أو شمس أو المشير لا أدرى وانما قيل لى فى وقتها فى بيت المشير أنه (المشير) اقترض بمعرفة وأمر عبد الناصر مبلغا من الملك سعود أثناء الزيارة الاخيرة لهما لليمن حيث لم يكن فى القيادة مبالغ تكفى الزيارة ..

وأن عباس أخذ المبلغ ليرده للملك سعود ولم يتمكن من رده أو لاسباب قيلت لى وقتها وصدقتها لان من طبيعتى تصديق القول الذى يحسن للناس ولا يسىء ..

الحكاية الرابعة

نفس الموضوع ونفس المبلغ أفاجأ بشابين يأتيان للمعتقل معنا أحدهما اسمه عبد المنعم رضوان وهو ابن عم الليثى رضوان عضو مجلس الامة فى ذلك الوقت وشقيق عباس رضوان .. ومعه شاب أصغر منه وأصغر من عشرين عاما واسمه بشر خطاب وابن أخت عباس رضوان وقد سبب لنا هذا الشاب (روشة) بقلقه وأعصابه المضطربة والتى أضحكتنى وأسرفت فى الضحك فى أشد الايام سوادا لما علمت سببه اضطراب أعصابه فقد قال له مصطفى عامر وهو يشير الى : شايف الراجل اللى هناك ده ؟ قال بشر شايفه ! قال مصطفى أهو ده اعتقلوه وهو فى سنك ولغاية النهاردة ماحدش سأل عنه !

ويحكى بشر أمام ابن خاله حكاية الفلوس! والتىمنأجلها جىء بهما الى المعتقل فيقول ان خاله أعطاها لابن خاله عبد المنعم الذى أعطاها له فى أكياس دمور بيضاء (وهىالتى تضعالبنوك والمصالحالحكوميةفيها نقودا) وقد ظنها بشير تقاوى بطيخ ! فألقاها فى دولاب مفتوح وكل عين تراها وكل يد تستطيع أن تأخذها لو ظنوا أن فيها فلوس !

هذه هى أربع قصص عن موضوع واحد لا تتفق فيها واحدة مع الاخرى .. وثلاثة أسباب لسحب الفلوس وكل سبب يختلف عن الآخر ! والمهم أن هذه الفلوس بقيت أكثر من ثمانين يوما لم تمس أو تنقص ! فلماذا لا يكون للقصة وجه واحد ؟! وخاصة وهو وجه برىء كما ثبت من التحقيق ؟!! الله أعلم بهذه القصة وآلاف غيرها من القصص ولكن الحقيقة التى لا خلاف عليها لا يعرفها أحد الا حينما تقرأ الآن !!

القصتان الصادقتان

لم يقبل المشير أن يبقى في بلده هو وضيوفه ضيفا لا يتولى الانفاق أو على الاقل يشترك بالنصيب الاكبر فيه وأبدى هذه الرغبة ولم يقسم عليه أحد ليبقى ضيفا فلا أحد فى هذه الحياة يتحمل الانفاق على غيره مهما كانت صلة القربى .. ولكننا فوجئنا بقوله أنه ليس معه فلوس !! ولم يكن معه وهو يعلن هذا النبأ غير ثلاثة من الاسرة وأنا .. ولم أكن أعرف شيئا عن أحواله المالية الا أنه من الذين ينظرون الى النقود على أنها اذا لم تنفق تصبح قيمتها كأوراق الصحف القديمة ! وكنت أعرف أنه احتاج أكثر من مرة الى نقود والى ايراده من ميراثه .. وفى مرة حدث عجز فى عهدة أحد الذين يعملون معه ولكى يسدد هذا العجز باع ثلاثة أفدنة من ميراثه فى السيدة المرحومة والدته بل هى كل نصيبه من هذا الميراث وباعه لاخيه مصطفى .

وعرض أن يبيع بعض ميراثه من المرحوم والده .. وكانت الميزانية المقدرة لهذه الاقامة الى أن تهدأ الامور ويعود كل واحد الى عمله أو الى بلده تقدر بستة آلاف جنيه .. ولكن كان هذا الوقت ليس وقت بيع أى زراعة تم نضجها كما أن هذه الارض لا يشتريها أحد من غير الاسرة لانها تقع وسط أرضهم .. وشراء أحد من الاسرة فى هذا الظرف يعتبر عملا غير لائق فالذى معه هذا المبلغ يجب أن يقرضه له لا يشترى به أرضه وأرض أبنائه ! ولم يعد هذا الاقتراح صالحا للبحث من حيث المبدأ كما قلت متأثرا بعملى كعضو فى مجلس الامة !

وطلبت قفل باب المناقشة فى هذا الاقتراح والانتقال الى جدول الاعمال !!

وقال حسن باقى ايه ؟ هو فيه غير موضوع واحد ؟ ثم ان مين اللى عملك ريس واحنا انتخبناك يا أخى ؟ وقال المشير ما تسيبه يتكلم ولا

نقاطعوش .. تنتخبه ازاى اذا ماكنتش عضو ؟! قال مصطفى ريس بحكم السن !

وقلت له فى غيظ ما تبطل حكاية السن دى ؟ ورد مصطفى أنا اللى فاهمك وأمسكك من الدراع اللى يوجعك ! وقال عامر إذا كان بالسن أبقى أنا الريس ! قال المشير جرى ايه يا عامر : انت ما انتخبته لرياسة المجموعة البرلمانية ! ورد عامر ما إحنا عارفينك بتحبه اتبحتر يا اخويا وخد راحتك وورينا شطارتك !

وقلت موجها كلامى للمشير .. أنا أقترح ان كلنا نشارك فى المصاريف .. كل واحد فينا وفى المنيا اما كسب مكسب أدبى أو .. !! ولم أكمل كلامى لان عامر قال أهو لبخ أول ما شاف عدله ! (بفتح الدال وضم اللام) وقال المشير بغضب وحده لا .. لا .. مرفوض اقتراحك وبديكتاتورية صاحبنا : انت واخوانك اللى أنا عارفهم ضحيتم وخربتم .. ثلاثة أو أربعة أنا حزين علشانهم وذنب أولادهم فى رقبتى !

واحد يسافر ويشوف الدكتور محمود عبد الرازق بيبيع حتة الارض بتاعتى اللى خدتها مع زملائى من الضباط اللى خدوا فى أرض النسر .. محمود يشوف زميل له من الدكاترة .. ما حدش ح يقول الدكاترة جابوا الفلوس منين !

وقال حسن .. بلاش دى دلوقت ! هو فيه موضوع كده يعنى ! قال المشير يعنى ايه ما تقول ؟ قال حسن القرشين اللى باقيين من ثمن البيت وسأله المشير قد ايه دول ؟ وكانت مصادفة عجيبة أن يقول حسن ٦٥٠٠ جنيه ! وسأله المشير : وفين دول ؟ وقال حسن فى بنك إسكندرية بس .. قال المشير بس ايه انت ح اتحط فيها بس ! قال حسن عايز أقول أن دول بتوع كل الورثة .. وقال المشير وأنا مش من الورثة ! يعنى عبد الصمد عايز هو واخوانه بتوع المنيا يشتركوا فى الصرف على وانتم مش عايزين ؟! وقال حسن أبدا ماخدتش قال كده .. ده انت تاخد أرواحنا مش الفلوس ! بس أنا باقول لك الحكاية أصل أنا أخذت الفلوس وأودعتها لغاية ما كل واحد ياخد نصيبه اتفضل خدهم واتصرف !

وكان هذا المبلغ باقى ثمن بيت للعائلة فى حدائق القبة وقد أخذ

بعض الورثة أنصبتهم وبقى هذا المبلغ الذى ذهب حسن وأحضر شيكا باسمي لاصرفه من بنك اسكندرية الرئيسى (فى التاريخ مابين ١٨ و٢٠ يونيو) فقد كانوا يعرفون انى سأسافر الى القاهرة فى صباح غد هذا اليوم .. واتفقوا على أن يتركوا خمسمائة جنيه نصيب احدى سيدات الاسرة وطلبوا منى أن أتركه فى بيتى الى أن تأخذه .

وقال المشير الحمد لله أهى فرجت ويحلها ربنا أبقى أسدد لباقى الورثة ثم طلب منى أن أسرع فى العودة لان الحالة جيـــم ! فطلبت أن تنتظرنى سيارة فى محطة المنيا مساء الغد لاتناول الغذاء مع أولادى وأعود فى نفس اليوم ما دامت الازمة شادة الى هذا الحد !

وفى البنك تركونى واقفا أمام شبـاك الصرف الى أن أنصرف كل من أتوا بعدى وكانت نظرتى متشائمة من توالى الاحداث السيئة وساورتنى الظنون اذ يصرف جميع الناس وأنا الوحيد الذى تحيط به الشبهات !! وذهبت لرئيس القسم وقلت له .. ايه ان كان مافيش رصـيد لحسن هاتوا الشـيك ويمكن عايز تكتبوا عليه حاجـة أو تظنوا انى زورت التوقيع !

واعتذر الرجل بأنهم فى انتظار الاذن بالصرف !! وتصورت أن عبد الناصر فرض على العائلة الحراسة لان المشير رفض عرضه الاخير ورفض العودة .. وبعد هذا يقطع مرتبه لينحنى ساجدا ويجنى ثمرة مساعدته له أو صمته حتى ملك لقمة العيش تذهب لفم كل مصرى باذنه ورضائه أو لا تذهب ! ولكن الرجل عاد وأعطانى المبلغ وطلب منى ابلاغ حسن سلامه وقال ان التعليمات كانت الاستئذان فى صرف أى مبلغ يزيد على الالف جنيه !

هذه هى القصة الاولى أو الحقيقة الاولى ليس لها غير وجه واحد ولا يمكن للحقيقة أن يكون لها أكثر من وجه مهما تعدد الرواه .. ولانها حقيقة فان أحدا لم يعرفها ولو كان لصاحبها قميص وحملة مباخر لجعلوا منها أسطورة كالاساطير التى نشرت من نسج الخيال وان كان خيـالا مريضا الا أن المصابين من عملية غسيل المخ التى أجريت لهم طوال حياتهم لا يزالون مرضى وهم خطير يجعلهم يصدقون كل ما يكتب أو يقال !

القصة أو الحقيقة الثانية

وينقل المشير الى القاهرة ليستضيف في بيته في الجيزة عددا أكبر كما سيرى القراء فى الفصول الآتية ويزداد الانفاق ولا أكون فى وضع يجعلنى أهتم بتفاصيل المعيشة ففى البلد كان شعورى أنى نائب الدائرة وضيوف المشير ضيوفى ..

وفى يوم كنت أزوره وحان وقت الغذاء ولما وقفت للانصراف قال لى المشير .. مش عايز أمسك فيه على الغدا لانى ح أذيك !! النهاردة من الايام اللى مافيهاش لحمة ومش عارف سلامه (الطباخ) عامل لنا ايه ؟ ح يكون ايه ؟ يا عدس يا طعيمه !
ومش عارف ما يعملش الصنفين ليه مع شوية سلطة علشان تخلينى أنا والضيوف مانشعرش اننا فى سجن !

وفهمت أن الفلوس (التى كنت أظنها بالنسبة لهذه الصورة من التقشف ستستمر ستة شهور على الاقل) أوشكت على النفاد !! وظهرت على وجهى ملامح الاسى والتفكير فقال أنا عملت حسابى وكلمت محمود عبد الرازق يشوف لى حد من أصحابه يشترى حتة الارض اللى هنا .. يعنى ح أعمل بها ايه .. هو أنا ح أقدر أبنى بيت ربع اللى أنا ساكن فيه ؟ ..

وبعد أيام وجد الدكتور محمود عبد الرازق المشترى لثمانمائة متر هى نصف القطعة التى يملكها وعرض المشتري أقصى سعر فى هذا الوقت المناسب لهذه الارض وكان عشرة جنيهات للمتر .. ولما كانت اجراءات التسجيل تأخذ وقتا طويلا فقد قال محمود للمشترى أن المشير عايز عربون يصرف منه لغاية ما يتم التسجيل .. وكان المشترى رجلا شهما وكريما فكتب شيكا بكل الثمن (ثمانية آلاف جنيه) وقال لصديقه محمود انه ليس مستعجلا على التسجيل فى أى وقت تسمح الظروف يتم التسجيل وانه لن يبنى هذه الارض وكان المشترى الكريم هو الدكتور

ابراهيم بدران وزير الصحة السابق ! ثم جرت الاحداث سريعة واعتقل المشير ثم توفى ولم يكن وقع حتى على العقد الابتدائى ٠٠ وفكر الدكتور محمود فى الاتصال بالسيدة حرم المشير من أجل كتابة العقـــد وكانت لا تعرف شيئا عن هذا الموضوع كعادة الصعايدة يبتون فى مثل هـــذه الامور والتصرفات المالية دون أن تعلم الاسرة شيئا عن التصرفات الماليـة لرب الاسرة ٠

وكان الذى يعرف الموضوع حسن عامر ٠٠ ولكنه كان معنـا فى السجن !

وقد قال لى الدكتور محمود فوزى أنه أراد أن يطمئن الدكتور بدران على مبلغه فقال له عيب يا محمود جرى ايه فى الدنيا ؟ انت عايز النـــاس يقولوا ان الفلوس دى أهم عندى من حياة الراجل ؟! أرجوك ماتجبليش سيرة تانى عنها ولا تكلمهم فى الموضوع !

ولما خرج حسن زاره محمود وهو ابن المنيـــا وزميل عبد الحكيم وزميلى فى مدرسة المنيا الثانوية وكانت اجراءات حصر التركة والوصاية تمت فوقع الورثة على عقد التسجيل ٠

هيكل فى اسطـــال !

لم ينشر من هذه القصة غير سطور قليلة لم يقترب كاتبها من مسرح أحداثها ولم يعرف عنها شيئا لاهو ولا أحد من غير المشتركين فيها ورغم هذا قال فى هذه السطور أن عبد الحكيم عامر لم يستطع البقاء فى بلده بسبب الذباب والناموس فعـاد الى القـاهرة !! ولا أدرى كيف يتطوع انسان بتأليف دفاع عن الذى سلبه لقمة العيش وأراد تجويعه ! وقد نسى الكاتب أن عبد الحكيم ابن هذه القرية ولم يولد فى هوليود وحارب فى خندق وعاش فى اليمن وقت أن كانت الحياة فى اسطال بالمقارنة بحياة اليمن تشبه الحياة فى باريس !!

ولقد قام عبد الناصر بأربع محاولات لاعادة عبد الحكيم ذكرت ثلاثا منها وهى مكالمة تليفونية منه وتوسيطه لعباس رضوان وايفاده لصلاح نصر فى طائرة خاصة ٠

وتم استدعاء أسرته للاقامة معه وكذلك جاءت أسرة شمس بدران وقد رأوا وعرفوا الناموس والذباب ! واعتقدت (وكذلك باقى الاصدقاء) أن الامر انتهى واستقر بهذا الموقف فقد أدى عبد الناصر واجبه الشخصى نحو الصداقة والزمالة بمحاولاته ·· ومن حقه أن يعيد تشكيل السلطة التنفيذية على الوجه الذى يراه وألا يعيد الشوكة الى حلقه بعد أن خرجت برضائها !

ومن حق عبد الحكيم أن يطوى صفحة حياته العـــامة فى التوقيت الذى رآه ·· وأن يعيش حياته الخاصة بحرية المواطن العادى يختـــار الحياة التى تريحه وترضيه ·

ولكن حدثت المحاولة الرابعة والاخيرة لاعادة عبد الحكيم الى بيته فى الجيزة فقد فوجىء المشير بعد عودة صــلاح نصر بيومين أو ثلاثة بمجىء حسنين هيكل فجأة فى سيارة الى إسطال ولم يجده فيها فذهب الى (عزبة خديجة) حيث يقيم عبد الحكيم وقابله موفدا من عبد الناصر واستطاع أن ينجح فيما فشل فيه من سبقوه ·· ولم أعرف كيف نجح ولا ماذا كان العرض الجديد الذى جاء به ؟ ·· فلما ذهبت كالعادة فى المســاء لزيارة المشير وجدت الصديق عامر ينتظرنى فى الطريق أمام بيته ليقول لى ان المشير وباقى الاصدقاء سافروا الى القاهرة وكانت دهشته كدهشتى فانه لم يعرف الا أن هيكل جاء لزيارة عبد الحكيم واســـتنتج أن يكون أقنعه بالعودة وكان يشعر براحة لنجاح هذه المحاولة ويعتقد أن المياه عادت الى مجاريها بين الصديقين ·· أما أنا فلم أفكر فيما سيحدث بينهما فقد كان الفهم مستحيلا ولكن كان العجيب (ولو أن شيئا فى تلك الحياة لم يكن عجيبا) أن يكون هيكل ·· وهيكل من بين جميع الناس الذى يقنع عبد الحكيم ويثق فيه !

نجــاح هيكل فى مهمته !

كان سبب دهشتى أنى كنت أعرف المتــــاعب التى سببها هيكل للمشــــير ولو انها كانت لغير عبــــد الحكيم لسميتها اساءات ولكن عبد

الحكيم لم يتخيل لحظة أن هيكل أو غيره يستطيع الاساءة اليه فاذا كان غفر لهيكل هذه الاعمال فليس معقولا أن يتخذه صديقا ويثق فيه !

كان أول ما ضايق عبد الحكيم من هيكل أنه هو الذى أعد مشروع تأميم الصحافة والذى أطلقوا عليه اسم التنظيم ! وكان عبد الحكيم فى الخارج لما أعلن هذا التأميم وانها لاكثر من مصـــادفة أن يحدث العزل السياسى ٠٠ وتأميم الصحافة والازمة التى أدت الى الحرب الاخيرة أثناء غياب المشير ! ولما عاد وذهب ليقابل عبد الناصر وجد هيكل عنده فقـال له (حتى انت !؟) ووجه اليه لوما عنيفا ولم يجد هيكل دفاعا يقوله ٠٠

واذا كان هذا التصرف ليس ضد شخص عبد الحكيم الا أنه كان المفروض أن يغضب هيكل ولا يتقرب الى عبد الحكيم وأنا أريد أن أبحث عن سبب يدعو لاطمئنان كل منهما للآخر ٠

أما المضايقة الشخصية لعبـــد الحكيم والتى حدثت من هيكل فلا يوجد العقل البشرى الذى يستطيع تفسيرها أو تبريرها ٠٠ ففى عام ١٩٦٤ وفى شهر يونيو عرفت أن المشير سيســـافر لعمان لزيارة الملك حسين زيارة رسمية وللاتفاق على أمور تتعلق بالجبهـــة الشرقيـة ٠٠ وتصادف أنى سافرت لعمان لسبب ما وطلب منى التوقيع فى دفتـــر الزيارات لان الملك سيقابلنى يوم الاحد وكنت وصـلت فى يوم خميس وقبل موعد زيارة المشير بعشرة أيام ٠٠ وفى مســـاء السبت علمت بأن الملك حسين ألغى موعد مقابلته لى وكان سفيرنا الاستاذ كمال خليل فى شدة الضيق ٠٠ وكان يرسل لى سيارته لاتناول الغذاء وأحيانا العشاء أو الوجبتين فقد كان الرجل كريما الى حد بعيد ٠٠ وفى هذا المساء قال لى أن الملك حسين طلبه ووجده ثائرا وغاضبا أشد الغضب فلم يحدث أبدا أن تحدد زيارة رسمية لنائب رئيس دولة وقبل الزيارة يشتم المستشار الصحفى لرئيس الدولة رئيس الدولة الاخرى المضيفة ! فقد كتب هيكل فى يوم الجمعة مقاله الاسبوعى ولم يجد موضوعا له غير التهجم على الملك عبد الله جد الملك حسين ! وكان السفير حائرا ماذا يفعل وماذا يقول وكيف يعتذر وكيف يفسر هذا التصرف !!؟

وقرأ عبد الحكيم المقال بالطبع وكان غضبه أشد من غضب الملك حسين وقرر الغاء الزيارة الا أن جمال سوى الامر بأنها غلطة من هيكل ! وطبيعى أن عبد الحكيم لم يصدق أن يقع فى هذا الخطأ عامل طباعةوليس المستشار الصحفى لرئيس الجمهورية ! ولكن ماذا يقول وعبد الناصر يؤكد له أن هيكل كان يجهل أن عبد الحكيم سيزور عمان !

ويقع الحادث الاعجب !.. لما وقع الانقلاب فى الجزائر كان المشير فى اسطال للعزاء فى ابن عمه وكانت سبقته كالعادة سيارة بها جهاز ارسال واستقبال لاسلكى وجاء هو فى طائرة خاصة ولم نعلم بهذا الانقلاب الا أنه لما ذهبنا مع المشير لوداعه فى مطار المنيا وجدته يصمم على أن أعود معه فى الطائرة وكنت اتفقت مع صديق للسفر معا فى القطار من المنيا .. وفى الطائرة التى كان فيها أخوه حسن والفريق عبد العزيز مصطفى أبلغنا المشير بالنبأ الذى تلقاه من جمال وقال انه لن يذهب الى بيته وسيأخذ طائرة أخرى للسفر للجزائر .. وكان المشير لا يحب بن بيلا .. اذ كان يعتقد أنه شيوعى ولكن عبد الناصر طلب منه السفر ليهنىء أبو مدين اذا نجح الانقلاب ويرجوه المحافظة على حياة بن بيلا.. فاذا فشل الانقلاب فيهنىء بن بيلا بفشله !!

وفى الصباح وأثناء اجتماعه بهوارى أبو مدين الذى كان يبقى معه بعض الوقت ثم يستأذنه لتصريف بعض الامور والقاء الاوامر المعتادة فى مثل هذا الحدث .. عاد أبو مدين ليقول لعبد الحكيم انت جيت تهنىء بن بيلا بفشل الانقلاب ؟! وكان أبو مدين يعرف أن عبد الحكيم يحبه ويميل اليه أكثر من بن بيلا فزاد هذا من عجبه ! وسأله عبد الحكيم فى دهشة عن سبب هذا الظن .. فقال له اسمع الاذاعة بتاعتكم وقل لى رأيك !

وكان هيكل كتب مقالا يؤكد فيه فشل الانقلاب ! وأن الشعبية الجارفة التى لبن بيلا لا يستطيع الجيش قهرها ومقاومتها ! وكانت اذاعاتنا وخاصة محطة صوت العرب مثل (عبيطة وسمعت خبر أبوها !) تذيع المقال ثم ! أناشيد عسكرية وتعيد اذاعته فيبدو أن هذا المقال يعبر

عن الموقف الرسمى لمصر ! ولم يجد عبد الحكيم كلاما يقوله الا أنه تصرف شخصى لا يعرفه عبد الناصر الذى تركه فى الفراش لمرضه ! وأنه بعد عودته سيحقق فى الامر !

ولم يجد عبد الحكيم أى تفسير لهذا التصرف يقبله أى عقل ! الا انه محاولة ليقتله أحد المتحمسين للانقلاب !

وبعد ما عاد عبد الحكيم كان صبره قد نفد تماما وقرر الاستقالة وقال أنها المنقذ الوحيد من الجنون وأنه قد يجن فعلا لو قال له جمال ان هيكل كتب المقال من نفسه ! وضحك رغم غيظه الشديد وقال ماعندوش كلام يقوله غير ان هيكل كتب المقال ضد الانقلاب لانه لا يعلم بوقوع انقلاب !

ولكنه لم يتوقع الجواب الذى قاله جمال وهو أن هذا المقال مجرد رأى لكاتبه واذا كانت الاذاعة أذاعته فهى عادة تذيع مقالات هيكل وكانت تذيع مقالات مصطفى أمين فالصحافة حرة والاذاعة حرة ! وقال عبد الحكيم يا خبر اسود ! بتقول لى أنا الكلام ده ؟!

وقال جمال قصدى انك كان ممكن تقول كده لابومدين ! وقال عبد الحكيم وفاكر ان أبو مدين (بيريل) علشان يصدقنى ما هو الحال من بعضه وهو عارف أسلوب الحكم ده كويس ويمكن الكلام ده لو قلته لرئيس دولة فيها الصحافة والاذاعة حرة كان يصدقنى باعتبار أن ده اللى ماشى عنده واللى مفروض يكون فى كل بلد ..

وظل جمال يعتذر بعد أن فشل فى اقناع عبد الحكيم بأنه غلطان اذ عجز عن اقناع أبو مدين بحسن نوايانا وحبنا له ! .. ومن هذا اليوم بدأ جمال يسرف فى مجاملة عبد الحكيم واشراكه معه فى الرأى بل واختار عبد الحكيم صدقى سليمان رئيسا للوزارة التى شكلت فى بيته.

وأسرف عبد الحكيم أيضا فى مجاملة عبد الناصر وعادا سمنا على عسل فتوالت المصائب !

وبالرغم من أن عبد الحكيم يعلم أن هيكل مغلوب على أمره وانه مجرد أداة يستغلها عبد الناصر الا أن الانسان قد يغفر الاساءة ولكن

لا يصادق ويحب من أساء اليه خاصة ومقال هيكل عن الضربة الاولى لم يكن مضى عليه أكثر من ثلاثة أسابيع ٠٠ فهل نسى عبد الحكيم غليان دمه من هذا المقال ؟ وهل تحول الغليان الى جليد فى أيام ؟!

لهذا كانت دهشتى كبيرة من زيارة هيكل واقناعه له بالعودة فماذا قال له وما سر هذه الصداقة التى استمرت طوال أيام الازمة ؟! وربما يؤثر المكان الذى نعيش فيه والناس الذين من حولنا فى مستوى تفكيرنا فلم أتشوق كثيرا وأنا فى بلدى للاجابة على السؤالين وكان من المستحيل أن أصل الى جواب وأنا بعيد عن مصادر الفهم ٠٠ ولم يتركنى الاصدقاء مع أعمالى المنهارة كما رجوت وتمنيت فاتصلوا بى وقالوا ان المشير يلح فى ضرورة حضورى السريع وأدركت أن الموقف لم يتغير فلو كان تغير لما احتاج المشير الى حضورى السريع ففى وقت الزفة تكون رؤية العريس قاصرة على النظر الى وجه العروس الجميل والى زحام المهنئين !!

ولم يجد هيكل صعوبة كبيرة فى اقناع عبد الحكيم بأنه لا يرضيه أن يبقى فى قريته وبعيدا عن صديقه الذى يوفد له كل يومين رسولا خاصة وأن عبد الناصر لا يستطيع الاتصال التليفونى والحديث يمر به (فى الترنك) وانه لو استمر اصرار عبد الحكيم على البقاء فى بلدته فان أعمال الدولة ستتعطل فى هذا الوقت العصيب فجمال سيكون مشغولا فى ايفاد رسل جدد برسائل جديدة ٠٠ ونلقى ردود جديدة ٠٠ فماذا لو عاد عبد الحكيم الى بيته فى الجيزة ويتم الاتصال بينهما تليفونيا وأن جمال لا يريد أكثر من استمرار صفاء الصداقة !

كان هيكل يعرف نقاط الضعف عند عبد الحكيم فاستغلها وهى تأثره العاطفى وذوبان غضبه بعد كلمة رقيقة طيبة واحدة واستعداده القوى للتسامح والصفح ونسيان الاساءة ٠٠ فوافق على العودة ٠

سر هيكل !

استطاع هيكل أن يكون صديقا لعبد الحكيم رغم كل هذا الذى ذكرته ! بل وحاول اقناعه بأنه يحبه ويثق فيه أكثر من حبه وثقته فى

عبد الناصر ! وقد يبدو هذا عجيبا بل قد تبدو هذه المحاولة سذاجة من هيكل وسذاجة أكثر لمن عبد الحكيم اذا صدقه !

ولكن الذين يعرفون كثيرا أو قليلا من حقـائق الامور ٠٠ والذين يفهمون عبد الناصر بعض الفهم وليس من الضرورة كل الفهم ٠٠ والذين يعرفون طبيعة الاثنين ٠٠ والذين يتأملون ويفكرون من الذين لم تصبهم عمليات غسيل المخ التى كانت تجرى نهارا وليلا من اذاعتنا النشطة اليقظة حتى اذا أغفت قليلا استيقظت صحافتنا المؤممة تواصـل حرق البخور ودق الطبول وعزف المزامير ٠٠ وهى لا تستنشق أبخرة البخور ولا تطرب من ايقاع دق الطبول ولا من الحـان عزف المزامير ! كل هؤلاء وما أكثرهم يدركون ببساطة أن هذا هو الفهم المعقول وأن غيره من فهم هو اللا معقول !

كان عبد الحكيم وهيكل أكثر من يؤمنان بأن أحدا من الذين حول عبد الناصر لا يحبه ولا يثق فيه ! ببساطة وبذكاء أقل من العادى يمكن لمن يريد أن يفهم (ذلك أن نفوس البعض منا قد تتأثر بمصالحها فتصاب بغباء شديد يجعلها كالنعامة لا تريد أن تعرف !)

اذ كيف أحب من لا يحبنى الا اذا كنت مريضا بالســادية التى تجعلنى أعشق الهوان ؟! وكيف أحب من لا يحب الا نفســه ومن يمشى فوق أطلال الدنيا ليبقى وحده فوق القمة !

ومن يحتقر كل الناس لان مرض العظمة (وليس ايمانه بنفسه) يفرض عليه هذا التصرف ! ولا أخشى التشنج وأنا أذكر الحقــائق كما ذكرت فعندى الادلة والامثلة التى تجعل المتشنج هادئا ووديعا ومستسلما ولكن لو سقتها فالكتاب يتضخم ويرتفع سعر النسخة الى مائة جنيه !! ولم يولد بعد العبقرى الذى يشترى أحد نسخه من كتابه بهذا السعر

يكفى مثل واحد يعترف فيه محمود الجيار فى ذكرياته العجيبة التى يدفعه الحماس وبراعة كاتبها الاستاذ صلاح حافظ فى التشـويق فيفلت منها بعض الصدق يفسد رغبة صاحبها فى الاطراء والثناء على عبد الناصر ! فيقول ان عبد الناصر أثناء وجوده فى روسيا للعلاج ..

١٩٦٨ (وهو فى حاجة الى كل إنسان فى أيام الهزيمة المريرة والضعف الشديد) يعلم أن الجيار أرسل يرجو البغدادى أن يبعث ببرقية لعبد الناصر يتمنى له فيها الشفاء وذلك لرقة وصفاء نفس الجيار كى يخفف من الوحدة النفسية لعبد الناصر بعد أن لم يبق حوله يؤنس وحشته ويخفف مما قد يشعر به من عذاب الضمير من قسوته فى الفتك بزملائه من أعضاء مجلس الثورة غير الجيار توأم روحه (كما يقول) وأيقونته الزرقاء الذى يتفاءل به حينما يفتح عينيه ليراه كل صباح ويغمض عينيه على رؤيته قبل نومه كل مساء ! وغير محمد أحمد الذى لا يفارقه ويقوم بتمريضه وكل شئونه والوحيد هو والجيار من حول عبد الناصر ولا يكرههما أحد .. يعلم عبد الناصر بهذه الجريمة العاطفية البشعة والخيانة الرهيبة من الجيار لخضوعه لشعور انسانى نبيل وحنين وأمل فى استعادة صداقات وذكريات ولت واختفت فيثور ثورة عارمة ويقول للجيار (لم شنطك انت ومحمد أحمد وامشوا !) محمد أيضا الذى لا ذنب له فى هذا التفكير الآثم ولا يعلم به ولا يوجد غيره معه فى وحدته ومرضه وغربته يلم شنطه ويمشى ؟! الاثنان الوحيدان الباقيان يطردان بهذه الصورة لهذا السبب التافه الذى كان يجب أن يكون موضع شكر ! فهل يمكن لهذين الرجلين الطيبين الكريمين أن يقسما على القرآن الكريم أنهما أحبا هذه الشخصية الطاغية القاسية الباغية الظالمة الغادرة ؟!

وأعرف معنى كلماتى فى هذا الوصف ومعنى المسئولية ! هل يمكن لانسان لا تهون عليه آدميته أن يحب هذا الرجل ؟!

واذا كان هذا مثل معنوى يهز شعور من يفهمون ويشعرون وكان من بيننا من لا يتأثر الا بشعور البطون فليس أقرب للانسان من أخيه وأبيه .. فبعد موت المشير فصل أخاه حسين لانه زوج بنت المشير ! وهو الذى اختارها له ووقف ساعات يستقبل المدعوين والمدعوات الى أكبر فرح أقيم فى نادى الضباط بالزمالك .. وكان من الطبيعى أن يشفع له المرحوم أبوه فجاء من الاسكندرية وذهب الى بيته ليطلب منه اعادته الى وظيفته أو يسمح له بالسفر الى لبنان ليعمل هناك طيارا مدنيا فيرفض

شفاعة والده فى أن يأكل أخوه لقمة العيش فى مصر أو خـــارج مصر ! ويبقى حسين عاطلا طوال باقى أيام حكمه ولا يسافر الا بعد موته !

فى يوم لا أستطيع تحديده لانى لم أكن أجرى تحقيقـا أو حديثا صحفيا وما كنت أتصور أن يوما سيجىء وننشر فيه كلمة عن حكم عبد الناصر على الاقل فى حياتى .. اتصل هيكل بالمشير ودار بينهما هـذا الحديث :

هيكل : عايز أقابل سيادتك لو سمحت .

عبد الحكيم : اتفضل يا هيكل واحنا بيننا مواعيد وأنا فى (ديك) اليوم اللى ح يزورنى فيه المستشار الصحفى ؟!

هيكل : أنا جاى لسيادتك بصفتى محمد حسنين هيكل الصحفى .

عبد الحكيم : أهلا يا هيكل وأنا ح أقابلك بصفتى عبد الحكيم عامر ابن الشيخ على عامر عمدة اسطال قبلى !

هيكل : الصفة دى هى اللى مطمعانى فى سيادتك .

عبد الحكيم : أنا مستنيك يا هيكل اتفضل .

وجاء هيكل بعد دقائق فبين بيته وبيت المشـــير بضعة أمتار وكان مضطربا وقال بدون مقدمات أنا قاصد عبد الحكيم عامر اللى اعرف انه مايخلفش وعد عايزك تعدنى بأن ترعى أولادى وتعتبرهم أولادك اذا حصل لى حاجة !

وقال عبد الحكيم .. ايه يا هيكل جرى لك ايه ؟ فيه حاجة حصلت؟ قال هيكل سيادتك تعرف أكثر منى ان مافيش حد يقدر يطمئن على نفسه فأى غلطة أو شك أو أى وشاية وينتهى كـــل شىء !! وما دام مافيش تحقيق ولا محاكمة ولا قوانين وأى انسان يعتقل أو تفرض عليه الحراسة أو الاثنين نتيجة ظن أو سوء فهم أو استنتاج يبقى مافيش حد يطمئن وأنا معرض فى عملى وكتابتى لكل ده ..

وطمأنه المشير ووعده بأن يقف بجانبه وألا يحـــدث له شىء مما يتوقعه .. وكان لهذا الحديث الذى جرى وقت أن كانت العلاقات بين عبد الناصر وعبد الحكيم تعيش فى شهور العسل .

كان له تأثير كبير فى نفس المشير فبدأ يميل لهكيل ويثق فيه ولم يشك احد فى أن هيكل كان صادقا فى مخاوفه وكان صادقا فى ثقته فى عبد الحكيم ‥ ورغم طيبة قلب عبد الحكيم فانه لم يتخل عن الحذر فى أيام الازمة التى لعب فيهاهيكل دورا كبيرا تعرفه من خلال إحداث القصة وفى توقيتها المختلف

واذا كان هيكل يتزعم الآن جمعية المنتفعين من غباء الغوغائية التى لا تفهم عبـــد الناصر ولا أسرار حكمه وتصرفاته ولا تفهم الا ما تفهمه الببغاوات من ترويدها لما تسمعه من كلام ‥ فذلك لان مكانته السابقة (والتى لم يكن يعرف أحد غير المشـير اهتزازها وضـــعفها) جعلت له طموحا وتطلعات وأمال خابت وصدقت فى ما لا يتوقعـــه ‥ ويصعب التمسك بالمبادىء والمصلحة معا فاذا دخلت المصالح الى النفس من النافذة خرجت المبادىء من الباب !!

توالت النذر بهذه الاعتقالات

لما اقتربت من بيت المشير عقب عودتى من بلدى اعتقدت أن الصلح بينه وبين جمال تم بطريقة ما فقد كان جنود الحرس كما كانوا وهو فى الحكم .

وعرفت أن الموقف متجمد فالمشير عند رأيه كما كان وعبد الناصر اعتقد انه بعد عودة المشير سيمكنه الضغط عليه حتى يخضع ويقبـــل المنصب الذى يضعه فيه فيكسب المظهر العام بعدم حدوث شـــقاق أو خلافات وأيضا يشوه صورته فى نظر المتمسكين به من ضباط الجيش فيروا فيه رجلا مستوزرا يقبل أى وظيفة !

وسوف لا أستطيع ذكر تاريخ كل واقعة أو حادث الا بالنســـبة للاحداث الكبيرة التى فرضت تأثيرها على الذاكرة فبقيت فيها وبعضها بقى بأدق التفاصيل وباليوم والساعة .

ففى ذات مساء علمت بأول نبأ كأحد نذر الازمة وهو اعتقال صديقنا الفريق عبد العزيز مصطفى محافظ البحر الاحمر ثم رئيس مؤسســـة

الاسماك ونائب المشير في اتحاد الكرة ومن أكثر من يحبهم فهو شخصية يحدث في المجالس الخاصة ما يحدثه التكييف في يوم شديد الحرارة .
وربما كان الضابط الوحيد الذي أخذ رتبة الفريق بعد تركه للجيش بسنوات طويلة وفي مناسبة كان عبد الناصر أعطى هذه الرتبة لاحد المنتمين اليه (ونسيت اسمه) فانتهز المشير هذه الفرصة وطلب منه أن يعطيها أيضا لعبد العزيز مصطفى الذي كان يرافقه في جميع رحلاته في البحر الاحمر للصيد .. وكان اعتقاله في رأى من حول المشير بداية الاستفزاز .

أما المشير فرغم غضبه الا أنه أخفاه وأعتبر أنها بداية حرب الاعصاب وأنه يجب أن يتحمل والا خسر المعركة .. ولم يستمر أعتقاله أكثر من ثلاثة أيام ! وكان من المستحيل في رأينا أن يكون تكلم أو حتى أظهر الاستياء من الهزيمة فهو يعرف هذا الجو جيدا وأعقل من تعريض نفسه للمساءلة .. وان كان هو صاحب نكتة (الفهامة) التي رسمها بعده صلاح جاهين في كاريكاتير الاهرام ومسألة السبق هذه لاننا كنا نستعمل هذا التعبير في مجالسنا قبل رسمها بوقت طويل !

وبعد خروجه من المعتقل برهن على رجاحة تفكيره فاختفى في بلده الاسكندرية حتى اليوم !!.

وأثبت أن حكم عبد الناصر كالقضاء والقدر (واستغفر الله) فواحد يمشي على الرصيف فيصعد أليه أتوبيس ويهشمه ! وآخر يلقى بنفسه أمام القطار فيراه السائق ويوقف القطار ! فبينما كنا نحن في السجن كان الفريق عبد العزيز يرأس النادي الاوليمبي وينتخب رئيسا لاتحاد الكرة في أفريقيا ويسافر للخارج وكأنه من أعداء المشير ! .

وأشتدت حرارة المعركة التي كانت حتى الآن من جانب واحد لما اتصلت في احدى الليالي السيدة زوجة الفريق صدقي محمود بالسيدة حرم المشير وقالت لها انهم اعتقلوا صدقي ! وكان تعليق المشير ان جمال بدأ يحقق أمانيه فقد كان من أعز أمانيه أن يترك الفريق صدقي الجيش ويعين مستشارا أو سفيرا أو رئيس مؤسسة وهي المناصب التي كان

يتخلص بها من (المصلحين) الذين يقاومون الانحناء وبعد أن يصبحوا موظفين ينحصر اهتمام حياتهم بالسلم الوظيفى ولا يتطلعون الى من يرفع ويخفض من يجلسون فى مناصب هذا السلم ولم يستطع عبد الناصر تحقيق هذه الامنية وهو الآن يضعه فى زنزانة بدلا من الوظيفة الكبيرة !

وهذا الاعتقال غير اعتقال المحاكمة فتلك تخدم أهدافا أخرى فى قصة أخرى !!

وقالت السيدة زوجته انه لم يغادر بيته ولم يتحدث أمام أى أحد غريب وكان الفهم أنه ربما ضاق بكثرة الاتهامات الموجهة اليه فتكلم مع أسرته ورغم ذلك علم جمال بحديثه أو ربما خشى هذا الحديث أو أراد تحقيق أمنيته ورفع درجة حرارة المعركة وعلى أى حال فقد حقق ما أراد وحقق جميع أمانيه !

ثم جاء الخبر الثالث باعتقال اللواء طيار عصام خليل الذى أنقذ حياة عبد الناصر وأعطاه فوق الحياة مليون جنيه ثمن تدميره للطائرة التى يستقلها من سوريا أثناء عودته لمصر ووقتها أعجبت به كل مصر واقترح على مصطفى أمين أن أقدم اقتراحا لمجلس الامة بتقديره وتكريمه ومنحه جائزة مالية الا أن البغدادى قال لى انه لم يقم بغير واجبه ولا يجب أن يكافأ من يؤدى واجبه فتكون سابقة ضارة لا نافعة والبغدادى طيار ويعرف تقاليد الجيش فلم أقدم الاقتراح ثم أصبحنا أصدقاء وعرفت أن حالته المالية طيبة .. ثم قرأت منذ عامين أن جمال أعطاه من المليونستين ألف جنيه ولا أعرف ان كان البغدادي علم بالمكافأة أم أن رأيه كان من حيث المبدأ ؟

وبدأ التوتر ونذر الازمة الشديدة واقترح واحد على المشير أن يكلم جمال ليفرج عن المعتقلين ويوقف هذه التصرفات ولكنه قال يعنى هو عارف انى فرحان باعتقالهم ؟! هو بيعتقلهم علشان يغيظنى واذا اترجيته النهارده بكره أبوس ايديه !! بلاش كلام فارغ بصوا للى ماتوا فى سيناء مش اللى بيعتقل أو يترفت دى حرب أعصاب وتصرفات هايفة !

أعضاء مجلس الامة والمشير

انها احدى القصص التى كانت ستبقى في موضع صدق من أذهان المواطنين وهي ان أعضاء مجلس الامة فى المنيا وأنا منهم اتصلوا بباقى أعضاء المجلس ليقابلوا المشير ويتحدث منهم يؤثر فيهم او يحاول استمالتهم اليه أو أى شيء ! وهذه القصص التى تصبح حقائق فى عهود لا يرد فيها المظلوم ولا يقبل أحد تصحيح الاخطاء ولا يسمع الا صوت واحد اما أن نكون من نسج الخيال واما انه يكفى فى مثل هذه القصة أن يزور المشير عضو واحد فيصبح جمعا وحشدا وأغلبية الاعضاء !

وهذه هى حقيقة هذه القصة وكل حقائق هذا الكتاب مطروحة للتحدى ٠٠ فأعضاء المنيا أنفسهم لم يزر المشير منهم غير ستة من عشرين! وأكثر من هذا فان نائبين بسمالوط وكانا لا يفكران أو يحلمان بالعضوية لولا المشير الذى كافأ أحدهما على أنه موظف قديم فى وزارة الحربية والآخر كان ابنه شهيدا ٠٠ لم يزره أحدهما بل ان والد الشهيد كافأ المشير بالتشهير به بعد وفاته !!

ويبقى موقف باقى الاعضاء وأنا أقطع بأن الذين زاروا المشير ثلاثة أعضاء من احدى محافظات الصعيد وعضو واحد من الوجه البحرى قال لى انه يريد أن يتعرف على هذه الشخصية كمحاولة فهم ودراسة يهواهما وسألنى ان كان هذا ممكنا فقلت له ان أى واحد فى مثل ظروف المشير يسعده أن يزوره أى زائر ! فطلب منى العنوان فأعطيته له ٠٠

وربما يكون أحد أعضاء المنيا سبب زيارة هؤلاء الثلاثة ولكنى كنت استهجن هذا التصرف وأحتقره فانه اما أن يكون العضو الزائر يعرف المشير فلا معنى لان أطالبه بالقيام بواجب هو وحده الذى يقدره أو يكون لا يعرفه فلا معنى لمحاولة تعريف لا يستفيد منها الزائر أو المزار ٠

وقابل المشير الاعضاء الثلاثة مع ثلاثة آخرين من أعضاء الصعيد (أيضا) السابقين ولم يكن المشير شخصية صغيرة مهزوزة أو عرف الحكم لايام أو يظن أنه يقابل زعماء شعبيين !! فكان حديثه عاما وعاديا ومتحفظا

فيه وهو ما تحدث به الى كل من زاروه ٠٠ وهو أن الموقف ليس ميؤسا منه بشرط أن يكون المستقبل مغايرا للماضى فيكون الحكم ديموقراطيا يدلى فيه كل مواطن برأيه ويتحد فيه المواطنون جميعا لمواجهة صعاب المستقبل ٠

صراحة عبد الناصر

وبعد أيام من هذه المقابلة قال لى المشير ان جمال عاتبه على ما قاله لبعض أعضاء مجلس الامة وقال له ما سمعه وهو يختلف تماما عن هذا الكلام وذكر له اسم العضو الذى نقل هذا الكلام ٠٠ وسألته عن سبب هذه الصراحة فقال انت بتستعبط على ؟! طبعا علشان أخاف ولا أتكلمش مع حد ولا أطمئن الى أحد ٠

وفى اجتماع للجنة التنفيذية قابلت هذا العضو وهو د٠أ٠م والدال لقبا وليست اسما ٠٠ وهم بمصافحتى فتركت يده معلقة وقلت له انى لا أصافح مثلك فكل صفاتك تدعو الى أن تكون محترما ووقورا بسنك ولقبك العلمى ومنصبك كنائب محترم وانتمائك لمحافظة فىأعماق جنوب الصعيد ننظر اليها نحن الشماليين نسبيا على أنها منبع أخلاق ٠٠ ثم تقدم تقريرا كاذبا عن زيارة تطوعت بها كموقف خلقى ٠٠ فهذا أمر محزن ومخجل ؟ (وسمع كلامى بعض الزملاء) وانتفض الرجل بشهامة وحماس للاخلاق والكرامة وأقسم بالطلاق أنه لم يحدث منه شىء مما يسمعه ! فخجلت وقبلت رأسه معتذرا وذهبت الى المشير وقلت له ماحدث ٠٠ وتظهر طبيعته وصفاته التى غير بعضها الزمان بمن استغلهم لافساد حياة الانسان ٠٠ وسعد لبراءة الرجل وهذه السعادة كانت دائما بالنسبة لاى خبر يسمعه ويكذب وشاية أو ينفى اتهاما التصق ببرىء وطلب منى أن أكرر باسمه الاسف والاعتذار للسيد العضو دون أن أقول له أن عبد الناصر هو مصدر الخبر وكررت للسيد الزميل اعتذار المشير وانتهى الامر ٠٠

النائب المحترم جـــدا !!

وكان لى مع ضياء الدين داود حكاية من حكايات حيـــاتى العميقة التى تؤيد نظريتى بالنسبة للاسلوحب الواحد الذى تكتب به الاقـــدار قصص حياة كل واحد منا ٠

ففى عام ١٩٦٤ قال لى صديقى حازم النهرى أنه قريب ضياء الدين داود ونصحنى بأن أتخذه صديقا وأسدى هذه النصيحة لقريبه الذى كان يدخل المجلس لاول مرة واقتصرت صداقتنا على الزمالة فى المجلس ٠

ثم حدث عقب الهزيمة وفى أحد اجتماعات اللجنة التنفيـــذية أن أعلن ضياء عدم رضائه عن مقال لحسـنين هيكل عن وجوب اعادة النظر فى الاعتقالات وتخفيف ويلات الحراسات التى تصيب الناس كصاعقـة من السماء ٠٠ وبالرغم من رأيى فى أن مقال هيكل كان موحى به لامتصاص سخط الناس واعطائهم أملا خادعا فى تغيير السياسة الا أن لنا الظاهر من الرأى المعلن كما أومن بأنه شخصيا ضد هذه الاجرآءات ٠

وكأنما كنت أشعر بما سيحدث لى فعقب الاجتماع تحدثت معضياء بجفاء شديد جدا معاتبا له على أن المفروض فينا أن نكون حماة للحريات لا حربا عليها (وكان هذا أمام بعض الاعضاء والصحفيين) ولم نلتق أو نتقابل بعد ذلك ٠

ولكنى فوجئت بعد خروجى من المعتقل بموقف كريم من ضياء فقد أرسل لى مع قريبه سلامه واعتذاره عن عـــدم زيارتى فى بيتى مع رجاء تقدير ظروفه ٠

وبعد وفاة عبد الناصر طلب منى حازم أن أزور ضياء الذى يلح فى طلب هذه الزيارة وأن أكلفه بمتابعة موضوع الحراسة عنـــد الرئيس السادات ٠

وبالرغم من أنى قلت لزملائى فى المعتقل عقب قراءتى لتعيين ضياء وزيرا ثم اختياره فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشـــتراكى أ

السادات وراء كل هذا .. الا أنى قلت لحازم يشكره وصارحته بأن الرئيس السادات كان قد طلب زوجتى قبل خروجى من المعتقل بيوم الى مكتبه فى مجلس الامة وكانت فى حالة شديدة جدا من المرض واستقبلها بحفاوة كبيرة وكريمة واستجاب لكل مطالبها المتواضعة بالنسبة لمتطلبات الحياة ووعدها برفع الحراسة عنا بعد خروجى ثم أمر بتوصيلها بسيارته الى أن تتصل به فى أى وقت وفى أى أمر فلا حاجة لوساطة أخرى .

فبعد شهور من خروجى من المعتقل قابلت محمود أبو وافية وكانت صداقتى له من النوع الذى لا نعرف له سببا الا أنه من الاسرار الروحانية للانسان .. وكنت أريد منه أن يذكر الرئيس السادات بوعده .. ولم أكن أتصور أنه أسطورة أخلاقية بهذه الصورة فقد وجدته تابع الموضوع بدافع من شعوره وقال لى إن عبد الناصر قال للسادات (استنى شوية لما يتأدب !!) ولم يقل كعادته كيف سيرى هذا الادب مع أنه فعل بى ما يفعله الناس فى ثمار البن فيجنونه ثم يدخلونه المحمصة .. ثم يطحنونه ثم يغلونه على النار ويشربونه ليعدل المزاج !

وانتظرت وقتا من أجل هذه الشـــوية) وقابلت محمود للمرة الثانية بعد أن عاد من الخارج وفوجئت بما أذهلنى فقد أخرج من مكتبه لفافة أعطاها لى ووجدتها (كرافت) قيم وقال لى انه لم ينس هديتى ! وكنت فى شدة الالم لانى غرقت فى دين يستحيل سداد شىء منه .ففى هذا الوقت كنت اذا قابلت صديقا مصادفة يصـــاب فجـأة بالعمى ولا يرانى !

وبعد وفاة عبد الناصر أنقذ محمود حياتى بعد استغاثة زوجتى به بنصف ساعة فقد أصبت بأزمة قلبية وكل ما كان مع كل الاسرة يقل عن خمسة جنيهات ! ولو اتصلت زوجتى بالحراسة فسوف يجىء القومسيون الطبى للكشف على فى مقبرتى وفى الذكرى الخامســة لوفاتى ! ولكن محمود اتصل برئاسة الجمهورية وبعد هذا الوقت كنت فى مستشفى معهد القلب ! ومعذرة لذكر حالات انســانية فى كتاب سـياسى فاذا انفصلت السياسة أو غيرها عن العواطف البشرية فلعنت ولعن المشتغلون بها !

لقد رأيت صورا من الناس فى أقذر مســتنقع من الوحل ورأيت أخرى فى أعلى طبقات الجو من السمو !

وذهبت لمكتب ضياء فى منتصف شهر ابريل سنة ١٩٧١ (وأرجو ملاحظة هذا التوقيت !) وكان فى نيتى ألا أجلس فى مكتب السكرتير فان كان مشغولا تركت بطاقتى وانصرفت وان تأخر فى استقبالى أكثر من ثلاث دقائق تركتها أيضا وانصرفت ·· ولكن بعد أقل من دقيقة من دخول سكرتيره عليه خرج ضياء من مكتبه ليأخذنى من حجرة السكرتير معانقا ويطلب منه الغاء موعد كان مرتبطا به وألا يدخل عليه أحدا ·

وقال لى ان النائب فلان (الذى أقسم بالطلاق) قدم تقريرا ذكر فيه انى قلت للمشير (مستنى ايه ماتحرك الجيش ؟!) قلت له لكن المثل يقول اذا كان المتكلم مجنونا يكون المستمع عاقلا فهل هذا كلام يصدقه أو يستمع اليه أحد ؟ أو لا يوجد وقت أو مكان أقول فيه هذا الكلام الخطير سرا على فرض أنى جنرال يضع خطة تآمر عسكرى ويعلنها أمام كل من هب ودب من الناس ؟! قال انت مش بعيد عن الجو ! ثم سألنى عملت ايه فى الحراسة ؟

قلت له لسه وأبو وافية يعرف سير الموضوع واهتمامه به أكثر منى ·· وقال انه لن يكون له مهمة أهم من هذا الموضــوع وانه الليلة سيقابل الرئيس السادات ·· ولعنت نفسى وأنا أذكر موقفى السابق منه ·· وبعد أسبوع أرسل لى مع حازم بأن الريس قال له ان رفع الحراسة عن فلان مش كفاية وأن الواجب تعويضه ··

وفكرت فى الذهاب الى مجلس الامة ومقابلة هذا العضو المحترم جدا وفضحه أمام زملائه الا أن مبــدئى كان أن من نحتقرهم يجب ألا يحظوا بشرف اهتمامنا بهم !

هل وزعت منشــورات ؟ !!

وهذه القصة الجديدة صورة طبق الاصــل من كل حكايات الظلم التى حدثت فى تلك الايام ·

وتبدأ القصة بأن أرى يوما فى منتصف شهر يوليو أكداسـا من أوراق مطبوعة فوق مائدة فى صالة بيت المشير ويقول لى أحد أفراد الاسرة مش تاخد شوية ؟! فأخذت واحدة فاذا بها خطاب استقالة المشير المسببة فى ديسمبر سنة ١٩٦٢ ٠٠ قرأتها سريعا اذ كنت عرفتها وقت تقديمها وأخذتها معى وتركتها فى بيتى وكان الذى أعجبنى منها بسـاطتها اذ يقول لعبد الناصر بعد ما عرض تصوره لصورة الحكم المطلوب ما معنـاه (اعمل أى نظام معروف فى أى بلد فى العالم ٠٠ المهم تعرفه وتستقر عليه !!)

وتحدثت الى أصدقائى من أفراد الاسرة بأن طبع هـذه الاستقالة وتوزيعها على الزائرين لا معنى له لان المشير رضى بعد هذه الاسـتقالة بالاخطاء الجسيمة بل ورأس لجنة تصفية الاقطاع وانى لا أوافق على هذه الفكرة وان كنتم تصرون على توزيعها فأرجو اعفائى من الاشتراك فى شىء لست مقتنعا به ولا أعرف كيف أدافع عنه ٠

أكثر من هذا فان أحد ضباط الصاعقة من المفصولين والموجودين فى بيت المشير عرض أن يذهب الى القاعة الكبرى فى جامعة القاهرة حيث يخطب عبد الناصر فى ذكرى ٢٣ يوليو وحينما يقول شيئا لم يحدث فانه سيقف ويقول له هذا غير صحيح ! وقلت انى لن أحضر هذا الاجتماع ولم أذهب اليه الا بعد أن تأكدت من رفض هذا الاقتراح !

وفى يوم ٢١ يوليو كنت فى مكتبى فى الامـانة فى مجلس الامة ولاول مرة بعد يوم عشرة يونيو اذ لم أذهب اليه تجنبـا من الدخـول فى مناقشات أو أحاديث قد تنقل محرفة وكان الاعضاء يفدون لاستلام تذاكرهم من المجلس ٠٠ ودخل محمد على بشير وكان رئيسـا لشركة الاعلانات الشرقية وأمين الاتحاد الاشتراكى فى الشرقية وزميل من أول مجلس سنة ١٩٥٧ فدعوته لشرب فنجان قهوة وجلس بجانبى وقبل أن تأتى القهوة دخل عامر وجلس أيضا وأعطانى مظروفا عرفت ما فيه قبل أن أفتحه فقد كان فيه هذا الخطاب وقال محمد بشير وهو يضحك انتم بتوزعوا منشورات ؟! فوجدت أن هذا الظن مصيبة أفدح من مصيبـة

الخطاب (ان كان قراءة خطاب استقالة جريمة) فأعطيتـــه له دون ان أفتحه .

وقرأه بشير وأعطاه لى فقام أحمد يونس من جانب محمود أبو وافية وقال لى تسمح .. فأعطيته له فقرأه وأعطاه لمحمود !. فقـــرأه ورده لى فاعطيته لعامر !.

هذه هى كل القصة حرفيا .. انسان جالس فى أمان الله ودخل واحد ليعطيه قنبلة مغطاة فى سلة ويحدث هذا الانفجار الذى حدث !! ما دخلى ؟ وما ذنبى ؟

وأعود الى بيتى وأنسى تماما ما حدث .. الحاضرون شاهدوه واذا نقل فسينقل كما حدث .. وينقل فعلا فيفاجئونا محمد على بشير ليتصل بمحمد شديد فى الاتحاد الاشتراكى وهو ضبط مثله ويحكى له الحكاية كما حدثت ويتصل شديد بعباس رضوان الذى يتصل بالمشير ويشكو له من عامر فيقول له كما شهد محمد شديد فى محكمة الثورة عامر عامل زى الدبة !!

ثم يتقرر عقد اجتماع للهيئة البرلمانية لكل ثلاث محافظـــات معا وحضرت هذا الاجتماع وفيه محافظة المنوفية مع المنيا مع محافظة أخرى لم يتكلم منها أحد .

وتحدث العضو كمال بدر وهو أحد المحامين فى محافظة المنوفيـــة بأحسن ما سمعت فى كل أيام المجلس عن السياسة الداخلية والخارجية وكل شىء تقريبا بصراحة ووضوح .. وتكلم من المنيا الزميل مصــطفى أنور وقال ان الزميل عبر عما نشعر به جميعا .. ولم أنطق بكلمة بل او أن مصطفى أخذ رأيى لنصحته بعدم الكلام للحساسية الموجودة بالنسبة لازمة المشير .

ورد الرئيس السادات على بدر الذى كان تساءل عن معنى الصفاء الثورى وهل معناه عودة أعضاء مجلس الثورة الســــــابقين الى الوفاق والاتحاد فى هذا الظرف العصيب وقال الرئيس ان العلاقات بين أعضاء مجلس الثورة علاقات صداقة قوية لا تتأثر بالبقاء فى الحكم أو الخروج منه وأنها ليست كما يظن عبد الصمد وعامر وكامل عبد الهادى (بهـذا

الترتيب) وكنت نسيت ما ليس لى فيه ذنب وفهمت أن القصـــة نقلت بصورة أخرى .

فكتبت ورقة للرئيس قلت فيها هل أتكلم الآن أم أنه لدقة الحديث نرى سيادتكم أن أقابلكم فى المكتب لتوضيح الامر فرد سيادته على نفس الورقة التي احتفظت بها لسبب لا أدريه بأن أقابل سيادته فى المكتب .. وعقب الاجتماع ذهبت أنا وعامر الى مكتب الرئيس فوجدنا عنده مراد غالب فانتظرنا حتى خرج وخرج الرئيس فوقفنا معه وقص عليـه عامر الحكاية كما حدثت .

وانتهت القصة ولكنها لم تنته عند عبد الناصر الذى لا تنتهى عنده قصة الا بعد أن يراق على جوانبها الدم دون محـــاولة لمعرفة العـدل من الظلم أو الشعور بمسئولية الضمير والحكم !

هدى عبد الناصر تبكى !

حينما يكون الانسان فى فراغ ليس له حدود ولا يتحمـــل فيه ألم ذكريات ماضيه الضائع ولا التفكير فى مستقبله المخيف فلا منقذ له فى هذه الإيام العصيبة من الآلام الرهيبة الا بالاحتماء فى رحمة الله وقدرته وعظمته يقرأ القرآن ويحاول تفسير بعض آياته .

وهذا ما فعلته فى أيام أطول من كل الزمان داخل وخارج المعتقل ففهمت من قوله تعالى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) أن أحداث حياة كل انسان فيما يصيبه من خير أو شر قدرت بأسلوب واحد وأخرجت بطريقة واحدة (ان صح التعبير) لان الذى قدرها واحد وأرادها أن تختلف فى كل انسان كينائه .. وحكايات هذه الايام وحدها تثبت رأيى فى هـذه النظرية .

ليلة ضربت المدفعية الاسرائيلية مصانع تكرير البترول فى السويس .. كان يتناول معى العشاء أربعة أصدقاء خرجنا معا من بيت المشـير بعد سفر حسن عامر الى السويس وكان رئيس مؤسسة البترول وجلس

الاصدقاء فى مكان منعزل فى بيتى لا يسمع كلامنا الجن اذا أراد استراق السمع !

وذهبت للاشراف على اعداد العشاء الطارىء وعدت اليهم لاجدهم يتحدثون فى موضوع لا أدرى من منهم الذى فتحه وكانوا يوسف الشريعى وعامر وابن عمه مصطفى وحازم النهرى صديق العائلة وكان حديثهم عن الفيلتين اللتين بناهما عبد الناصر لابنتيه هدى ومنى وتدخلت فى الحديث لادافع بحرارة عن هذا التصرف بما قرأته فى محضر اجتماع سرى فى الاتحاد الاشتراكى وكان المجتمعون يناقشون أزمة الاسكان وقال عبد الناصر أنا قلت لعبد الحكيم يشوف لى شقتين لبنتى الكبيرة والصغيرة فقال عبد الحكيم الخلو اللى ح تدفعه فى كل شقة (يعنى عبد الحكيم سمسار شقق !!) حط عليه قرشين وابن لكل واحدة فيلا فاستبدلت جزءا من معاشى (!!) وبنيت لكل واحدة فيلا بثمانية آلاف جنيه .

وقال أحدهم وهى الثمانية آلاف تشترى أرض وتبنى فيلا ؟ قلت له يمكن الارض تكون مشتراة من زمان وأنا شخصيا بابنى فيلا فى مكان بيتى وقدرت لها ميزانية خمسة آلاف فقط ثم قلت انه بالنسبة للامن ومكانتهما وكل الظروف فلا بد من سكن كل منهما فى فيلا منعزلة وفيه عشرات ويمكن مئات أقل منهن بكثير وساكنين فى قصور .

وبعد أيام قليلة كنت فى نادى الزمالك وجلس معى قاضى صديق كان من أكثر الاعضاء ثورة وغضبا بسبب الهزيمة وتحدث عن عبد الناصر وديكتاتوريته التى أدت الى هذه الهزيمة وتبدأ المصادفات العجيبة فيذكر هاتين الفلتين ومسائل أخرى ودافعت بنفس الدفاع وصححت ما أعرف عن الموضوعات الاخرى .

ونسيت تماما هذين الحديثين أو الدفاعين وفى مساء ٢٣ أغسطس وقبل اعتقالنا بثلاثة أيام كنت فى الطريق الى بلدى بالسيارة مع مصطفى عامر الذى قال لى .. انت تكلمت مع حد غيرنا عن الفيلتين بتوع هدى ومنى ؟ قلت له وهو أنا اتكلمت معاكم علشان أتكلم مع غيركم ؟! أنا دافعت معاكم ومع فلان القاضى فاذا كان الدفاع وصل لعبد الناصر

وشكرني للمشير فلا شكر على واجب !! قال شكر ايه ده يخرب بيتك ؟!
ده بعد ما كنا عندك بأسبوع المشير كان بيقابله وقال له قول لعبد الصمد
مايجيبش سيرة أولادي ويشنع عليهم ؟! قال له المشير ماجابليش سيرة
.. قال .. قال لحسن قلت له ولا حسن .. قال الاثنين غلطانين ..قلت
هل معقول يكون اللي نقل الكلام معكوس انت أو عامر ؟ لان يوسف وحازم
مالهومش اتصال بعبد الناصر ! ضحك وقال يمكن !

وسكت لحظات وقلت لمصطفى فهمتها ؟ دي الطريقة اللي يخوفوا بيها
كل واحد علشان مايفتحش بقه ! قال طريقة ايه !؟.. دي هدى نفسها هي
اللي راحت لابوها وهي بتبكي وقالت له الكلام ده ؟! قلت في دهشـــة
وتبكي ليه ؟! هي مش ساكنة في فيلا وشايفينها كل الناس واتكتبت في
مجلة الطليعة مافيش غير كلمتي أنا اللي وصلت الاذاعة عـلى فرض اني
قلتها ؟! قال أبوها اللي قال للمشير ان هدى كانت بتبكي !

وتذكرت حديث القاضي وقلت لمصطفى يا خبر ؟ ده صحيح الطوبة
جت في المعطوبة ! أنا تذكرت ان القاضي فلان أخوه الضابط الياور بتاع
هدى واخواتها وهو اللي كان بيجيبهم يحضروا ماتشات الكورة في النادي
.. ورحت أحصي المصادفات التي تفوق أي خيال :

١ ـ السيد القاضي يتحدث عن الفيلتين .

٢ ـ ويذهب لبيت العائلة وكان أبوكمال قال لي امنعه من الحديث
في السياسة ولكنه يفرغ بعض كبته فيعيد الحديث عن هاتين الفيلتين
والمواضيع الاخرى .

٣ ـ ويكون أخوه الضابط موجودا فيفهم أني الذي قلت له هذه
المعلومات لا الذي دافنس !

٤ ـ وبكل أخلاق وشهامة يذهب الضابط الهمام وينقل لهدى
الكلام !

٥ ـ وبدلا من ألا تكذبه هدى بهذا الكلام التافه والمعروف تتـأثر
وتبكي !

٦ ـ وكما كان الضابط تافها اذ ينقل مايضايق سيدته لا تخشى هدى
على أبيها من مضايقته في هذه الظروف وتترك مسكنها وشئونها .

٧ ـ وتذهب لابيها وهى تعرف أنه لا يحقق أو يتحقق مما يسمع وتعرف قسوته فلا تتحقق هى أيضا مما سمعت وانما نجد أباها ٠٠
٨ ـ وقد ترك اليهود فى سيناء ومسألة اغلاق القناة وتهجير أبناء ثلاث محافظات وأكثر من عدد اللاجئين الفلسطينيين :

وإعادة بناء الجيش ومجلس الامن وأزمة المشير وألف مشـــكلة ومشكلة ليصغى باهتمام الى هذه الوشاية التافهة والكلام المنشـــور فى صحيفة ومحاضر والفيلا التى يراها نصف مليون على الاقل يوميا من مصر الجديدة فى الذهاب والاياب ويتأثر ويقول للمشـــير ويغضب ويخرب بيتى بصحيح !

وقال لى مصطفى لما ترجع لازم تقابله قلت له واحكى له الحكايتين وأوديكم فى داهية ؟

قال يا أخى مالكشى دخل بغيرك قل ماقلتش وخلاص ٠٠ قلت له ومش معقول أقابله ولا اجيبلوش سيرة للمشير والصـــابح وح يظن انه بيتمحك والمشير يزعل ويقول يا أخى أنا كنت شكيت لك ؟! وأقوم من ساقية أقع فى طاحون !! قال المشـــير تقدر على زعله احنا فى ده اللى ما يرحمش !! أنا أبرأت ذمتى وانت حر ٠٠ قلت لما نرجع يحلها ربنا ٠

الانتقـــام الرخيص

وعدت ولكن الى الزنزانة ! وشعرت أنه لن يكتفى بها بل قد يلجأ الى الحراسة فكتبت خطابا للرئيس السادات (رئيس مجلس الامة) ولما كانت الخطابات ترسل مفتوحة فقد رجوت سيادته أن ينفى للرئيس عبد الناصر الوشاية التى وصلته عنى وأقسمت له انى برىء منها ٠

وبعد يومين طلبنى مدير المعتقل اللواء حسن أبو باشا وفتح محضرا س وج ٠ ما هى الوشاية التى الخ ٠٠

وكان يجب أن أجيب بأنها ان كانت وصلت للرئيس فهو يعرفها وان لم تكن وصلت فقد انتهى الامر ٠٠ ولكن لا أدرى أهو اضـــطراب

الاعصاب فى مثل هذه الظروف الذى جعلنى أجيب بالحقيقة أم هو خاطر خبيث حسبت أنه ذكاء وانى اذا ما ذكرت هذه الحكاية فان عشرات الايدى ستتداول الخطاب وعشرات العيون تقرأه وعشرات يقولون لعشرات وهكذا وستثبت رسميا هذه المسألة الشخصية ويحجم عبـد الناصر عن فرض الحراسة على حتى لا يقال أنه انتقام شخصى ويتأذون منه وينتقدونه سرا خاصة بعدما يعرفون ذمتى المالية التى كتبت له خطابا مفتوحا أيضا أقول له فيه أنه اذا ثبت وجود خمسـة فى مصر من الذين يعملون معه فى السياسة نقصت ثرواتهم بقدر ما نقصت ثروتى أو بأى قدر فانى أستحق الاعدام لا الحراسة ! ولكن اتضح أنه ليس للشرف أى تقدير أو قيمة وانى كنت فى قمة الغباء !

وخرجت من السجن مؤمنا متدينا وكان معنى الايمان الا أشكو لغير الله وقد رعانى وأنا فى الزنزانة وتحملت منظر الذين لم يكونوا يعرفون اسم (جروبى) قبل ترديدهم لشعارات الاشتراكية ويرسـلون المخبر يشترى لهم منه جمبرى وشرائح الديك الرومى وأنا أشعر بالسعادة لما استطعت شراء كيلو عظم وطبخت عليه ملوخية ناشفة ! فكيف لا أطمئن على رعاية ربى وأنا خارج السجن ؟ ولكن الناس وأسرتى حاولوا افساد هذا التدين وألحوا على فى الشكوى لعبد الناصر وغيره فأقسمت أنى لن أشكو واذا شكوت فباسلوب عيب ومايصحش ولا يليق !

واستأذنتنى زوجتى فى أن تكتب لهدى عبد الناصر فوافقت بشرط أن تقول لها انك خربت صحتى وبيتى وتسببت فى شقاء أطفالى فاذا لم تصلحى هذا الذنب عند والدك فشكواى منك ومنه الى الله .. وأن تكتب لها العنوان ورقم التليفون وتطلب منها الرد أو تحـديد موعد لتقابلها ولكنها لم تتنازل بالرد وأعادت الكرة فى خطاب مسجل ولا حياة لمن تنادى فظهر لنا أن رحمتها وعدلها لا يزيدان عن رحمة وعدل أبيها ! وأراد الله أن تنتهى أيام الهوان ولم أبك من أقسى ألوان العذاب ولم أضع رأسى كما أراد أبوها فى التراب بل أشعر أنها تكاد تلمس السحاب .

طلب اجتمـــاع مجلس الامة

ذات ليلة مررت بالاتحاد الاشتراكي وكان معي الزميـــل محمود عبد الله (نائب أبو قرقاص) ورأيناه وكأنه مقر لقيـادة عســكرية ٠٠ عربات الجيش تحيط به من كل جانب وفي داخله وفي الطرقات المؤدية اليه بحراسة شديدة لم نشهد مثلها من قبل ٠

وقال لي محمود أنا خايف فلا يمكن أن تكون هذه الحراسة بسبب اسرائيل ٠٠ قلت له طبعا السبب مفهوم فجمال خايف ! وعلشان كده أنا مش بس خايف أنا بارتعد ! لكن ح نعمل ايه في أقدارنا ؟!

وفي مساء اليوم التالي كنا كالمعتاد في بيت المشير وكان السؤال الدائم من كل واحد (متى يجتمع مجلس الامة) والسؤال دائما يوجه لي وحدي ! وفي كل سؤال أدخل في مناقشات ومحاولات اقناع والحديث عن الدستور وقانون المجلس واللائحة الخ وكان هذا السؤال يطاردني في كل مكان في النادي وفي الشارع وحتى في بيتي !

ومن المحزن أن المشير كان يغمز بين الحين والآخر غمـــزات تهكم خفيفة ٠٠ وكانت جراحه النفســـية تمنعني أنا أو غيري من أن تزيد نزيفها تدفقا بالنقد أو الاحراج ٠٠ حتى جاء وفد من بني مزار لزيارته وكان مع أحد الزائرين ابنه الطفل فقال له المشير مداعبا (أوعى تطلع عضو في مجلس الامة !) ولم يكن موجودا من الاعضاء غيري ! فضايقني هذا الغمز ولكن لبرهة قصيرة اذ انه منه واليه ! فهو أثناء رئاسته للجنة تصفية الاقطاع فرض الحراسة على عضوين وأوصت اللجنة بايقاف خمسة عن حضور الجلسات وكان اثنان منهما من أعضاء المنيا ٠

والفهم الخاطيء بل القاتل الذى لم يعارضه أحد هو أن الحراســة يمكن فرضها على أعضاء مجلس الامة دون اعتبار للحصانة البرلمانيــة أو حتى محاولة بحث هذا الاعتداء البشع عليها !

فأول اجراء للحراسة هو تفتيش بيت المفروضة عليه أو بيوته ان

كان له أكثر من بيت والتحفظ على كل ما فيها .. والتفتيش اجراء جنائى ممنوع بالنسبة للاعضاء منعا باتا الا فى حالة التلبس الجنائى ..

ان جوهر الحصانة هو منع أى محاولة لاعاقة العضو عن حضور الجلسات وحمايته من الخوف والاغراء من السلطة التنفيذية ولذا منع القانون التعامل مع الحكومة بالبيع أو الشراء أو التأجير أو أى شيء قد يكون فيه امتياز أو اغراء وكان قبل الثورة محرما على النائب قبول لقب أو وسام فوق الممنوعات الاخرى .

والحراسة لمن يعرفها قد تعرض المفروضة عليه للانتحار محافظة على كرامته فاذا خاف الله كان البديل الوحيد هو التسول ! ثم يبقى عضوا ليراقب ويحاسب الحكومة التى فرضت عليه التسول ! فأى حصانة أو دستور أو برلمان هذا الذى يملك رئيس الجمهورية حق خراب بيوت أعضائه ؟! ومن بعد ذلك يستطيع أن يفتح فمه ؟! أفلم يكن المشير يعرف هذا ؟!

وفى تلك الليلة التى ذكرتها وجدت شبابا من أسرة المشير مجتمعين فى حديقة البيت وقد بيتوا أمرا فقد حاصرونى بأسئلتهم عن اجتماع مجرد ذكر هذا السؤال فقلت لهم أنتم آخر من يتكلم عن أى شيء قبل المجلس وعن أمور أخرى انتقدوها .. وكانت أعصابى لم تعد تتحمل يوم تسعة يونيو فانه من المخجل أن تنسوا أن المشير هو المسئول الثانى عن كل ما حدث وانه لمن المحزن أن يبدأ شبابنا حياته بمثل هذه البداية .

وكان ثلاثة من الزملاء أعضاء المنيا شاهدوا حدتى وخجل الشباب فقالوا لى بصفتنا انتخبناك لرياسة المجموعة البرلمانية فاننا نطالبك فورا بتقديم طلب لانعقاد المجلس ولم أنكر عليهم حقهم فى هذه الرغبة وفى الوقت نفسه أردت أن تكون المناقشة بعيدا عن التوتر وفيما بين الاعضاء .. فدعوتهم للذهاب الى بيتى ومعهم حسن عامر والمرحوم حسن سنداوى عملاق الاخلاق والذى عاشرته طوال عمرى ولم أعرفه الا فى هذه الايام .

وفى اجتماعنا فى البيت سألتهم هل بينكم من لا يشعر بالخوف ؟! فأجابوا جميعا بالنفى ولكنهم أضافوا أن الواجب هو الواجب وليس

الواجب هو ما نقوم به بدون تضحية أو تعرض للمخاطر وأن الفرق بين العضو فى أى عمل أو مكان وبين الرئيس هو تحمل المسئولية ..

قلت لهم انه ليس فى مصلحتنا جميعا أن تعرضونى للحساب الشديد وسوء الظن الموجود عند عبد الناصر وأن تقديمى للطلب والتوقيع عليه كأول توقيع سينظر اليه بسوء ظن شديد ولن يكون له نتيجة أو فائدة هل يحاسب المجلس على الهزيمة أو يطلب معرفة أسبابها ؟ والمجلس سيناقش نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية الجديد وكلاهما لا يعرف شيئا ! وقد يقال أي كلام وتلقى المسئولية على المشير وهذه هى النتيجة الوحيدة المضمون الوصول اليها ان أحببتم !

قالوا ان المطلوب هو اجتماع المجلس وليس تحديد موضوع المناقشة التي لن تحدث بالصورة التى تخيفنا منها ! قلت لهم حاضر ودى أول مرة يطلب فيها عقد اجتماع للمجلس وعلشان كده أذاكر الليلة اللائحة ويحلها ربنا بكره .

وطوال الليل أفكر حتى استقر أمرى على حل وسط وهو طلب اجتماع الهيئة البرلمانية والفرق بين الاجتماعين أن اجتماع الهيئة لا يحتاج الى مواد من اللائحة فليس لها لائحة !

ولا يتطلب تحديد سبب الاجتماع .. وليس لها علانية ولا مضابط رسمية .. فهو اجتماع عائلى ويمكن عقده فى غير المجلس وفى أى مكان وليس له قرارات ملزمة بل ولا مواعيد محددة يجتمع فى خلالها !!

والعجيب أنى لم يكن من حقى طلب عقد هذا الاجتماع لسبب بسيط هو أنى لم أكن عضوا عاملا فى الاتحاد الاشتراكى ! فلم أقدم طلب عضوية لاسباب يطول شرحها ويعرفها بعض زملائى فى المنيا اذ كنت أريد انهاء حياتى العامة فى توقيت رأيته ولكن كانت الاقدار سبقت وحددت توقيتا آخر وأسلوبا آخر !

ووقع معى زملائي من أعضاء الامانة محمود أبو وافية وفؤاد محى الدين ومحمود موسى كما وقع معظم الذين أصبحوا بعد ذلك وزراء ومحافظين وسبعون عضوا كانوا يتزاحمون على التوقيع ولم تكن منهم غير خمسة من المنيا !

ومن المصادفات العجيبة التى لا أعتبرها مصادفات أن أكتب هذا الطلب في يوم قصة خطاب الاستقالة فيتصور عبد الناصر أنى بطل ثورة مضادة ! والامر لم يكن فيه لا بطولة ولا شجاعة ولا قصد ولا حتى فكرة ! ولكن متى كان الامر كله بيد فرد لا تهمه الحقيقة أو العدالة ويرى أن توقيع لعقوبة (على كل من يرى أن ما نسب اليه يستحق العقوبة) يمنع الجريمة لانه قد يدان أبرياء ولكن لا يفلت مجرم ! فليس المتهم بريئا حتى يثبت الاتهام ولكن المتهم مجرم فى جميع الحالات لانه لا تحقق ولاتحقيق ولا ضرورة لهذه الحنبلية والتدقيق !!

العضوان اللذان احدثا أزمة !!

لاسباب شخصية عديدة لا أريد ذكرها كى لا يدفع القارىء ثمن الكتاب وثمن اطرائى لنفسى الذى ليس له أى فائدة ما دمت لن أعود الى الحياة العامة أو حتى الاختلاط بالمجتمع مهما كانت صلاحيته الآن للحياة فيه !

لهذه الاسباب تأكدت أن استمرارى فى تلك الحياة انتحار لانى لن أستطيع تغيير طبيعتى ولا أن اصوم كل ذلك العمر وأفطر على بصالة !! وصارحت زميلى محمود عبد الله بما استقر عليه رأيى وكان هو وحسن سعداوى الوحيدين اللذين شاركانى رأيى فىوجوبعدم عودة المشير الى الحكم بدون قيد أو شرط كما كان يريد الآخرون .. واتفقت معه على أن نقابل المشير ونقول له رأينا وأننا نقف معه حتى تنتهى الازمة وبعدئذ يعود كل منا الى بلده ليعمل من أجل لقمة العيش له ولاولاده .

وكان وحده لما قابلناه فجلسنا نحن الثلاثة فى حجرة الصالون وأغلقنا الباب علينا وشعر المشير بأننا نريد أن نقول شيئا هاما واستنتج رأينا اذ لم نرجوه كالآخرين فى العودة بأى صورة وبأى ثمن وقال ..

طبعا انتم مش ح تقولولى الكلام الفارغ اللى سمعتهمن زميلكم فلان أول امبارح ؟

وسألناه عن كلام الزميل فقال بيقول لى لو ماكانش عود القصب بيميل ماكانش حد داق السكر ! قلت له يعنى ايه ؟ قال يعنى الواحد يميل لغاية ما الريح يهدأ !!

قلت له ما شاء الله !! وليه ماتقولشى كمان ان كان لك عند الكلب حاجة قول له يا سيدى !! واللى يتجوز أمى أقول له يا عمى !! ايه يا فلان الهيافة دى ؟! عايزنى أنحنى لجمال ؟ طيب ماكنت انحنيت لفاروق انحناءة غير مباشرة ولا اشتركتش فى الثورة ؟! هو أنا اشتركت فى الثورة علشان أحكم والا أنحنى ؟!

واذا كان عبد الحكيم عامر ح ينحنى فمافيش حد فى مصر ح يقف قدامه تانى !! والتاريخ ح يكتب انه مافيش حد فى مصر يفوقه ولا حد رفض منصب زى اللى رفضته ..

وسألناه منصب واحد ليه ماكانوا منصبين ؟! قال رجع فى كلامه فى واحد منهم .. سحب منصب نائب القائد الاعلى !! وقلت له انت بتفكر ازاى ؟ انت ناسى انى رفضت رياسة الجمهورية ؟ عايزنى دى الوقت ارجع نايبك وفى أى وقت تطردنى بعد ما أكون كتبت على نفسى انى المسئول عن الهزيمة ولذا أبعدتنى عن الجيش ورضيت أنا بهذا الابعاد ؟!

ثم قال وانتم رأيكم ايه ؟ قلت ده توارد خواطر عجيب احنا فى الحقيقة جينا الليلة بتصميم اننا نقول لك اللى قلته .. قال وفيه شيء أكتر انى ما ارتكبش جرائم أخرى !

قلت وان كانت لجنة الاقطاع كانت أسوأ ختام فقال هى غلطة مافيش كلام واندبيت فيها برضائى لكن بكره الناس يقروا كلامى وكلام على صبرى فى محاضر اللجنة ويشوفوا كان حيعمل ايه لو كنت رفضت رياسة اللجنة ورأسها هو ودى يمكن اللعبة اللى نجح فيها جمال وخلانى أقبل رئاستها ..

عبد الناصر الاول !!

وسكت عبــد الحكيم حتى احتسـينا الشاى وأشعل سيجارته وقال ٠٠ المسألة انى ما اسكتش وأدفن تاريخي بايدى هو أنا اشتركت فى طرد فاروق الاول علشان أستبدله بمستبد ثانى اسمه عبد الناصر الاول ؟! وبعدين أروح أقعد فى اسطال ألعن نفسى والتاريخ يلعنى !!؟

وقلت لغاية النهاردة ماسمعتش ان فيه فرعون حكم مصر وأصدر قانون يعطيه حق اعتقال أى مصرى وخراب بيته هو واللى (يتشدد له) بدون ذكر أسباب فليه وافقت على قانون بالشكل ده ؟

قال المهم مش الغلط المهم تصحيح الخطأ فاذا استطعت التصحيح أبقى (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) زمان كنت أقدر أصحح ٠٠ النهارده أحاول اذا قدرت خير واذا ماقدرتش أبقى حاولت !! لكن أيه هى فى رأيكم مطالب التصحيح ؟

قلت يكفى فيها جملة واحدة تنفيذ المبدأ السادس للثورة قال هى دى المحاولة ٠٠ أنا قلت له لو ضمنت انك تحكم بديموقراطية غير ملتوية وبأساليبك اللى جربتها فأنا مستعد أرشح نفسى لانتخابات مجلس الامة واذا كنت تشوف ان الوقت مايسمحش أرشح نفسى فى دايرة أبوقرقاص الخالية بدل حسن سعداوى وانت وهو يا محمود بالطبع ح تساعدونى ! وأتولى زعامة المعارضة التى لا بد منها والا مانبقاش عملنا حاجة واقترحت عليه أن يكون للمعارضة جريدة من الثـلاثة وله هو جريدة والجريدة الثالثة تبقى محايدة لكن مين يضمن التنفيذ حتى لو وافق ووعد ؟

جهــاز الارسال الروسى

فى معتقل القلعة وفى أول زيارة يسمح بها لاسر المعتقلين بعــد حوالى ستة شهور عاد محمود عبد الله من استقبال أخيه وأطفاله اليتامى من أمهم وكانوا لا ينامون الا معه فى سرير واحد عاد حزينا نز-

على فراق أطفاله وقال لى ولمصطفى عامر حيث كنا نجتمع قبل صــ
العشاء فى الخفاء عندما نذهب للوضوء قال ان أخاه أبلغه بصدور قر
من الوزير أمين هويدى بالغاء عقود ايجار الاراضى الزراعية بالنســـ
للعضو محمود عبد الله اسماعيل وأقاربه حتى الدرجة الرابعة !

وزير يصدر قرار ضد عضو مجلس الامة الذى يملك حق استجوا
ويجعل نفسه سلطة قضائية وتنفيذية وينفذ القرار والعضو فى السج
وأقاربه لا ذنب لهم فى أنهم أقاربه ! ولو كان عند قراقوش أو الحاكم بأم
الله وزراء لما سمح لهم ببهدلة الدستور والحياة النيابية بهـذه القسـو
والاستهتار ! بل أن عضو مجلس الامة فى دستور سنة ١٩٦٤ كان يملك
بالشروط التى نص عليها الدســـتور (نظريا) حق محاكمة رئيس
الجمهورية .

وتساءلت ولم لم يصدر عبد الناصر هذا القرار ؟ وقال مصطفى إي
الفرق ؟ أهو أى قرار ؟! قلت الفرق ان استجواب الوزير ســـهل أم
مساءلة رئيس الجمهورية فتكاد حتى نظريا تكون مســـتحيلة .. قال
مصطفى انت ح تمسك فى النظريات لغــاية امتى ؟ هو انتم عارفين
ح تطلعوا من هنا أو ماتطلعوش تستجوبوا أو ماتستجوبوش ؟!

وقال محمود أنا خايف يكون عبد الناصر عرف بكلامنا مع المشـير
.. قلت له مش بعيد يكون المشير قال له أثناء الكلام على رأى فلان وفلان
.. لكن شمس بدران كان يعتقد أن عبد الناصر على علم بكل كلمة قالها
المشير واللى قابلوه وكان يحاول معرفة الجاســوس الذى كان فى بيت
المشير .

ولكنه اتجه بتفكيره الى شىء آخر لان الجاســـوس مهما كانت
شخصيته لم يكن يحضر اجتماعات المشير مع بعض زائريه فى غرفة مغلق
بابها .. ولهذا اتجه تفكيره الى أن عبد الناصر وضع بطريقة ما جهـــاز
ارسال صغير ودقيق فى غرفة صالون المشير وفى مكتبــه وقد علم بأن
الروس يملكون مثل هذه الاجهزة ويستعملونها وكان يعتقد أن أحد كبار
الزائرين والذى كان يتصل بعبد الناصر والمشير جاء يوما لينتظر المشير
فى الصالون ووضع الجهاز الذى يعتقد أنه يشبه زرار التنجيد الموجود

فى الكراسى وله دبوس يشبكه الزائر فى أحد المقاعد ولا أحد يكتشفه حتى يبلى الكرسى ويجدد تنجيده ! أو يكون استعمال أحد من الموجودين فى بيت المشير أو يعملون معه ووضع جهازين بهذه الطريقة وأن سيارة استقبال للارسال كانت تقف بالقرب من كوبرى الجلاء على بعد أمتار من بيت المشير وتلتقط ما يدور من أحاديث وتنقلها فى وقت الحديث الى جهاز آخر فى بيت عبد الناصر يسجلها ! وأنهم كانوا يعتقدون أن هذه السيارة تتبع المخابرات وتسجل أسماء الزائرين المعروفين لمن فيها .

الجيـــار يؤكد رأى شمس !!

ومرت الايام ونشر انجيار ذكرياته فى مجلةروز اليوسف وتابعتها وأنا أعجب من قدرة الانسان على أن ينسى أنه يوجد بين الاربعين مليون مصرى بل المائة مليون عربى عقلاء ! وتذكرت كلمة سعد زغلول الشهيرة يقولون كلاما معناه ليست لنا عقول !!

فلم يقرأ أو يسمع أحد أن رئيس دولة ما يموت مدينا ! ولاحد البنوك (بنك مصر) الذى يضع فيه رئيس الدولة حسابا باسمه قدره مليونا جنيه كان نواة لانشاء بنك ناصر ! ويمكن للبنك أن يخصم الاربعة آلاف جنيه المدين بها صاحب الرصيد من رصيده ولا يحدث شيء !

ثم ان المعروف أن رئيس الدولة له مخصصات تكفل له ولاسرته حياة فى أعلى مستوى فكيف يستدين يا ناس ؟ ولماذا يستدين ؟! واذا كان الجيار لا يعلم ما يعلمه كل مواطن أفلا يعلم قيمة الهدايا الرسمية المعروفة فى كل الدنيا والمتبادلة بين رؤساء الدول فى الزيارات الرسمية واذا كانت الهدايا لا تباع الا انه حينما يكون عندى مائة ساعة ثمينة وأكون مدينا فما الذى يمنع من بيع بعضها لاسدد دينى ؟!

وهذه الهدايا تقدم فى العلن لا فى السر وتنشر أحيانا وقد نشرت الاهرام بعد الهزيمة صورة أحدث كاميرا عالمية يابانية مهداة لعبد الناصر ولا يقل ثمنها عن بضعة آلاف جنيه وأهداها لاحد أبنائه .

ورأيت عند أحد كبار موظفى رئاسة الجمهورية وزميل الجيار درجا

فى دولاب ملابسه ملء بالساعات الثمينة كنوع واحد من الهـــدايا التى أعطيت له بحكم منصبه كما أعطيت بالطبع للجيار هدايا ممـــاثلة بحكم منصبه أيضا ..

وقد حدث فى أول زيارة لعبد الحميد عارف لمصر أن كانت هداياه التي أحضرها معه صفائح سمن وعجوة ! ولما سأل رئيس ديوانه عن هدايا مصر وعرفها أرسل برقية لسفارة العراق فى سويسرا فأرسلت له عدد من الساعات الثمينة وزعها فوق صفائح السمن والعجوة !

وحينما ذهبنا لروسيا أخذنا معنا هدايا من الاقمشـــــة الصوفية وحرير القمصان وهي أشياء نادرة وقد يكون لبس الحرير غير معروف أو انى على الاقل لم أره هناك ! وقد انتظرنا ما يقـدم لنا فكانت هـــدايا رئيس جمهورية أذربيجان أربعة أكواب وأربعـــة باكوات (من باكوات التموين) شاى لكل واحد منا !

أما رئيس جمهورية داجستان فأهدى كل منا طاقية كانت تباع فى أسوان بخمسة قروش وأربع اسطوانات تخلصت منها فى الطريق خشية أن تكون مليئة بالشعارات !

أما فى الكرملين فلا تختلف هداياهم بالنسبة للشخصيات الزائرة فالهدية التى أخذتها العضو فاطمة دياب هى الهدية التى أعطاها بريجينيف لجونسون لما زار أمريكا ! والهدية عبارة عن تقالة ورق ومبسم سجائر ودبوس كرافت والآنسة العضو لا تدخن ولا تلبس كرافت !

ولم يقل التاريخ أن بنت رئيس دولة لا تملك مكتبها المتواضـــع ولا تستطيع اهداءه لبنت خالتها المفروض أن تملك هى الاخرى مكتبـــا ولا تذاكر حتى تنجح بنت خالتها وتهديها مكتبها !!

فضلا عن انى أعرف أن السيدة خالتها متزوجة من السيد ســـيد يوسف الوزير السابق وليس عنده أبناء أو بنات !

واذا جاز امتهان عقولنا لنصدق أن رئيس الدولة يقـرأ الاعلانات المبوبة ليختار منها أحد الوزراء ! باعتبار أن التاريخ لا يلتفت لحواديت ميكى ماوس فهل يجوز تزييف الوقائع المادية علنا وبكل جرأة فيقول ان عبد الناصر منع خاله من الترشيح لاول مجلس أمة ســـنة ١٩٥٧ كى

لا يكون له أكثر من اثنين مرشحين ! والجيار كان عضوا معنا فى هـذا المجلس وكان يتحدث مع خمسة من أسرة عبد الناصر أعضاء ! ولم يحدث فى تاريخ حياتنا النيابية أن ضم برلمان مصرى نصف هذا العدد من عائلة واحدة ! وهؤلاء الخمسة كانوا الليثى وأخيه شـــوقى عبد الناصر وعم الرئيس خليل حسين وزوج بنت شقيقة السيدة زوجته محمـــد فهمى السيد وعديله سيد يوسف !! أهكذا سيكتب تاريخ بلادنا ؟!

ولكن الجيار يكتب بعض الوقائع الصادقة اذ ليس فيها اطراء وثناء وتصوف كما قال !

فيذكر واقعة تؤكد صدق فهم شمس فيقول أنه أثناء أيام هـــذه الازمة استطاع اقناع عبد الناصر باستقبال المشير لمحاولة صلح (ونتجاوز عن هذه المحاولة المزعومة لان المشير كان يذهب فى أى وقت ويرحب به عبد لناصر ويسعد بالزيارة) (والجيار كان يحب المشير ولا شك أنه كان يسعده الصلح) وبعد أن وافق عبد الناصر على زيارة المشير والحديث فى الصلح جاءه خبر أن المشير اجتمع بعضوين من مجلس الامة فغضب عبد الناصر وألغى الزيارة !.

وتذكرت اجتماعنا بالمشير فلم تحدث خلوة بينه وبين عضـــوين غيرنا لسبب بسيط وهو أن كل من كانوا يترددون على بيت المشـير من الاعضاء أربعة منهم ابن عمه عامر والعضو صاحب الامثلة المســـتهجنة ومحمود عبد الله وأنا .. ولم يجتمع عامر وأحدنا مع المشير فى اجتماع مغلق فضلا عن أن عامر كان يرى عودة المشير بأى صورة فلم يبق غيرنا ولا أدرى هل توقفت عقول القراء عن العمل أم تســـاءلوا وايه يعنى لما يجتمع المشير بعضوين من مجلس الامة ؟! هل هما من أعضاء الكنيسيت؟ ما هى الخيانة أو الجريمة أو الخطورة فى هذا الاجتماع ؟! رغم أن القراء لا يعرفون أن أحد العضوين كان زميل المشير فى الدراسة الثانوية والثانى وهو أنا أمثل دائرته الانتخابية !

السبب لا يحتاج لاى ذكاء ولا لتوضيح أو ايضاح .. السبب هو فى الجهاز الملعون الذى التقط حديثنـــا وغضب الاله من أن يكون لنا رأى !!

لماذا رفض المشير رئاسة الجمهـورية ؟؟

عرض عبد الناصر منصب رئاسة الجمهورية على عبد الحكيم مرتين ..عرفت التوقيت والتفاصيل فى المرة الاولى فى أزمة ديسمبر سنة ١٩٦٢ الشهيرة ولم أعرف التوقيت على وجه التحديد فى المرة الثانية وأيام تلك الازمة لم يسافر عبد الحكيم الى مكان مجهول كما قيل وانما ألقى بجدول أعمال مجلس الرياسة على مائدة الاجتماع عقب التصويت عـلى اقتراح سلبه معظم اختصاصاته فى الجيش وفوز هذا التصويت بستة أصوات ضد خمسة .. وانصرف الى بيته وأرسل خطاب استقالة مسببة الى جمال مع شمس .

وتظاهر أنصاره فى الجيش وطالبوا بعودته والاستجابة الى مطالبه بتغيير اسلوب الحكم بقيام مجلس نيابى يضع الدسـتور الدائم ومجلس وزراء مسئول أمام هذا المجلس..وقيام معارضة داخل الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة الى آخر هذه المطالب .

وبدأت المفاوضات بينه وبين جمال الذى غاب عن رئاسـة مجلس الرياسة حين نظر هذا الاقتراح وتولى الرياسة البغدادى .. ولما طالت المفاوضات ولم يصلا الى حل بقى جمال فى منزله وأبلغ عبد الحكيم أنه لن يذهب الى مكتبه وأنه أيضا سيستقيل !

وكان شمس بدران هو الذى يقوم بدور (المكوك) قبـــل ظهور كيسنجر وينقل رأى كل منهما للآخر ويكون له فكر ايجـــابى فى بعض الاحيان .. وكان حسن عامر وابن عمه عامر يأتيان الى بيتى كل ليلـة وأحيانا يأتى أيضا حسن حسين صهر المتخاصمين ونبقى جميعا فى انتظار عودة شمس الذى كان يجىء غالبا بعد منتصف كل ليلة ليقول لنا مايريد عن الموقف وما وصل اليه ويصحب حسن الى بيته القريب منه ..ورفض عبد الحكيم العرض من حيث المبدأ دون الدخول فى تفصيلات وذلك لانه كان يعرف تمام المعرفة أن جمال يستحيل أن يتنازل عن أى شىء حصل عليه بل يتطلع الى ما لم يحصل عليه فكيف يتنازل عن رئاسة الجمهورية؟

كان يعتقد أنه لو قبل هذا العرض فان جمال الذى قرر الاحتفاظ برئاسة التنظيم السياسى الواحد كان سيضع نظام الحكم بحيث يبقى عبد الحكيم لافتة ومجرد منظر يستقبل ويودع رؤساء الدول فى المطار ويقيم لهم مآدب العشاء !

ويتولى جمال القيام بدور بريجنيف الآن وبسلطات أوسع بكثير جدا من بريجينيف ..

ويكون التنظيم السياسى برئاسة جمال هو الذى يعين رئيس الوزراء ويختار على صبرى أو غيره من مكتب جمال ويحقق أيضا قول سعد جورج الخامس يفاوض جورج الخامس !

فاذا رفض عبد الحكيم هذا الوضع وقال أحسن الفروض يوافق جمال على أن يرأس عبد الحكيم السلطة التنفيذية ويختار مجلس الوزراء .. ويصدر التنظيم السياسى قرارات مزايدة لا تستطيع الحكومة تنفيذ شىء منها فيصدر التنظيم قرارا باقالة الحكومة واعفاء رئيس الجمهورية من منصبه ! ويتخلص منه فالفكرة الراسخة فى نفس عبد الحكيم أنه لا وجود له بجوار جمال اذا ابتعد عن الجيش ونفس الايمان عند عبد الناصر أنه لن يشعر بوحدانيته طالما بقى عبد الحكيم متصلا بالجيش !

هذا العرض فى المرة الاولى أما فى المرة الثانية فقد عرف به عدد محدود ولكن ليس بالقليل وفهموا ما عناه عبد الناصر من خطابه فى مجلس الامة عند تجديد مدة رئاسته التى رفض أن تكون لمدى الحياة وهو واثق أنه لو عاش ألف عام فسيجدد الاستفتاء عليه مائتى مرة !

قال جمال فى خطابه هذا فى ٢٠ يناير سنة ١٩٦٥ .. لقد كان يخطر لى أحيانا أنه قد آن الوقت لكى أتخلى عن مكان المسئولية التنفيذية لكى أتفرغ فى المرحلة القادمة لمهمة استكمال بناء التنظيم السياسى .. فقد كان شعورى دائما ضد الاعتماد على الفرد وضد توهم احتياج النضال الشعبى الى شخصى بالذات مهما كرمته أمته .

كلام بالطبع لا يعنى معناه وقد أعلن قبل هذا أنه سيتفرغ للاتحاد القومى ويجعل مكتبه هناك ولم ينجح لا هذا ولا ذاك .. كما أنه هنا

يعبر عن شعوره هو ضد الاعتماد على فرد غيره ! فلم يقل ما هى أخطاء حكم الفرد ولا ما هى محاسن الديموقراطية .. وانما عبر فى حزن وأسى على أن حياة الافراد مؤقتة وحياة الشعوب باقية .. وتأثر الاعضاء وذاعت وقتها النكتة الشهيرة بأن أحد الاعضاء كان نائما واستيقظ ليجد جاره يبكى فسأله .. ايه ؟ هو المجلس حلوه ؟!

هجرة المشير الى ايطاليا

فى أحد أيام الازمة قرر المشير قرارا مفاجئا وشجاعا ونبيلا مهما كانت الدوافع التى دعت الى اتخاذه .. قرر أن يقابل عبد الناصر فى الغد ويفاجئه بقرار سفره الى ايطاليا ومعه شمس بدران وأن يبقيا هناك الى أجل غير مسمى وعليه أن يعتبر الازمة انتهت ولا يكون فى نفسه أى مخاوف من جهته .

ولم يذكر الاسباب التى دعته الى اتخاذ هذا القرار وان كانت لا تخرج بالنسبة لفهمى عن أحد هذه الاسباب الى الدافع الوطنى بتهيئة الجو الصالح لتوجيه كل الجهود لازالة آثار الهزيمة .

٢ ـ عدم تعريض أسرته وأصدقائه وأنصاره لنتائج سيئة ولا ذنب لهم فى نشأة هذه الازمة .

٣ ـ أخذ وعد من جمال بعدم التعرض للضباط المفصولين والمحتمين ببيته بأى اجراء بالنسبة لحرياتهم وأرزاقهم .. وكان مطمئنا الى أن جمال لن يخلف وعده لانه اذا أخلفه فسيتعرض لمتاعب جديدة وشديدة يعلم قدرة عبد الحكيم على أن يسببها له !

٤ ـ اذا أسأنا الظن فان عبد الحكيم قد يكون وجد ثغرة أو ثغرات فى الخطة التى وضعها لخوض معركة مع جمال ولم يكن أمامه الا الاستسلام أو مواجهة الفشل ونتائجه ووجد أفضل الحلول فى هذا السفر الذى يحقق أيضا الاغراض السابقة .

وعلمت بهذا القرار أنا وبعض الاصدقاء ونمت ليلة علمى به نوما

عميقا لم أعرفه من أربعة عشر عاما حيث تحررت من كل أعباء ومسئوليات الحياة العامة خاصة فى حياة ذلك الحكم حيث كنت لا أستطيع أن أقول نى (طرطور) ولا أظلم نفسى بتحمل أخطاء لست مسئولا عنها ! وبقى شعور ألم انفراق وكان أخف مما كنت أتخيله ولا أتوقعه من فراق أبدى كان الخوف أنه لا فرق فى تلك الايام بين الواقع والخيال !

وذهب عبد الحكيم وقابل جمال فعلا وفاجأه بالنبأ وعاد يقول أن جمال فوجىء بهذا القرار ولكنه أخفى سعادته به وعاتبه على اتخاذه فيما شبه عزومة المراكبية !.

وبدأ فى اعداد العدة للسفر وبحث الشئون الخاصة به وبأسرته كذلك فعل شمس ومضت بضعة أيام فى هذا الاستعداد للسفر ثم فوجىء جمال أثناء حديث تليفونى بينهما يقول له انه لا يوافق على سفره الى يطاليا فى هذه الظروف وأنه يقترح عليه السفر الى يوغوسلافيا !! حتى هيأ ظروف أفضل فيما بعد !

ولم يستطع عبد الحكيم التحكم فى أعصابه التى أفلتت الى آخرها وجه لجمال ألفاظا عنيفة جدا وأعنف مما كنت أتصور للغة كبار لسياسيين ! وقال له كمان ح أسيب مصر بلدى وبلد أبويا وأجدادى مش عاجبك وعايز تحدد اقامتى عند تيتو بتاعك ؟ طيب ما الاحسن تقول لى أعيش فى سيبيريا ! مش مسافر وح اتحداك لآخر نفس فى حياتى وأنا أعزل وانت بكل سلطاتك وقواتك .. وألقى سماعة التليفون منهيا لمكالمة العاصفة .

حرس الجلاليب !!

ظهر أحد الايام رأيت عددا من أهل قرية اسطال بلدة المشير منتشرين فى حديقة بيته وكان أهل هذه القرية متحمسين لانتخابه أكثر من حماسهم لزميلى عامر فقد كانوا يعرفون أنى صديق العائلة الاول وأن للصداقة المختارة حقا أكثر من القرابة المفروضة ودعوت بعضهم [illegible] ب الشاى فى بيتى بعد أن رفضوا تناول الغداء لانهم سيتناولونه [illegible] بيت

المشير وعرفت منهم أنهم سيقيمون إقامة لا يعرفون مدتها وأنهم جاءوا لحراسة قريبهم وزعيمهم الذى يحبونه ويفتدونه بأرواحهم كعادة أهل الريف بالنسبة لكل كبير فى قومه •

وكانت دهشتي كبيرة فأنا لم أعلم بهذه الفكرة ولم أر لها معنى •• وحاولت أن أفهم من الذى اقترحها فلم أعرف غير أن عددهم سيزداد وكل واحد منهم تسلم بندقية وسيقوم جلال هريدى وبعض ضباط الصاعقة بتدريبهم ثم يعودون لزيارة ذويهم لتأتى طائفة أخرى ومتطوعون آخرون ويتناوبون الاجازات •

وسألت عن السبب فى هذا الاجراء فقيل لى ما أقنعنى فى أول الامر وهو أنهم يخشون أن يفاجئهم على صبرى بمظاهرات من منظماته يتظاهرون ضد المشير وقد يعتدون على بيته كأسلوب ضغط وتشويه هالة •• وسألت وما فائدة هذا الحرس الرسمى من الجيش ؟

فقالوا أن هذا الحرس لا يتلقى الاوامر الا من قيادته وقد لا يتعرض للمتظاهرين حتى يتلقى أمرا من هذه القيادة •• وأنهم رأوا أن يقاوموا القوة بأهلهم وأقاربهم ولا يقاومونها بقوة من أهلها فعلى صبرى يستحيل عليه أن يقدم على هذا التصرف الا بتدبير مع عبد الناصر •

وكنوع من المجاملة رأى حسن سعداوى وزميله محمود عبد الله أن يحضرا رجالا من أقاربهم للمشاركة فى هذا الواجب ! وكان الاثنان بعيدان عنا ولمدة ثلاثة أعوام ولاسباب شخصية وللاسف •• فلما جاء وقت الشدة ظهرت معادن الرجال فظلا معنا حتى اعتقلا معنا فقد بدأنا معا وانتهينا معا !

وبعد أيام لم يعد هذا السبب مقبولا فقد أصبحت المظاهرات ممنوعة ولا يمكن لعلى صبرى تدبير مظاهرة تعتدى على المشير فتسبب غضب الجيش الذى ظل وفيا لعبد الحكيم حتى من باب العشرة أو كصاحب لقب عسكرى رفيع ومن أعضاء مجلس الثورة وهؤلاء لم ينظروا لعلى صبرى على أنه ند وقريب من ند •

وامتعضت من هذه الفكرة واستنكرتها وربما لم أكن مصيبا فكل

منا يرى الامور من زوايا قد لا يراها غيره .. ولكنني كنت أعـــرف أن الضحايا فى مثل هذه الحالات لا ينالون أكثر من شـــعور بالعطف ومع الايام يفتر ثم يختفي هذا الشعور .

ولم يكن من حقي أن أعترض على كل ما لا يعجبني من آراء وأعمال يكفي ألا أشترك فيها وبالرغم مني أكون في معظم الاحيان ايجابيا ليس بارادتي وانما كغباء أو طبيعة أو قدر .

فقابلت المشير وقلت له انى أرى أن الذين استفادوا منك هم الذين يضحون ويتعرضون للمخـــاطر من أجلك .. ولما كان أقرباؤك أول من استفادوا من اسمك ونحن الاصدقاء استفدنا أيضا أدبيا (سواء كانت هذه الاستفادة أسعدتنا أم أشقتنا فهى فى نظر الناس سعادة) ولذا فانى أقترح اعداد كشف بأسماء الشباب من أبناء العائلة وكانوا يزيدون على خمسين شابا من أبناء الاصدقاء ليقوموا بهذه الحراسة فهذه صورة أكرم وأليق من حيث المظهر .. وهم يقيمون بالقاهرة وأهلهم ينفقون عليهم وليسوا كهؤلاء الذين تركوا أعمالهم وديارهم .. وانى ســأحضر ابنى الأكبر الليلة ليسلم نفسه لجلال هريدى قائد هذا الحرس .

وفعلا ذهبت مع ابنى فى المساء وقابل المشير وشــكره وانصرف وعاد فى الليلة التالية ومعه ملابسه للاشتراك فى الحراسة مع شباب العائلة .. ولكن فى اليوم التالى وجدنا اصرارا على بقاء حرس الجلاليب وبالا شديدا على التدريب .. كما أن المشير أصر عــلى أن يكون أبناؤه هم الذين ينضمون الى هذا الحرس فى الحراسة الليلية كعمل معنوى بل .. وكان أبناؤه أطفالا فكان منظرا مثيرا لم أتحمل أن أرى أحدهم فى سن العاشرة يتدرب على استعمال المسدس والبندقية ! وقد اشترك هذا الحرس مع جلال هريدى فى احدى مغامراته التي سأذكرها .

وفــود تزور المشــير

وجاءت وفود من بعض مراكز المحافظة واستهجنت أيضا هـــذا التصرف فمثل هذه الوفود لا تأتى الا باعدادنا وبايحاء ورأيت أنه تصرف

عجيب فقد كان المشير فى بلده فلماذا لم يذهبوا لزيارته والزيارة هنا أوجب وأقرب ٠٠ ولكنى وقفت سلبيا فلم أعترض بل كنت أسرع لاستقبا كل وفد كي لا يظنوا أني تنكرت لاصدقائى فى أيام الشدة وكانوا يرو دائما معا فى أيام الرخاء ٠٠ كنت أخشى لو اعترضت بعد اعتراضى ع حرس الجلاليب أن يقول لى صديق انت لا ح ترحم ولا تخلى رحمة ر تحل !

وبعد سؤال متكرر علمت بالغرض من هذه الفكرة ووجدت أنى المخطىء وليس من فكر فيها ! فقد كان الغرض من مجىء هذه الوفود أ يرى سكان القاهرة زائرين يزورون مصريا غضب عليه عبـــد الناص ولا يزورون عبد الناصر !

وهي أول ظاهرة منذ قامت الثورة وأول مســـمار يدق فى نع الالوهية الموهومة فى نظر من شعروا بهذا المعنى فالعمل الايجـــابى لا يظهر معناه ولا تفهمه الا النفوس الابية وترتاح وتسعد به بينما يـ الآخرون ممن يرون أن لكل عمل نتيجة مادية أنه خيال وخبال ! (بال والباء) ولقد اتهمت بالجنون لما كتبت لشعراوى جمعة بعد خروجى المعتقل أطلب منه اعادتى للمعتقل حيث كنت أشـــعر فيه بنفسى و الشارع أشعر بتفاهتى لانى مظلوم ولا أستطيع استرداد حقى ! ولم على فلم أجد تعليقا الا فى أغنية أم كلثوم حتى الجفا محروم منه !

ورغم ايمانى واحساسى بهذا المبدأ الا أنى لم أشترك فى تنفيذه لا أرتكب جريمة التضليل والخداع لمن يطيعونى وهم يجهلون المخـــا التى قد يتعرضون لها فقد كنت أعرف شعور الكثيرين من الزائرين انهم خائفون ! فهم جاءوا بفهم أنه اذا لم يعد المشير فخراب بيوتهم مؤ ٠٠ وان لم يجيئوا وعاد المشير للحكم فالخراب أيضا مؤكد ! وهكذا الانسان لا يستطيع اظهار شعوره الكريم ولا يستطيع تجنب مصـــ التعس !

كذلك فان هذه الايجابية كان قد فات أوانها ومشى القطار ولم لها فائدة الا راحة نفسية عند قلة ضئيلة تفهمها وأصبح هـــذا التص

ركوب طفل فوق عربة السبنسة فى ذلك القطار وقد أخذ يهتف لغير عبد الناصر ولا يسمع أحد هتافه !

فقد حرم المشير حتى على أهل قريته أن يهتفوا لغير عبـــد الناصر وركز كل التركيز على اسمه وها هو ذا يجنى ثمار هذا التركيز !.

الانتقـــام من بطل !!

فى مساء اليوم الثانى من أيام حرب يونيو المشئومة كان ضابطان مصريان وصلا الى مشارف تل أبيب وأحدثا ذعرا داخل كل اسرائيل اذ قام البطلان (كل واحد منهما فى مواقع مختلفة عن مواقع زميله) بعمليات تخريب وتدمير فى المرافق الاسرائيلية الحيوية وطرق المواصلات وخطوط تموين الجيش الاسرائيلى .. وظن الاسرائيليون أن فرقة فدائية تعيش داخل اسرائيل وتحدث بها هذا الفزع الذى اهتموا به أكثر من اهتمامهم بتقدم قواتهم فى سيناء !؟

وفى يوم الخميس ٨ يونيو الحزين كانت الاذاعـــة المصرية تذيع نداء من جميع المحطات يقول (عد يا جلال انت وحمـــدى) وتكرره كل سبع دقائق *

وكأى مصرى لم أعرف من هو جلال ولا من هو حمـــــدى ؟! حتى التقيت بجلال هريدى قائد الصاعقة وأحد البطلين بعد أن عرفت القصة قلت له هو انت ؟ وبتعمل ايه هنا ؟

قال بأخذ الجزاء جمال أمر باعتقالى ! ولم أكن فى حاجة لاعـرف السبب الذى عرفته عقب الانفصال فقد ثار جلال هريدى فى صباح ذلك اليوم وكان مع عبد الحكيم فى دمشق وقال له هو يعملها كل مرة واحنا نشيلها ؟! ولحد امتى نقوم من مطب علشان نقع فى مطب ثانى !

وسمع بهذا الكلام من كان يسمع دبيب النمل ويقول البعض فى سماجة انه كان لا يعلم ! أفلا يعلم أيضا أن جلال الذى تناديه القيادة ليعود لكى لا يؤسر أو يقتل بعد اليأس من استمرار الحرب هو جلال هريدى قائد الصاعقة ؟ والبطل الذى أمر باعتقاله ولم تنسه مرارة الهزيمة كلمة

حتى قالها البطل متأثرا من صدمة الانفصال منذ ستة أعوام فيتذكرها وينسى بطولة لها أيام ! ويأمر باعتقال الوحيد (هو وزميله) الذى حارب داخل اسرائيل !

وكان جمال وعبد الحكيم اجتمعا مرتين عقب الانفصال فى إجتماعين مغلقين عليهما • وفى الاجتماع الاول حمل عبد الحكيم مسئولية الانفصال لجمال وأصر على الاستقالة اذا لم يتغير اسلوب الحكم الذى أدى الى هذه الهزيمة الجديدة وسوف يتحمل هو مسـئوليتها كالعادة لانه لا يخطب ولا يتكلم ووعده جمال بتغيير محدد وسمى بالقيادة الجماعية وانتهى الى تشكيل مجلس الرياسة الذى كان مفروضـا أن يبحث التغيير الشـامل ويقرر نظاما مستقرا لحكم ديموقراطى •• وكترضية لعبد الحكيم تظهر أنه لا صلة له بموضوع الانفصال قرر تعيينه نائبا للقائد الاعلى للقوات المسلحة •

ثم ذهب بعد هذا الاتفاق بين الاثنين وقابل باقى أعضـاء مجلس الثورة وعرض عليهم اقتراحا بابعاد عبد الحكيم عن الجيش (وهو الذى قرر ترقيته) ووافق الاعضاء • •ثم نقل لعبـد الحكيم موافقتهم على الاقتراح على أنه اقتراح منهم رفضه جمال !

وكان هذا أحد التصرفات التى لم تكن مفهومة لزملاء عبد الحكيم بالنسبة لعلاقته مع عبد الناصر ! وشعر عبد الحكيم بمرارة من زملائـه ولكنه لم يفاتحهم فى هذا الامر باعتبار أن جمال رد على هـذا الاقتراح بترقيته وفى هذا الرد الكفاية !

وكان الاجتماع الثانى عاصفا بسبب جلال هريدى ! فقد سأل جمال عبد الحكيم ان كان علم بما قاله جلال فى دمشق وقال عبد الحكيم أنه كان أمامه ! فسأله جمال وكيف رضيت به ولم تعاقبه ؟ ورد عبد الحكيم لانه قال رأيي فهل أعاقبه على ما كنت أريد أن أقوله ؟

وغضب جمال من هذا الرد وقال انه قرر احالة جلال هريدى الى المعاش وتقديمه للمحاكمة بصفته القائد الاعلى للجيش •

وغضب عبد الحكيم وقال اعمل اللى تعمله البلد بلدك والامر أمرك وأنا من بكره رايح بلدنا اسطال ••

وقال جمال في غضب أنا ما أقبلش انك تفرض رأيك أو تهـدد بالاستقالة .

ورد عبد الحكيم وأنا كمان ما أقبلش أناقشك وأنا ضـارب تعظيم سلام ! احنا بنتناقش وحدنا أنا عبد الحكيم عامر وانت جمال عبدالناصر .. عايزني أرضى باحالة ضابط شاب الى المعاش بدون ذنب ويشـتغل إيه ؟ في جيش مرتزقة ؟ مش ح تديله فيزة خروج ويبقى منظـرى ايه قدامه هو وزملاؤه ؟ مش كفاية بتورى الناس اني موظف عندك ؟

وقال جمال بدهشة وازاى بأه ؟ قال عبد الحكيم يوم الانفصـال كان المتوقع اني ميت ميت من السوريين أو من الاسرائيليين يسـقطوا طائرتي في عودتي الى القاهرة .. ولكن ربنا كتب لي عمر علشان تكون صدمتي مروعة لما ما اشوفكش في المطار مستنى صـديق العمر وبلغت المرارة لكن ازاى قبلت انى أروح على بيتك علشان أوقع في سـجل التشريفات وأمثل بين يديك ! ده الشيء اللى ما أعرفش عملته ازاى الا انى تصورت انك تكون تعبان من صدمة الانفصال وقال جمال يا عبدالحكيم ده صحيح كان السبب وما تنساش كمان حكم البروتوكول !

وثار عبد الحكيم وقال الانفصال ده صدمة لنا كلنا أما البروتوكول فده كلام يقوله رئيس دولة كان أصله ولى عهد !؟ برتوكول ايه احنا ناس ثوريين انت خلاص بقيت تنام وتصحى بالبدلة الرسمى ؟! مافيش فايده في علاقتنا أنا مش قادر أنسى أنى الصاغ عبد الحكيم عامر وانت مش قادر تنكر انك البكباشي جمال عبد الناصر !

وانتهى الحوار العنيف الى حل وسط وهو احالة جلال الى الاستيداع بدلا من احالته الى المعاش وعدم تقديمه للمحاكمة .. وبعد قليـل أعاده عبد الحكيم وتدرج في الترقية حتى وصل ليكون قائد الصـاعقة ..ثم حدثت الهزيمة ونسى جمال البطولة وتذكر هذا الثأر القديم فكان أمره باعتقال جلال ..

معركة والمشير يخرج بالقنابل !!

طلب جمال من عبد الحكيم تسليمه الضباط المحتمين ببيته ومنهم

اللواء عثمان نصار وجلال هريدى وحسين مختار أحد ضباط الصاعقة وهو شاب متدين بالشعور الحقيقي للمؤمن الذى لا يخاف غير الله وكان يصوم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع وعلى مدار السنة وهو الذى اتهم بوضع خطة لخطف عبد الحكيم بعد اعتقاله ! وكان قد تمكن من الهرب ليلة اعتقال المشير ومن كانوا فى بيته .. وقال عبد الحكيم لجمال انت عارف انك بتطلب المستحيل .. مش أنا اللى يسلم واحد احتمى به أو نزل ضيف عليه .. وأسلمهم علشان ايه ؟ فيه أحكام قضائية ضدهم! ده حتى حمزه البسيونى اللى وجوده عندى يسبب لى حرج شديد ماقدرش أقول له سيب بيتى ولو كان هو وحده المطلوب تسليمه لدخلت معركة حتى الموت ولا اسلموش فما البال بالباقين وهم اما من الابطال أو من أصحاب الماضى النظيف أو يمكن عايز أسلمك عثمان علشان تحاكمه لانه عرفك بى ؟!

وفى أكثر من مرة كان جمال يعاود طلبه حتى قال له عبد الحكيم أرجوك ماتكلمنيش ثانى فى الموضوع ده لان مجرد توقعك انى أوافقك على طلبك باعتبره اهانة كبيرة لى !

ويبدو أن ضباط الصاعقة لا يستطيعون الحياة بدون مغامرات.فبعد غروب أحد الايام الاولى للازمة عرف جلال بوقوف عربة تتبع المباحث العامة فى أول مدخل شارع الطحاوية بالقرب من بداية سور حديقة بيت المشير .. وتسلل جلال حتى موقع السيارة وفوجىء الضابط قائد السيارة بجلال يلوى ذراعه بيد وباليد الاخرى يوجه مسدسه لوجه الضابط الثانى !

ثم أمرهما بالنزول من السيارة واقتادهما الى المشير الذى قال لجلال .. سيبهم يا جلال الحق مش عليهم دول بينفذوا أوامر شعراوى .. اطلبه لى على التليفون .

ثم سمع شعراوى ما فيه النصيب ولا أستطيع نقل عباراته !

وبعد أيام وبنفس الاسلوب اعتقل جلال ضابطين آخرين من المباحث العسكرية .. وكان للمشير تصرف آخر فى توجيه اللوم للضابطين وقال

لهما بتتجسسوا على عبد الحكيم عامر ؟ أنا ح أسيبكم تحاسبوا أنفسكم .. كان يطمع طمعا عجيبا فى كل ضابط جيش ولا أدرى بالطبع سبب هذه الثقة التى كنت أعتبر أنه يغالى فيها ولا أدرى أى الرأيين أصح .. وكان جلال يقول انه سيعتقل كل من يأتى لاعتقاله !

وبعد هذه المرة الثانية طلب منه المشير ألا يخرج خارج سور البيت .. ونفذ جلال هذه الرغبة الا أن السيدة زوجته اتصلت به تليفونيا فى أحد الايام وطلبت أن تراه فأعطاها موعدا فى الساعة الخامسة(بالتوقيت الصيفى) حتى يكون المشير نائما ولا يعرف بخروجه وطلب منها الوقوف قبل بداية سور الحديقة المطل على النيل بعدة أمتار .

ولم ير جلال أحدا فى الشارع فخرج متجها الى حيث تنتظره زوجته .. ولكن اندفعت فجأة سيارة كانت تقف بجوار كوبرى الجلاء وتراقب جلال بالذات للقبض عليه .

وانطلقت العربة بسرعة كبيرة جدا فى اتجاه جلال الذى رآها فتقهقر وهو يسرع الى الخلف ووجهه للسيارة التى توقفت ونزل منها ضابطان بتقدير أنهما وهما يجريان بالطريقة العادية سيلحقان بجلال ويقبضان عليه .. وأوشكا فعلا من اللحاق به -الا أنهما فوجئا به يطلق عليهما بعض الطلقات من مسدسه وفى الهواء .. ولم يكن عندهما فيما يظهر أمر باطلاق النار عليه فأطلقا أيضا بعض الاعيرة النارية فى الهواء لارهابه عله يسقط وينقضان عليه .. ولكنه قفز من فوق سور الحديقة وبسرعة البرق أخذ بندقية سريعة الطلقات وخرج ليلحق بهما ولم يكونا يتوقعان عودته ثم أطلق الرصاص على السيارة .

وفوجىء جلال باثنين من حرس الجلاليب كان أحدهما من أبوقرقاص والثانى من اسطال وكانا كالهبلة الماسكة طبلة فقد راحا يطلقان الرصاص فى اتجاه السيارة بدون انقطاع وسمعت أن أحد الضابطين أصيب بجراح بسيطة .

واستيقظ المشير على صوت الرصاص وظن أن الهجوم على بيته بدأ فخرج بالبيجامة الى الشرفة وفى كل يد قنبلة يدوية وجيوبه ملأى

بالقنابل ! ولكنه لم يجد المعركة وكانت المطاردة انتهت بهـــروب عربة البوليس فأعاد القنابل الى جيوبه وطلب جلال ليحكى له ما حدث .

وفى هذه الاثناء كان محمد حسنين هيكل سمع طلقات الرصاص وكانت بدأت بالقرب من بيته فجاء مسرعا وذهب الى حجرة مكتب المشير حيث كان فيها ومعه جلال ..

وكان محمد فوزى فى هذا اليوم سحب الحرس الخاص فبدا أن الامر مدبر بين فوزى وشعراوى وبعلم عبـد الناصر بالطبع أو تنفيـــذا لاوامره .. وقال المشير لهيكل قل لجمال بطل الصغائر والتفت لشغلك! هو خلاص ساب كل الدنيا ومش تاعبه غير عبد الحكيم واعتقـال جلال هريدى ؟!

وقام هيكل ليقابل عبد الناصر وبعد ســـاعات قليلة عاد الحرس وبنفس أشخاصه كما طلب المشير اذ قال له انه لو جاء أحد غير رجـــاله المعروفين فسيطردهم ..

وبعد انصراف هيكل مباشرة جاء جمال سالم مصادفة بالطبع فقد كان يزور المشير تقريبا كل يومين ..

جمال سالم يزور المشـير

بعد عودة عبد الحكيم عامر من بلده كان جمال سالم يزوره زيارة منتظمة وكل يومين تقريبا .. ولم يزره البغدادى أو كمال الدين حسين أو حسن ابراهيم وكانوا محقين فلم يقدم عبد الحكيم السبت حتى نجد الاحد ..

وأنا لم أقل رأيى فى سياسة عبد الحكيم عامر لانى أتحـــدث عن وقائع لا آراء ولا أذكرها الا مضطرا فى بعض الوقائع .. فلم أكن راضيا عن ذلك الوفاق الذى جعل جمال يحتوى عبد الحكيم احتواء تاما ويغير كثيرا من مبادئه وأخلاقه .. فقد كنت مدينا لعبد الحكيم بمواقف أخلاق ووفاء وكنت متلهفا على سداد ديونى ولا يجب أن أرضى عن سياسة الدائر

حتى أقوم بسداد ديونى ولو ساد هذا المبدأ لتوقفت حركة التعامل فى العالم !

فى بداية عام ١٩٦٤ تغير عبد الحكيم تغيرا تاما فرضى بما فعله عبد الناصر بفرض الحراسة على شقيق زميله البغدادى (سعد البغدادى) ورضى باعتقال زميله كمال الدين حسين ولا تفسير لهذا الا لكى يخلو له وجه عبد الناصر وحده وينفردان بحكم مصر فاذا تحدث عن الديموقراطية والحياة النيابية فكيف يتحدث عنهما وقد اشترك فى خنقهما ؟.. وكان يجب أن أدفع ديونى وقد سددتها بشيك بكل رصيدى من صحتى ورزقى وأرضى وهجرتى من بلدتى وبقائى ثمانية أعوام أحلم بربع كيلو كباب ودخلى كان أكثر من مرتب رئيس الوزراء !

ولكن لم أسدد دينى لعبد الناصر الذى أردت حياته وأراد قتلى فلم أجد القانون الذى يعطينى حق مطالبة ورثته بالتعويض ولم أجد الصحيفة التى تنشر لى ما أذكره من وقائع مادية ثابتة فى محاضر رسمية أو منشورة فى الصحف أو لدى عليها شهود أحياء فأنا لا أظلمه لان المظلوم الذى يظلم جدير بالظلم والجبان الذى لا يكشف ظلم الظالم لا يستحق الحياة فحياته وهو مسكين مستكين دعوة لعودة الظلم والظالم .

وقال جمال سالم لعبد الحكيم انه لا يزوره ليزيد من حدة الخلاف ولا ليعمل على عودة الصفاء الذى كان نكبة على البلاد ، انه يزوره لانه رجل طيب ويعرف أن أخطاءه عابرة فى حياته وليست أصيلة فى نفسه .. قال له انت يا عبد الحكيم لا تعرف الحقد ولا الحسد وليس فى نفسك غل من أحد وقد عرفتك وفهمتك وعاشرتك فأين ذهبت مروأتك وشهامتك فتركت صاحبك يأكلنا واحدا وراء الآخر وقد حذرتك بأنه سيأكلك ان عاجلا أو آجلا .. كيف رضيت بصداقة من لم يترفع عن أسلوب الاذلال لزملائه وأصدقائه ورفاق السلاح والنضال والذين رفعوه وشيدوه .. وانت اللى ساعدته ولو وقفت معانا ماكانش كل ده حصل .

النهارده مافيش قدامك غير الندم والتوبة والعودة الى رحاب الله تطلب مغفرته ورحمته ورضاه وقال انه عكف على العبادة وحفظ القرآن

يطهر به ما ارتكب من آثام ·· قال انه أصيب بخراج فى ذراعه وحاول الطبيب أن يعطيه حقنة بنج لكى يفتحه فأصر على أن يفتحه ويعالجه بدون بنج حتى يشعر بالالم الذى يفرشه فى طريق التوبة والندم ·

وبعد خروج بعض اخوة المشير من المعتقل زار أحدهم جمال سالم فى مستشفى المعادى فى مرضه الاخير فطلب جمال أن يترك وحده مع أخ صديقه وظل يبكى عبد الحكيم ويقول كان طيب وح نقـابل بعض فى القريب ·· وابتسم فى مرارة لما طمأنه الزائر على صحته وقال له أبدأ أنا متأكد من الموت قريبا وسعيد به وازداد تأكدى لما عبـد الناصر زارنى !! فمستحيل يزورنى الا لانه ح يكسب منظـر وواثق انى مش ح أعيش ويمكن يمشى فى جنـازتى لكن أنا لا كنت عايزه يزورنى ولا يمشى ورايه !!

معركة مقاومة عبد الناصر

عرفت بعد وقت ليس بالقصير أن عبد الحكيم قرر ألا يضعف وأن يدخل مع عبد الناصر وهو فى موقف ضعف نفس المعارك التى كان يدخلها وهو فى موقف قوة ·· ويجد فى هذه المعركة حماسا كان لا يجده وهو قوى ففى وقت قوته كان يضعف عاطفيا وحنينا للعشرة والصداقة وكان يرى ضرورة بقاء عبد الناصر على رأس الحكم ولكن دون أن يأكله وبشرط أن يبقى ندا ومساويا له على الاقل فى القوة ·

ولكن فى حالته هذه كان شعوره أن جمال بيده كل القوى ويملك كل وسائل الضغط عليه وهو أعزل الا من شجاعته وفهمه لطبيعة صديقه ونقاط الضعف عنده ·· وكان يشعر أنه مظلوم ومعتدى عليه وأنه يجب الا يستسلم لهذا الظلم ولا يترك جمال ينفرد بالبلد وحده دون ان توجد قوة أخرى توقفه عند حده ·

وحينما أصف المعركة وأكتب خطتها فان أحدا لم يعترف لى بهـذه الخطة اعترافا صريحا ولكن من معايشتى للقصة كان من الطبيعى أن أفهم

من أحداثها ووقائعها وأحاديثها فى زمانها وفى المعتقل ما يجعلنى أستنتج هذا الذى أكتبه .. وان كان تعبير الاستنتاج يجوز فيه الصواب والخطأ الا أن استنتاجى هذا كان يشبه فهمى حينما أرى أسرة حول مائدة الطعام وأمامهم السرفيس وأطباق الاكل والطعام وفى موعد غداء أو عشـــاء فلا شك أنهم سيأكلون !

كان سلاح عبد الحكيم الوحيد هو حرب الاعصـــاب ! ولكى نفهم كيف دارت المعركة بينهما ونفهم السر الخطير الذى كان بينهما والخاص بالهزيمة فانى أعود الى الوراء فى عجالة الى صورة من حياتهما قبل الثورة وقبل أن يسكنا معا فى معيشة واحدة قبل زواجهما .

كان عند عبد الحكيم نوع من التفوق (ان صح التعبير) بسبب أن جمال كان لا يستطيع السهر ليلة بدونه لندرة أصدقائه أو عدم وجود أصدقاء فى حياته بعكس عبد الحكيم الذى كان له أصـــدقاء كثيرون لا بد أن يعطيهم بعض أو معظـــم وقتـــه .. وكـان بين الاصـــدقاء شلة يلعب معهم البوكر الذى يحبه .. ويبحث عنه جمال حتى يجده وهو يلعب فيتذمر ويريده أن يقلع عن هذه الهواية وكان يجلس للفرجة على اللاعبين وينتظر وقت انتهاء اللعب ..

وأخيرا لم يجد مفرا من أن يأخذ برأى عبد الحكيم فيتعلم اللعبة ويلعب معهم !! وكان بينهما ما يحدث أحيانا فى الصـــداقات القوية اذ يحاول أحد الصديقين احتواء الآخر وتنفيذ رغباته أو معظمها ويحـاول الثانى نفس المحاولة ومحاولة من الطرفين بأن تنتصر ارادة أحدهما على ارادة الآخر .

وكان عبد الحكيم يزهو بقوة أعصابه وينتهز أن يلعب أدوار بلوف (تهويش) ففى أحد الادوار مثلا يقول خمسين قرشا فيهرب جمال على اعتبار أن ورق عبد الحكيم أقوى منه ويكشف عبد الحكيم أوراقه (وهو ليس مطلوبا منه هذا) وهو يضحك اذ أنها تكون لا شىء !

واستمرت هذه اللعبة من الجانبين بعد وجودهما فى الحكم ورغم أن أوراق جمال هى الاقوى ومكشوفة وله الرئاســـة الا أنه فى جميع

الازمات كان عبد الحكيم بسبب قوة أعصابه هو الذى ينتصر حتى جاءت الازمة الاخيرة وصح فيها قول المقامرين الحساب على السلم ! أى أن اللعبة الاخيرة هى الحاسمة !!

الاعـداد للمعركة وحساباتها

كان عبد الحكيم عامر يتوقع أن يحاول جمال اعتقاله فأعد خطة المقاومة المسلحة وهى بسيطة وناجحة لولا خطأ واحد ما كان يستطيع أن يتجنبه .. فقد كان يعتقد أن المبارزة ستكون وجها لوجه ومع كل واحد سيفه .. ورأى جمال أنه ليس من الضرورة أن يكون فى المعركة سيفان وسيف واحد يكفى وهو الذى فى يده !

وحدد عبد الحكيم مكان المعركة وهو فى بيته فى الجيزة بين كثافة سكانية راقية وبجوار السفارات وبالقرب من شيراتون وهيلتون وكوبرى الجلاء والتقاء القاهرة بالجيزة فلا يمكن أن تقوم معركة بالاسلحة الثقيلة ولا بالمتوسطة ومع ذلك فقد كان عنده أسلحة متوسطة وبنادق سريعة الطلقات ومدافع صغيرة وقنابل يدوية ومسدسات ولكن الاهم من هذا أن عبد الحكيم كان يعتقد أن هذه القوة تستطيع مقاومة قوات البوليس وسيسمع الجيش بدوى الرصاص وبالنبأ وسوف تجرح كرامته فى أن يعتقل البوليس قائدهم الذى يحبونه وربما كان فى حسابه أن قوات معينة من الجيش ستهب لنجدته .

فاذا فكر جمال فى أن تعتقله قوة من الجيش حتى من فرقة الحرس الجمهورى فان هذه القوة ستنضم اليه .. وكان له حسابات هو ومن يحتمون فى بيته من الضباط بالنسبة لعلاقات شخصية بينهم وبين من سيجيئون لاعتقال أصدقائهم .

وكان الذين سيقاومون هم الضباط المجتمعون فى البيت ومعظمهم من الصاعقة وضباط وجنود الحرس الخاص زائد قوة حرس الجلاليب !

ولم يكن الانتصار فى المعركة هدفا ولكن كان رأيه أنه اذا كان (عبد الحكيم عامر كما قال) يستسلم ولا يقاوم جمال فلن يقاومه أحد فى مصر حتى يوم القيامة !!

وسيقول التاريخ أن عبد الناصر لم يجد رجلا يقاومه .. وسيطر هذا الشعور على نفسه حتى أصبح يرى فى موته فى هذه المعركة عملا وطنيا مجيدا ! وكان يقول انه هو الذى بنى عبد الناصر وهو الوحيد الذى يعرف سر هذا البناء .. واذا أراد المبنى أن يهدم البانى .. فان قدرة البانى أكبر !

وكان مصمما فى حالة انتصاره أن يجعل عبد الناصر يعرف من جديد أن أخلاق عبد الحكيم تجعله فى موقف الضعف أقوى منه فى موقف القوة .

فشلت الخطة بالعشاء الاخير !!

كانت معركة حرب الاعصاب فى بدايتها فى صالح جمال فالوقت ضد عبد الحكيم فهو ينفق على عدد كبير من المقيمين فى بيته ولن يستطيع مواصلة الانفاق طويلا وعند جمال كل قوى الضغط عليه ففى يده فرض الحراسة على كل عائلته ليضغطوا عليه ويقبل شروط جمال وفصل الموظفين من العائلة والاصدقاء والانصار بل وقطع أو ايقاف مرتب عبد الحكيم نفسه ! كما يستطيع اعتقال الضباط المفصولين الذين يقيمون فى بيوتهم واعتقال أنصاره وأصدقائه وكل هؤلاء وعائلاتهم سيضغطون عليه ضغطا لا يحتمله ومضت الايام وعبد الحكيم يتحمل بعض هذه الضغوط حتى جاء شهر أغسطس وتحدد عقد مؤتمر القمة يوم ٢٧ فى الخرطوم ولا بد لجمال من حضوره ولا يستطيع الذهاب اليه ويترك عبد الحكيم فى مصر الذى أخذ منه الكرة وبدأ يلعب بالضغط على أعصاب جمال بالاساليب السابق ذكرها حتى لا يكون أمام جمال غير تنفيذ مطالب عبد الحكيم أو الغياب عن المؤتمر وايفاد مندوب عنه وهو قرار صعب خاصة ورؤساء الدول لا شك يعلمون بالازمة ويعرفون انها سبب اعتذاره وليس أى سبب آخر يعلنه فى المؤتمر .

وكان عبد الحكيم مصمما أنه اذا فعل هذا فانه سيذهب اليه ويقول له اذهب الى المؤتمر وأنا موافق على كل شروطك وعلى عمل كل ما يطمئنك

ذلك أنه سيشعر بأنه انتصر فى معركة الكرامة وهو الهدف الوحيد الذى يريده .. وسوف يذهب جمال لانه يعلم أن عبد الحكيم لن يغدر وسيبقى بقسمه فقد كان والده فى احدى الازمات جمع جمال وابنه عبد الحكيم وجعلهما يقسمان على القرآن الكريم أمامه بأنه لن يخون أحدهما الآخر وأن يفترقا بمعروف أو يعيشا بمعروف وكان لهذا القسم العظيم أثر خطير فى حسابات عبد الحكيم اذ توهم أن جمال سيلتزم به .

وكان الحل الثالث هو اعتقال عبد الحكيم قبل سفره وتحمل نتائجه الوخيمة فى معركة المقاومة وبالطبع كان جمال يعرف هذه التقديرات فلجأ الى الحيلة والخدعة التى لا يمكن لعبد الحكيم أن يتجنبها فلكى لا يشك فى شيء عرض عليه جمال الصلح بالشروط التى يقبلها عبد الحكيم ولكن بعد عودته من الخرطوم !! ولان عبد الحكيم لن يطمئن الى هذا الوعد وأن جمال يعلم بعدم ثقة عبد الحكيم فى وعوده قال له انه سيعلن هذا الصلح قبل سفره بأن يصحبه عبد الحكيم الى الخرطوم بصفته النائب الاول له ويبقى زكريا محيى الدين نائبا مؤقتا أثناء غيابهما الى حين حضورهما .

واتفقا على أن يزوره عبد الحكيم فى مساء الجمعة ٢٦ أغسطس ليتناول معه العشاء (الذى جعلته اسما لهذا الكتاب) ويتباحثان فى أعمال المؤتمر .. وفى نفس الوقت أعد الخطة اللازمة (وهى بسيطة بالطبع) للقبض عليه فور دخوله بيت عبد الناصر (كابرتيف قبل العشاء !) وفى نفس الوقت تعطى للقوة التى تتجه الى بيت عبد الحكيم فى الجيزة الاوامر باعتقال من فى البيت وتفتيشه تفتيشا دقيقا (وربما ذهب مع القوة خبير لنزع أجهزة التصنت من البيت) وكان واثقا بالطبع أن أحدا لن يقاوم فى غياب عبد الحكيم فهذا القرار الفدائى لا يمكن أن يأمر به الا عبد الحكيم ولا نتيجة من المقاومة ما دام عبد الحكيم مقبوضا عليه فى بيت المضيف الكريم !!

وعلمت أنا وحسن ومصطفى عامر وابن عمهما عامر بهذا الصلح وهذا العشاء .. وعلم به من كانوا فى بيت المشير من الضباط المجتمعين فيه من الاعتقال .. وسافرت مع مصطفى عامر فى مساء الاربعاء ٢٤

أغسطس الى بلدى وأنا على ثقة بأن المسألة سويت وانتهت وأن المشير سيسافر فى صباح السبت مع عبد الناصر الى الخرطوم .

وبالطبع كان رفض عبد الحكيم للذهاب الى العشاء مع جمال مستحيلا فانه أولا سيظهر ذعره وشكه فكيف يعمل مع جمال وهو يشك فيه الى هذا الحد ؟ وهل يعمل معه ولا يزوره فى بيته طوال عمره ؟! وهما اللذان يقيمان شهور الصيف فى الاستراحتين المتجاورتين فى المعمورة ويختلطان اختلاطا عائليا بأبنائهما وأفراد أسرتيهما .. ان هذا مستحيل ..وأكثر من هذا لقد تناول عبد الحكيم العشاء مع جمال فى حديقة بيته وسهر معه فى احدى الليالى حتى بعد منتصف الليل وأثناء حدة الازمة.. كما زاره مرارا فى أيام الازمة وعاد مكرما فما الذى يدعوه الى الشك فى هذه المرة ؟!

ان هذا التصرف السليم الذى لا نعرف غيره هو الذى أخذه الناس على عبد الحكيم واعتبروه ساذجا وأكثر من ساذج !

رأيهم فى الهزيمة !!

أعتقد أنه من حق هذا الجيل والاجيال القادمة أن تعرف أسباب الهزيمة الاليمة ومن تسببوا فيها فالتاريخ لا يملكه أحد ولكنه تراث تملكه مصر وحدها .

وانه لمن المحزن المفجع حقا أن تبقى فى أذهان الكثيرين جدا من المواطنين معلومات ساذجة تدعو للسخرية والبكاء وتنشرها صحيفة كبرى فيزداد الناس جهلا بالحقيقة فوق جهلهم !

ففى يوم ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨ نشرت صحيفة الرأى للشعب فى جريدة الاخبار ثلاثة آراء أعلنت عنها فى الصفحة الاولى على أنها دفاع عن هدى عبد الناصر التى قالت فى حديثها عن اتفاقية كامب ديفيد انها جريمة فى حق مصر والعرب !! أعنى أن جلاء اسرائيل عن سيناء جريمة واحتلالها لها ولباقى فلسطين والجولان عمل تاريخى مجيد يرفع رأس مصر والعرب ؟

ولما قرأت هذه الأراء العجيبة فجعت فى وعى المواطنين وكانت فجيعتى أكبر فى الصحيفة الكبرى التى تنشر هذه الآراء التافهة وتمتنع عن نشر الرد على هذه السخافات !

وأول هذه الآراء وأهمها بالنسبة للجريدة كان لمهندس زراعى من كفر شكر وقال سيادة المؤرخ أن هزيمة سنة ١٩٦٧ ما هى الا قضاء وقدر ! ودليله على هذا قول الله سبحانه وتعالى (قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا) وقلت له فى ردى ان النصر أيضا من عند الله عز وجل وهو القائل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وانه لما غيرنا أسلوب الحكم الظالم وتوقفنا عن المظالم انتصرنا فى ٦ أكتوبر .. ولكن موسى صبرى رأى أن رأيى سخيف أمام تلك العبقريات التى نشرها فلم ينشره !

والرأى الثانى كان بدون توقيع ! أى والله بدون توقيع ونشرته الصحيفة الكبرى !

ويقول هذا الخبير الشجاع بكل بساطة ان عبد الناصر برىء من الهزيمة وكل ما حدث هو اعتماده على قيادات خائنة !!

هكذا بكل بساطة وصمت القيادات العسكرية بالخيانة لا بالتقصير أو الاهمال أو الجهل !! ورضيت هذه لقيادات بالصمت أو ردت ولم ينشر لها أحد هذا الرد !

ورضى موسى صبرى عن هذا الرأى الساذج التافه وعن اتهام خطير من واحد بغير توقيع فنشره ورفض نشر ردى الذى قلت فيه أن هذا الفهامة الشجاع لا يعرف الاسرار السياسية والعسكرية ولا أسباب الهزيمة حتى يحكم عليها هذا الحكم بكل بساطة ويتهم رجالا بالخيانة !

وكان الرأى الثالث مثل هذا الرأى وتعجب يا عزيزى القارىء ما شاء لك العجب فقد كان أيضا بدون توقيع !

ودفعتنى ايجابيتى الحمقاء لارسل ردا سريعا وكتبت اسمى وكل ما أعرف من أسماء أجدادى وصفة سابقة توضح صلتى بالموضوع وكما كانت تطلب الصحيفة ممن يرسلون لها الآراء وبالرغم من أن موسى صبرى يعرفننى من نصف اسمى ! الا أنه لم ينشر ردى !

وأرسلت لموسى لا لمحرر الصفحة أسأله ان كنت واحدا من الشعب وهل ما ينشره من آراء هي التي تعجبه أم وأيضا التي لا توافق هواه ؟ ولكن سامحه الله رأى الا ينشر الا الآراء التافهـــة والتي بغير توقيع ولا ينشر لهذه الاسماء الهايفة ما دام قد ملك صحيفة الشـــعب ! ولم أستطع أن أفعل شيئا غير أن أغلق التليفزيون كلما تحدث موسى صبرى عن الحقوق والحريات !!

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يحكم فيها على قوم كنت أقرأ لهم وأعجب بهم بأنى ممن ليس لهم حقوق فى بلدهم !

فمنذ أكثر من عام شتمنى ابن المشير السلال فى مجلة روز اليوسف .. وبكل بساطة استعملت حقي في الرد وأرســـلته للمجلة وســلمته باليد ! وفى الاسبوع التالى لم تنشره !

واتصلت بالاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فطلب أن أكلمـــه مرة ثانية بعد أن يبحث عن ردي واتصلت به ثانية فقال لى ان ردى فيه شتائم موجهة لمن شتمنى !!

وقلت له انى لا أستطيع أن أرد على الشتائم بالثناء ففى هذه الحالة لا يكون ردا !

ورغم ذلك أعطيته الحق فى حذف ما يريد ويرى من ردى المهم أنه ينشر ما يفيد بأنى لست جبانا أو عاجزا عن الرد !

وسامح الله أيضا الشرقاوى فقد رضى أن يشتم مصرى فى بلده من مهاجر يقيم فى هذا البلد ولا يستطيع ابن البلد أن يرد فى صـــحافة بلده !

وفوضت أمرى الى الله الذى أتاح لى أن أشهد قراء هذا الكتاب على دعاة الحرية فى مصر !!

كلهـــا عمليـــات تهويش !!

قبل خدعة الصلح التي صدقها المشير كانت عمليات التحـــدى مستمرة فى وصول أعداد من حرس الجلاليب من بلدة المشـــير وعودة

أمداد الى تلك القرية فى أجازات ومغامرات جلال هريدى الذى استمر فى تدريب هؤلاء المتطوعين .. ثم تحول التحدى الى عمليات تخويف لعبد الناصر بايهامه أن شيئا ما يدبر ضده ولم أفهم هذا القصد الا وأنا فى بلدى وقبل اعتقالى بيومين ولم يكن هذا الفهم يسمى فهما فان أى طفل يفهمه مثل فهمى !

وفهمت أيضا ما حدث فى أحد الايام الاخيرة حيث طلب المشير الاتصال تليفونيا باللواء طيار عصام خليل فى بلده وكان يعرف تماما أن تليفونه مراقب وأن هذه المكالمة ستسجل وخاصة أنها تتم عن طريق الترنك .. وكان عصام سافر الى بلده عقب خروجه من المعتقل وبقى فيها لا يغادرها وكان الذين يزورون المشير من المعروفين لرجال المباحث والمخابرات تسجل أسماءهم يوميا وكنا نرى المخبرين وغيرهم يقفون قبل بيت المشير من مدخليه .. وفى احدى الليالى كنت خارجا من بيت المشير مع بعض الاصدقاء لنذهب الى بيتى سيرا على الاقدام ورأيت واحدا من الذين يسجلون الاسماء ويمكن اكتشافهم بسهولة فليس فى هذين الشارعين متاجر أو دكاكين أو محطة أتوبيس فهذا الذى يقف وحده ولا توجد مساكن لينتظر تصبح مهمته معروفة فاتجهت اليه وقلت له نحب تعرف أسماءنا ؟ وقبل أن يجيب أمليت عليه الاسماء !

ولذا دهشت لما كانت المكالمة غامضة وتثير الشكوك فقد قال المشير لعصام .. ايه يا عصام عملت ايه فى المهمة اللى كلفتك بها ؟! خلصها بسرعة وادينى خبر ! وأنهى المكالمة قبل أن يتمالك عصام نفسه من الدهشة ولم يفهم شيئا رغم انه كان قبل الهزيمة يعمل مديرا لمخابرات الطيران !

وفهمت فى وقتها أنها دعاية لتخويف عصام الذى لم ير المشير منذ مدة طويلة فأراد تخويفه بأن يفهم أنه اذا زرت أو مازرتش مافيش فايدة من الحذر ! وأعتقد أن عصام سيفهم بعد أحد عشر عاما سر هذه المكالمة العجيبة وقد كان يتساءل عن سبب اعتقاله أكثر من عشرين مرة فى اليوم ولعله الآن عرف السبب الذى لم أجبه عنه وأنا أسمعه منه كل يوم !

ولم أفهم هذه الالغاز الا مساء الاربعاء ٢٤ أغسطس حيث كنت مع مصطفى عامر كالعادة فى بيته فى البلد وقال لى ان شيئا عجيبا حدث أثار مخاوفه وهو أنه تلقى فى البريد منشورا وكان مظروف الخطاب معنونا باسم رئيس مدينة سمالوط لا باسمه الشخصى مما يعنى أن هذا المنشور أرسل لجميع رؤساء المدن وفيه كلام ضد حكم عبد الناصر وموقعا عليه باسم الضباط الاحرار !؟ وقال انه سيرينى هذا المنشور الذى أعطاه لامين الاتحاد الاشتراكى فى سمالوط والذى رشحه مصطفى لهذا المنصب باعتبار أنه أشجع وأوفى الاصدقاء ! وجاء الامين بعد قليل وقام مصطفى ليستقبله ويسأله بعيدا عن الحاضرين عن المنشور ليريه لى .. وعاد يقول لى ان الامين خاف يشيله ولما خرج من عندى حرقه لحظة خروجه !

ولقد فهمت فيما بعد أن هذا المنشور تأخر وصوله فى البريد وكان يراد ايقافه بعد أن تم الصلح الخادع الا أنه كان قد ارسل .. واذا كنت أنا وأى طفل نفهم هذه التهويشة المكشوفة فكيف بالذين عاشوا سنوات يوزعون مثل هذه المنشورات قبل الثورة !؟ هل الذى يريد القيام بمؤامرة بالغة الخطورة والسرية يكشف أمرها بارسال هذا المنشور الى رؤساء المدن الذين سيقدمونه للمباحث العامة ؟!!

واذا كان مصطفى شعر بالخوف من هذا التصرف واستنكره بشدة لما أصبحنا وحدنا فلأنه كان فطنا عنى ولا يثق مثلى فى الوعود وفى تقديرهم أهمية العواطف والعلاقات الانسانية أما أنا فلم أعبأ بهذا التصرف وقلت ده لعب عيال ..

وكانت هذه خاتمة عمليات التخويف التى لا أدرى كيف خاف منها عبد الناصر ولا كيف تصور الذين قاموا بها أنها ليست سخيفة .. وإن كنت لم أسخر كثيرا من تفكيرهم لما رأيته بنفسى أكثر من أربع مرات عن اهتزاز أعصاب عبد الناصر .. كان منها حينما أشركنى عبد الحكيم فى دعاية لتخويف صديقه دون أن أدرى بالطبع .. فقد كان يزور المنيا مع الحورانى والبيطار والوزراء السوريين ليريهم استقبالات الشعب له وكنا فى المنيا المتعهدين الوحيدين لروعة هذه الاستقبالات !

وكان يسمع الهتاف ودوى الاستقبالات قبل الوصول الى محطات المراكز التي يقف عليها القطار وبمسافة كبيرة ·· فلما وصل محطة المنيا العاصمة المأمول تفوقها على غيرها وأوشك القطار أن يقف تماما لم يسمع أي صوت وكأنه يصل الى قرية مهجورة ! ولم يتحمل هذا الموقف ويبدو أنه ظن أن انقلابا وقع فسأل المشـــير الذى كان يعرف السر عمـا حدث فقال له اسأل فلان ! فسألني في لهفة وكنت معهم فى العـربة فين عامر وحسن وانت ؟!! وقلت له على السر البسيط وهو اننا بسبب اجراءات الامن منعنا الاستقبال على رصيف المحطة ! ·· وبعد أن علمت من تعمد المشير أن يداعبه كان تفكيرى مخالفا لهذا وهو أنه في وقت الشدة دفعه شعوره الطبيعى الى السؤال عن أقرب المقربين اليـــــه ثم نسى عشرات المواقف وليته اكتفى بالنسيان ! ·· المهم انه رغم علمى بضعف أعصابه الا أنى كنت أعتقد أن هذه العمليات لا تزيد على انها بمب أطفال بسبب فقط إنزعاج المزاج !

محاولات لفهم السر

حققت اسرائيل أسباب هزيمتها فى ٦ أكتوبر فى أسابيع قليلـــة وحسمت الامر ونحن لنا أحد عشر عاما وأكثر ويبقى بيننا مثل هـــذا الجهل المخجل لا يعشش فى الاذهان الغبية فقط ولكن ينشر فى الصحف اليومية !

وربما كان عذرنا أنه فى اسرائيل لا يوجد من يعلم كل شيء وبيده كل شيء وكان عندنا العكس ويحزننى اعتقادى أن اللجنـــة التى حققت وتحقق فى أسباب تلك الهزيمة قد لا تصل الى الحقيقة لاسباب عديدة منها أنها تجهل هذا السر ! ولكن ما فيه موزع عنـد من يعلمون الا أن اللجنة قد تصطدم بهالة وقداسة خادعة فنكفى على الخبر ماجور ! لـذا فانا أطالب أن يعاد تشكيلها على أن تضم اغلبية من رجال القضاء ويكون الآخرون مستشارون فقط وأرجو أيضا أن يحاول الكلام أولئك الـذين يدافع عنهم غيرهم لا غيرة عليهم ولكن على الحقيقـــة فاذا لم يدافعوا عن

أنفسهم فليدافعوا عنها من أجل أبنائهم الذين سيرثون تلك الاتهامات الرخيصة البلهاء .. وليسمحوا لى بأن أتساءل كيف كانوا سيدافعون عن بلدهم اذا كانوا لا يدافعون عن سمعتهم وكرامتهم ؟!

كان أصدق فهم لا تجده الا عند عبد الناصر وعبد الحكيم وحتى لو كانت صلتى بالاثنين متساوية لحاولت فهم الحقيقة من عبد الحكيم ! وكان من السذاجة أن أسأله سؤالا مباشرا يوقظ حاسة الحذر حتى عند غير السياسيين لذا كانت المحاولة شاقة بدأت بذكر ما يقوله الناس وهو ما لن يستطيع أن يستمعه ويسكت عليه وقال ان الحديث عن أسباب الهزيمة لا يملكه غير اثنين عبد الناصر وهو .. وكان فى هذا الرد ما يفهم منه بالطبع وجود أسرار لا يعرفها غير الاثنين .. وهذا ما كنت أعرفه .

وظل يردد هذا القول بلا زيادة الى أن جاء يوم كنت سأحضر اجتماعا للجنة الدائمة لمجلس الامة وكان هو يعرفه موعد هذا الاجتماع .

وذهبت اليه قبل الاجتماع وعلى غير عادتى بالنسبة لزيارات النهار وسألنى لماذا لم أذهب للاجتماع وكنت بالطبع تعمدت هذه الزيارة

وتوقعت هذا السؤال فقلت له انى لا أريد حضوره ولا أريد أن يرانى أحد فيلومنى على اهمالى لواجبى ! وأيضا توقعت سؤاله الذى أجبت عليه بأنى فى أول اجتماع لهذه اللجنة أتوقع قطعا حديثا عن الهزيمة وأسبابها فماذا يحدث (وهذا ما أرجحه) اذا ألقيت عليه كل المسئولية ؟ لن يكون لصمتى غير معنيين (واللجنة تعرف بالطبع صلتى به) اما أنى أعترف بصحة هذا الاتهام واما انى طور الله فى برسيمه ولا أعرف شيئا رغم هذه الصلة !

وقال المشير انى أستطيع أن أذكر للجنة وباسمه أن أحدا لا يستطيع الكلام عن أسباب الهزيمة غيره هو وعبد الناصر وأنه يطالب بمحاكمة عادلة وعلنية وأنه لا يتمسك بعدالة المحاكمة !! ولكنه يكتفى ويتمسك بالعلنية ولن يتكلم الا اذا توفرت هذه العلنية !.

ولا أريد التعليق على هذا التصريح فمعناه أوضح من الحاجة الى تعليق أو توضيح وذهبت لاجتماع اللجنة ولكن أحدا لم يسأل السؤال الذى توقعته .

أردت اذاعة السر

فى أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩٧١ قابلت الصديق محمود أبو وافية وقلت له ان عندى سرا خطيرا أرى من واجبى وأيضا لرغبة خاصة أن يصل للرئيس السادات وكنت كتبته ووضعته فى مظروف مغلق ورجوت توصيله للرئيس .

وقال الاخ أبو وافية هو سر على ؟ وشعرت بآلام نفسية تكاد تخنقنى وخجلت من جحودى اذ كنت ولا زلت مدينا للصديق بما لم يستطع أحد فى كل حياتى أن يديننى به فقلت له لو قلته لك فلا معنى لان أطلب منك توصيله .. وضحك محمود وقال لى انت عايز ثمنه ؟ فقلت له ان رفع الحراسة عنى ليس ثمنا وليس حتى اعادة حق ..وكانت هذه الحراسة اللعينة هى كل ما كنت أفكر فيه !

وكنت أعرف أن من عنده السر ومن كان يعرفه لن يقولاه فمصلحتهما فى كتمانه بل فى اعدامه ! وكتبت للرئيس على أنه اذا كان علم به فقد انتهى الامر واذا لم يكن قيل لسيادته فأنا على استعداد لان أقوله .

ولم تمض غير أيام قليلة وفى مساء ليلة من رمضان أشعلت سيجارتى الاولى وأمسكت (بالنفقة) التى كان عبد الناصر قررها لى دون أن يحدد موعدا للطلاق ولا لانتهاء أيام العدة !

ووجدت أنى لو وزعتها على الابواب الثابتة فى الانفاق فانه من نفس الليلة والى الشهر التالى لن يكون معى حتى ثمن الخبز بدون ملح !! رغم الغاء عادات وتقاليد رمضان والعيد اذ كانت الحراسة لا تعترف بها لانها تقاليد رجعية ! وسقطت السيجارة والنفقة من يدى وأنا معهما صريع أزمة قلبية نتيجة لعدالة الزعيم الراحل !

وكان فى العمر بقية فشفيت ولم يطلب منى أحد معرفة هذا السر وأنا أيضا نسيته الى أن أراد الله وأذعته فى هذا الكتاب .

السر هو مذكرات المشير !!

كان هيكل يزور المشير فى مواعيد ثابتة تقريبا وزيارات تكاد تكون

ومية قبل ذهابه لعمله فى الاهرام •• وكان هيكل لم يكتسب ثقةالمشير وحده بل وعائلته فقد قال أمامهم اذا كان المشير مش ح يرجع أنا ح أبطل كتابة ومش ح أكتب حرف واحد ! وان كانت هذه الثقـــة لم تخل من الحذر بالنسبة للعائلة أو للمشير ••

وقبل هذا الموعد المنتظر لزيارته فى أحد ايام شـــــهر أغسطس المشئوم جاء هيكل وسأل عن المشير فقيل له انه فى مكتبه وأنه يمكنه الذهاب اليه فليس معه أحد ••

ودخل هيكل وكان المشير منهمكا فى الكتابة فانتظر لحظات قليلة ثم فاجأه المشير بقوله جيت فى وقتك يا هيكل •• انت طبعا فاكر كلامك عن بعدم اطمئنانك لجمال ووعدى لك بالوقوف جنبك •• النهارده جـه ورك وطبعا مش ح أقول لك تقف جنبى المواقف اللى بينى وبين جمـال تحتاج لحد يقف جنبى أو جنبه ••

انما أنا انتهيت من كتابة مذكراتى عن الحرب والسر الخطير اللى بيننا وحدنا أنا وجمال ولمصلحة مصر والتاريخ (وأنا مش مهم) اذا حصل حاجة فعايزك توعدنى بعد ما تقرأ اللى كتبتـــــه اذا جاء وقت للنشر شره •• ولان هذا السر خطير فعايزك تحفظه فى ذاكرتك وقدامكساعة رأه وتجيبه وح يبقى السر بينى وبينك بس ••• فـاهم بينى وبينك نى ايه ؟•• فاهم بالطبع !!

وخرج هيكل ولم يكن عند المشير شك واحد فى المليـــون فى أنه سيذهب الى جريدة الاهرام لتصوير المذكرات بخط المشـــير فى دقائق بعيدها ويتظاهر بأنه حفظها وربما يكون عنده جهاز التصوير البسيط ى بيته •• ثم يسارع الى جمال لا ليذكر له هذه القصة أو موجزا لهـا لكن ليعطيه صورة منها ولا يستطيع الاحتفاظ بهذا السر الا اذا كان يد الانتحار ! وسيحتفظ بصورة ثانية أو بأكثر فما كان يضير المشير ن يطبع منها صورا بأكثر مما يطبع من جريدة الاهرام ••

وكان المعنى واضحا فقد كان قصد المشير أن يكون هذا السر هو لانذار الاخير لعبد الناصر والذى اعتقـــد انه سيكسب به المعركة التى

بينهما وكان على الاخير أن يستجيب لمطالب عبد الحكيم أو يعمل على اسكاته كى لا يذيع هذا السر الخطير الذى كان السبب فى عدم موافقته على سفر عبد الحكيم الى ايطاليا وطلب سفره الى يوغوسلافيا حيث لا يستطيع من هناك أن يهدد جمال باذاعة هذه الاسرار .

وكان عبد الحكيم يعتقد أن جمال لن يستطيع اسكاته ولم يضع فى حساباته وتقديره خدعة العشاء الاخير !

مذكرات المشير

الاسباب السياسية للهزيمة

أرجو أن أذكر أنى أنقل من الذاكرة وأصيغ المعانى بما بقى فى هذه الذاكرة من أسلوب عبد الحكيم والباقى بتعبيرى الذى لا يختلف كثيرا عن الاسلوب الذى كتبت به هذه المذكرات .

بدأ عبد الحكيم مذكراته بقوله انه لا توجد معركة عسكرية منفصلة عن المعركة السياسية بل انه يجب التمهيد للمعركة العسكرية بمعركة سياسية ناجحة وبعد هذا النجاح نبدأ المعركة العسكرية .

وقال انه كان فى سيناء وفى المواقع الامامية ليلا ونهارا وجمال يدير المعركة السياسية فيتصل خارجيا ويفاوض ويخطب ويدلى بتصريحات ويعقد مؤتمره الاعلامى التاريخى فيلهب شعور المقاتلين ثم يتركهم ليصيبهم الصدأ والملل والغضب وهم ينتظرون من سيضربهم ليتجنبوا الضرب الذى لا يدرون كيف يكون ولا كيف يكون ردهم عليه .

وقال ان جمال لم يأخذ رأيه فى الاتصالات السياسية ولا فى تصريحاته أو اتفاقاته فهذه مهمته وهو اعتمد عليه فهو وحده الذى يتولى القيادة السياسية ويعرف أن عبد الحكيم كان ممتعضا من المواقف العدائية الشديدة نحو أمريكا والغرب وانه لا يهضم ولا يحب ولا يثق فى الروس وهم أيضا يبادلونه هذا الشعور .. ولكن ما دام المسئول السياسى واثقا منهم فهذه مسئوليته والوقت أقصر من أن يناقشه فيها أو يحاول

تغييرها. فقد فات أوان التغيير وعلى أى حال لم يكن يتصور أن جمـــال يخدع بهذه السهولة والبساطة فاطمأن الى إدارته لهذه المعركة !

وقال ان جمال يعرف وكذلك جميــــع كبار الضباط يعرفون (ويوافقونه) تصميمه على أن يبدأ بمباغتة اسرائيل بضربة قاصـــمة وحاسمة وأن العالم احترم هذا الاسلوب واعترف به بالنسبة لاسرائيل التى كانت تباغتنا فى كل مرة .

وبعد هذه الضربة له (أى لجمال) أن يفاوض من مركز قوة ويملى شروطه وعلى الاقل سنصل الى صلح شامل وعادل وفيه حل القضية من جميع جوانبها .

وقال انه ألح على جمال فى قبول هذا الرأى ولكنه رفض بشـــدة بحجة أنه سيخسر الرأى العام العالمى وسيعطى أمريكا فرصة للتدخل كما سيخسر موقف ديجول الذى أعلن وكرر أنه سيكون ضـــــد من يبدأ بالضربة الاولى ..

وقال انه للخروج من هذا الموقف فانه قال لجمال انه سيأمر بقيام بعض الدوريات باستفزاز اسرائيل فترد على ضربات دورياتنا بضربات محدودة فنضربها بالعنف المخطط للضربة الاولى ولا أحد يعرف من الذى بدأ الهجوم فنتساوى فى المسئولية ونتفادى الموقف السياسى الذى يخاف منه ونكسب المعركة العسكرية فى بدئها .

ولما رفض جمال هذا الرأى أيضاً فإنه (أى عبد الحكيم) أمر بالقيام بعمليات الاستفزاز وكان سيضرب ويضع جمال أمام الامر الواقع ! لان شعوره وفهمه كان واثقا من أنه ستحدث خدعة قاتلة .. وفى أســوأ التقدير أن العالم سيتدخل ويطلب منا الوقوف فى مواقعنا التى وصلنا إليها أو العودة الى حدودنا فنقف أو نعود المهم أننا كنا سننتصر فى معركة كرامة حتى ولو لم تحقق المعركة أهدافها فاننـــا لن نخسر أى شىء بل سنكسب الكرامة والثأر لمعركة السويس وكسر عين اليهود !!

واســـــتطرد يقول وفهمت اسرائيل خطتى ولا أدرى ان كانت إستنتجتها أو عرفتها بطريقة ما فكان أن ذهب السفير الاسرائيلى فى أمريكا

الى وزارة الخارجية الامريكية وطلب ايقاظ جونسون بعد منتصف الليل لابلاغه أنباء هامة وخطيرة ٠

وقابل وزير الخارجية الامريكية وقال له السفير الاسرائيلي أنه تلقى من حكومته أنباء تؤكد له أن مصر ستبدأ الضرب الليلة أو فى الغد على أكثر تقدير ٠

واتصل وزير الخارجية الامريكي بالسفير المصرى وأنذره بأن أمريكا سوف تقف عسكريا وبحزم ضد الذى يبدأ بالضرب كما اتصلت أمريكا بروسيا فأيقظ السفير الروسى فى مصر جمال فى الفجر وأبلغه هذا الانذار وحذره من البدء بالضرب ٠

ويستطرد عبد الحكيم فيقول ولان هذا التحذير صادف هوى فى نفس جمال الذى يريد أن يكسب المعركة بالتهويش وبالمظاهرة العسكرية فقط فقد طلبنى وحملنى مسئولية كل ما يحدث من ضرب أمريكا لنا وقال اذا تهورت يا عبد الحكيم فأنت المسئول وسوف أعلن مسئوليتك بالطبع !

فوافقت كارها الا أنى اعتقدت وهذا أمر بديهى أن جمال أخذ كل الضمانات والعهود والمواثيق من السفير الروسى (بعد اتصاله بحكومته) بأن لا تبدأ اسرائيل بالضرب وأنها اذا بدأت فعلى روسيا اتخاذ الموقف الذى أنذرتنا به أمريكا وأنها يجب أن تنذر به اسرائيل ٠

وكان يجب على جمال أن يتصل أيضا بالسفير الامريكى ويأخذ نفس الضمانات فوق ما تأخذه روسيا منها ٠٠

وقال عبد الحكيم انه (كوه بتعبير البوكر !) ملعوب بين أمريكا وروسيا وشربه جمال بكل بساطة وسهولة ٠٠ ولو كان اتصال أمريكا بنا مباشرا لكان موقفنا منها معتدلا أو معقولا لكنا أصررنا على أن تعلن موقفها والضمانات علنا على العالم وليس بمثل هذه الاتصالات السرية ٠

ويقول عن موقف روسيا أن هذه الخسة فى الخيانة والغدر الذى كان مبيتا بدون حاجة ليغدروا بنا هذا الغدر وأنها لمصيبة كبرى لانا تصور جمالى أن هذه الخيانة كانت لغفلة وليس لسوء نية اذ لو فرضنا

انها خدعت وأن أمريكا استغلتها فكيف سكتت على هذه الإهانة الموجهة لها قلنا ؟ وهذا الافتراض غير معقول لسبب بسيط أيضا فقد اتصل بهم جمال أثناء الحرب وطلب طائرات كنجدة سريعة فردوا بأن يوغوسلافيا ترفض مرور طائراتها وهي تحمل لنا الطائرات في سمائها فاتصل جمال بتيتو فقال له أبدا أنا وافقت ودول بيكذبوا عليك !

ويختم عبد الحكيم الجزء الاول عن الهزيمة السياسية التى سببت الهزيمة العسكرية بأن جمال المسئول أمامه وأمام الشعب وعليه أن يفسر موقف روسيا منه وموقفه هو أيضا منها يعد الخيانة والغدر الدنيء قبل بداية المعركة وتخديرنا حتى تضرب هذه الضربة القاصمة ثم موقف الروس أيضا أثناء الحرب فبدلا من التكفير عن جريمتهم يكون الهروب من مساعدتنا بهذه الاكذوبة .. ثم يقول انه يستحيل عليه أن يجد تفسيرا أو تبريرا لاستمرار جمال فى ارتمائه فى أحضان الغدر والخيانة .

الجزء الثانى من المذكرات
اسباب الهزيمة العسكرية

أرجو أن أذكر أيضا انى لا أفهم فى المسائل العسكرية وانى لم استطيع حفظ اصطلاح أو اثنين فنيين فقط هما كل ماكان فى المذكرات التى لا تحتاج الى فن أو ذكاء ولا تحتاج أيضا الى جهد لإبقائها فى الذاكرة ولعل المصيبة كانت فى أنها بسيطة !

يقول المشير عن الهزيمة العسكرية ان جمال تدخل فى كل صغيرة وكبيرة وفرض رأيه علينا جميعا بحجة أن المعركة العسكرية تخضع للمعركة السياسية وليس العكس .. فلما خسرنا المعركة السياسية كان لا بد أن نخسر المعركة العسكرية .. وما كنا نخسرها بهذه الصورة لولا ثقته فى الروس ..

ويقول .. وتركنى فى القيادة أتحمل المصيبة وأحاول الخروج منها

ولما جاء اليها لم أحتمل النظر اليه أو أن أكلمه كلمة واحدة وحتى أسئلته كنت أتجاهلها •• ولولا صداقتنا وتحملى للتضحية باعتبار أنه أخطأ بحسن نية وبسوء سياسة لكان لى معه موقف آخر !

وبما أرادت الاقدار أن يصطحب جمال معه هيكل لما جاء الى القاعدة المتقدمة فى سيناء واجتمعنا مع عدد كبير من الضباط الطيارين وكانوا فى قمة الحماس فقالوا له احنا لازم نضرب فى الاول ولا يمكن أن ننتظر حتى تضربنا اسرائيل كما حدث فى حرب السويس •• وقالوا انهم لا يستطيعون الانتظار طويلا والحوا عليه فى الرجاء فى أن يعطيهم أمرا بالضرب أو وعدا قريبا ولكنه رفض فقال لهم انه يجب أن يخضعوا للقيادة السياسية وانه بهذه الصفة وبصفته أيضا القائد الاعلى للقوات المسلحة سيوقع أشد عقوبة اذا عادوا لمثل هذا الحديث أو حاولوا التدخل فى الخطة العامة السياسية والعسكرية وعليهم الطاعة بدون مناقشة وتنفيذ الاوامر •

ويستطرد فيقول وذهب عبد الناصر ليركب سيارته فتباطأت لاهدىء من غضب الضباط وقلت لهم ما تسألوش فى الكلام اللى سمعتوه ! أنا ح أديلكم الامر فى الوقت اللى أشوفه وقريبا جدا باذن الله •• ولم أنتبه الى أن هيكل سمع كلامى ونقله لجمال فاختلى بى وقال لى يا عبد الحكيم أنا باحملك المسئولية زيهم تمام وأكثر منهم لانك بالشكل ده ح تودينا فى داهية ! اما انك تسمع كلامى معاهم واما أسيب لك الموضوع كله سياسيا وعسكريا ! فوافقت وقلت له اتحمل انت المسئوليتين ••وكان أن كتب هيكل مقاله عن الضربة الاولى •

البريستيج !!

يقول عبد الحكيم انه لما رفض جمال الخطة الهجومية بالبدء بالضرب بالقوات الجوية ثم دخول القوات البرية الى الاراضى الاسرائيلية حيث تدور المعركة فى أرضهم لاول مرة ولا يستطيع طيرانهم التدخل فى المعركة لاشتباك قواتنا بقواتهم وكان جنودنا فى غليان حماسهم ومشتاقين لاكلهم فى معركة ثأر •• وضعنا خطة دفاعية باخلاء غزة وكان بها أحسن

قواتنا والتمركز في الوضع الذي يجعلنا متى بدأت إسرائيل الهجوم نبدأ على الفور في الهجوم على النقب لتدور المعركة في أرضهم كما أردنا من الخطة الهجومية والالتحام بهم فلا تفيدهم طائراتهم حتى اذا نجحت الضربة الجوية الاولى منهم .

ولكن جمال رفض هذه الخطة أيضا ورفض الانسحاب من غزة قائلا والبريستيج بتاعنا لا واقول ايه للعرب ؟!

ويقول عبد الحكيم وحاولنا اقناعه بأنه لا دخل للبريستيج بالحرب ولا باقول ايه لانك ح تقول بعد المعركة مش فى أثناءها ويتهكم فيقول طيب وح تقول ايه دلوقت لما تروح مؤتمر الخرطوم ؟ وحتقول ايه لكل العالم ؟ والاولى أن تقول أولا أقول ايه لمصر ؟

ثم يقول ان جمال لم يوافق ليس على انسحابنا من غزة فقط بل وطلب في الحاح شديد ومتواصل تقوية غزة ! وكانت هذه التقوية سبب اضعاف الخطوط الدفاعية في سيناء وعلى حسابها !

وبعد أن علم بخسائرنا فى الطيران طلب الانسحاب السريع ولم يطلبه بالاتفاق والتشاور وانما قال ان الوقت ضيق وده أمر يا عبدالحكيم!

ويقول أيضا انه كان (المشير) أمر بانسحاب الفرقة الرابعة أفضل الفرق والمسماة بجوهرة الجيش وهى سليمة أربعة وعشرين قيراط وكان الهدف من الانسحاب أن تبقى لنا قوة سليمة للضرورة القصوى ولعدم الفضيحة بأبنائنا بدون مناسبة أو فائدة لا من الوجهة الأدبية ولا العملية وقال لجمال -أنا رجعت أولادنا اللى فى الفرقة الرابعة بسلام والحمد لله وصلوا غرب القناة بدون أي خسائر الا أن جمال غضب (لتعديتها الى غرب القناة) وأصر على رجوعها فعادت مرة أخرى وضربت من الطيران الاسرائيلى ولم تعالج البريستيج أو تحقق اى هدف الا الخسائر فى الارواح والعتاد وأرواح الجنود أعتبرها مسئوليتى الشخصية .

فين دموعك والشريط الرابع ؟ !!

ويقول عبد الحكيم بعد أن حمل عبد الناصر كل المسئولية انه توجد

أربعة شرائط تسجيل سجلت كل أحاديثه مع جمال وأن شريطا منها عند جمال والثاني عند سامي شرف والثالث في دار الاذاعة ولم يتحدث عن الشريط الرابع .

ويقول انه بعد الهزيمة قال جمال لسامي شرف الحق لم الشرايط أحسن دي تودينا في داهية !

وحاولت أن أعرف أين الشريط الرابع ولا متى على وجه التحديد طلب جمال من سامي شرف جمع هذه الاشرطة ولم أهتم كثيرا بهــــذه المعرفة اذ كنت أعتقد أن أي أسرار ستذهب مع أصحابها الى المقابر ولن ترى الحياة !

ولو كان الشريط الرابع عند عبد الحكيم لما كان جمع الاشرطة له قيمة بالنسبة لجمال واذا لم يكن عنده فكيف عرف بوجوده ؟ وأعتقد أن الشريط الرابع كان يخبئه عبد الحكيم في مكان ما ويعتقد أن جمــــال لا يعرف أن هناك أشرطة غير الثلاثة التي يعرفها وربما يكون عثر عــلى هذا الشريط ليلة اعتقال عبد الحكيم وتفتيش بيته تفتيشا دقيقا وقت أن كان هو في بيت عبد الناصر .

ويقول عبد الحكيم أيضا أن أخطر ما سجل هو حديث جمال معه وهو يبكي ويقول له سامحني يا عبد الحكيم أنا غلطت ولا طاوعتكوش لا انت ولا صدقي ولا الطيارين ولا كل اللي كانوا عـايزين نضرب الاول وأنه (أي عبد الحكيم) قال أنه ســيتحمل معه المسئولية ولن يتكلم وما داموا سيستقيلون جميعا فلا ضرورة لتوزيع المسئولية .. وكان هذا قبل عقد الاجتماع الثلاثي والسبب فيه الا أن جمــــال قام بتمثيلية الاستقالة وتراجعه وتعاقبت الاحداث حتى ظهر أنه بعد أن كان يوجــه الاتهام (عبد الحكيم) أصبح مطلوبا منه الدفاع عن نفسه !

ويختم هذه المذكرات بقوله ان القصد منها ليس الدفاع عن نفسه ولكن الدفاع عن جيش مصر وســمعة مصر وعن قيادات الجيش الذين سينسب اليهم جميعا الخطأ والاهمال ونقص في كفاءتهم وكفاءة وشجاعة الضباط والجنود من أجل تبرئة فرد واحد هو عبــــد الناصر الذى لو

أستقال معهما هو وشمس لانتهى الامر وتحمل الثلاثة المسئولية وليس سمعة وتاريخ ثلاثة كسمعة وتاريخ مصر ..

وان التاريخ حتما سيسجل الحقائق ويتكلم حتى اذا متنا جميعا قبل أن نستطيع الكلام فأولادنا سيعيشون وسيبقى ابن أو أكثر لكل قائد وضابط وجندى عنده بعض الحقيقة وسيأتى يوم قد يكون قريبا ومعه فجر مضىء ويومئذ تبيض وجوه وتسود وجوه .

نتائج اذاعة السر

لم يفكر عبد الحكيم عامر بالنسبة لهذه اللعبة السياسية الاخيرة الا ى أمرين اما نجاح تقديره واما أن أسوأ النتائج هو تحديد اقامته أو عتقاله وربما لو فكر فى أبعد من هذا لكفانا وكفى نفسه شر هذه النتائج رهيبة .

وحينما أذكر ما ترتب على اذاعة هذه المذكرات من اجراءات ونتائج أنا لم أكن فى معسكر عبد الناصر حتى أعلم بتفكيره وتدبيره ولكنى أذكر هذا نتيجة فهم يحكم عليه المنطق والقرائن ونتيجة وقائع مادية يفسرها يضا المنطق والعقل بتفسير واحد .. انه اما أن تكون خدعة الصلح لدت فى الفكر نتيجة هذه المذكرات لاسكات عبد الحكيم واما أن تكون لفكرة موجودة ومع العلم بهذه المذكرات نضجت وآتت أكلها وبعدها تبدأ نصة تأليف اتهام يبرر أعتقال عبد الحكيم ومن معه .. وسمى هذا لاتهام الذى تشكلت من أجله محكمة الثورة (الثورة على الثورة !) نعبد الحكيم عامر ومن معه ليسوا ثورة مضادة ولا عملاء ولا خونة وهم قطاع كبير من الثورة الام الاصيلة بمبادئها الستة .. وسمى الاتهام بمحاولة الاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة .. والمحاولة هى شروع فى عمل ولم يضبط أحد بالقرب من القيادة أو وهو يشرع فى أى عمل !

فهناك افتراض بمحاولة ويجب أن يكون هناك أيضا افتراض بنجاح

المحاولة وهذا ما حدث فعلا وافتراض ثالث بنتائج هذا النجاح فى هذه المحاولة وهو ما حدث أيضاً !!

اذ كان الاتهام أن هذه المحاولة كانت ستفرض على عبد الناصر مطالب ليقبلها ..

فهناك اعتراف صريح بأنه لا يوجد انقلاب أو اجراء مادى ضد عبد الناصر ..

فلم يكن الامر اذن يستحق التحفظ أو اعتقال الا من سيحاولون وينجحون ويملون مطالب على عبد الناصر ! فلا يجب اعتقال المدنيين أو العسكريين الذين لا صلة لهم بالمحاولة ويمكن اعتقال هؤلاء أو بعضهم بعد اعتقال زعماء المحاولة والتحقيق معهم .. ثم اعتقال الذين ذكرت أسماؤهم فى التحقيق .

ولكن الذى حدث أن عبد الناصر أعد كشفا بعشرات الاسماء من الذين يريد تأديبهم أو لا يستلطفهم أو لاى أسباب شخصية لا صلة لها بالمحاولة بل أن منهم من لا يعرف عبد الحكيم عامر وبداهة لا يعرف ما هى هذه المحاولة !

ثم ألف هذا الاتهام فى محاولة لم تحدث وألف أيضا محكمة ومحاكمة ووقع عقوبات قبل المحاكمة ! وقد قال لى حسن خليل مدير المباحث العسكرية أثناء الاعتقال أنهم (شمس بدران وهو) عرضوا على عبد الناصر الاحكام التى سيصدرها الدجوى ضد الاخوان المسلمين قبل أن تنعقد محكمة الدجوى ! وكان من بينها الحكم على الشهيد سيد قطب بالاعدام على أن يخفف عبد الناصر العقوبة الى السجن أو العفو مع تحديد اقامة أو شىء من هذا كى يكسب شعبيا بالاعلان عن طيبة قلبه ورقته ورحمته ! ولكنهم فوجئوا بتصديقه على الحكم !

والذين لم يجد لهم عبد الناصر اتهاما حبسهم مع فرض الحراسة على البرىء (مثلى) وعلم فرضها على من شملهم الاتهام أو الحكم ! ليه ؟! كده وبس !! حد شريكه ! ولعل الذين يستهينون بأهمية سيادة القانون يتصورون أنفسهم فى مثل هذا الموقف حتى يقدرونه حق قدره .. وعلى

الذين يحنون الى العبودية يعرفون أن رضاء السيد غير مضمون وأنهم قد يجدون أنفسهم بلا حرية وبلا مال وبلا شعارات فيتخظون !!

ومن أدلة تأليف الاتهامات وتصيد لاسباب الاعتقالات التى لا صلة لها بالمحاولة وتأليف نفس المحاولة ! أن يصدر شعراوى جمعة أمرا الى ادارة معتقل القلعة باعداد وتنجيد مراتب جديدة وبطاطين وأبراش(جمع برش) للعرسان الجدد الذين سيشرفون المعتقل بعد أسبوع لان جريمة ستقع بعد أسبوع ! وطبيعى أن الامر الذى صدر لشعراوى من عبد لناصر كان قبل صدور أمره للمعتقل وقبل التنبؤ بوقوع الجريمة !!

وليس مصادفة أبدا أن يهبط وحى على محمد صادق وشعراوى جمعة فيقتسمان المتهمين قبل التحقيق وقبل معرفة أى شىء فيأخذ شعراوى جميع الابرياء الذين لا يقدمون للمحاكمة (بعد شهور)ويضعهم فى سجن القلعة باستثناء واحد هو غير استثناء لانه خاص بشمس بدران الذى رؤى ألا يبقى فى السجن الحربى الذى يشرف عليه ويحرسه الجيش وهو وزير الحربية .

ويأخذ الفريق صادق الباقين وبعد هذه الشهور يقدمون جميعا للمحاكمة ! أى أن الاحكام صدرت قبل الاعتقال هذا يقدم للمحاكمة فيسجن فى السجن الحربى وهذا يعتقل ولا يقدم للمحاكمة فيسجن فى القلعة ! وليحيا العدل !

ولقد كنت أتساءل وأنا فى المعتقل هل مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى بلدتى (مطاى) ؟! لان القبض على كعضو فى مجلس الامة وبدون اذن من المجلس لا يحدث الا فى حالة التلبس ولما كانوا قبضوا على فى بيتى فلست متلبسا بوجودى فى بيتى !! ولكن القضية محاولة الاستيلاء على القيادة اذن فبيتى هو القيادة العامة وأنا حاولت الاستيلاء عليه وضبطت متلبسا بهذه المحاولة !

وكان من بين أوراق التحقيق التى نشرت فى أدلة الاتهام أن مؤامرة المحاولة كانت تدبر فى مشتل للزهور بالقرب من بيت المشير ! وتشاء المصادفة أن أكون فى بيت المشير فى يوم ما قبل الغروب بساعة ووجدته

ينزل من بيته الى الحديقة ويأخذ منها عثمان نصار ولم يكن معتادا هذا وكلاهما بالقميص والبنطلون واتجها الى الباب للخروج فقلت له على فين؟ انشاء الله ؟ قال بنمشي رجلينا لغاية بعد الشتل بشويه وراجعين .. وفعلاً عادا بعد قليل ولكن أليست لنا عقول ؟ الا تتم المؤامرة العسكرية بين الجدران في داخل الحجرات المغلقة وتتم في الخلاء بين الزهور على مرأى من المارة من الناس ؟! انها اذن ليست مؤامرة سياسية وانما مؤامرة غرامية !

ليست مصادفات !!

وكان من نتائج مذكراته عن سر الحرب الذى هو سر الهزيمة أن بدأ عبد الحكيم عامر بعد اعتقاله يشعر بمحاولة قتله أو أنهم سيقتلونه كما قال في مذكراته الاخرى التى تمكن من تهريبها بواسطة فتى (كما علمت) من أفراد أسرته ونشرت هذه المذكرات في معظم بلاد العالم وأذيعت من محطات عديدة للدول العربية وسمعناها فى المعتقل كما أعطانى صديق نسخة منها ولكن باللغة الالمانية .. وينبرى هيكل وهيكل وحده حامل المذكرات الاولى ليكذب هذه المذكرات بطريقة مشتل الزهور والقيادة العامة التي في مطار ؟ فمصيبة الذى يتكلم وحده أنه يقتنع بعد وقت ما أن الناس يصدقونه مهما قال أى كلام ! فقد كذبها هيكل ببساطة تدخل أيضا ببساطة الى عقول الغوغائية والاطفال من حملة الشعارات فقال ان لغة المذكرات غير مصرية مما يدل على أن عبد الحكيم عامر لم يكتبها !

فنحن في مصر نقول قابلته في البيت وفى الشارع وفى عديد من الدول العربية يقولون قابلته بالبيت وبالشارع ! وبكل سهولة بلع هيكل الحقيقة البسيطة وهى أن المذكرات كتبت باللغة الانجليزية وترجمها كل بلد الى لغته الاصلية ! وهذه هى العبقريات التى عشت فى أيامها !

وليس مصادفة أن الذين تكلموا والذين يراد الا يتكلموا يموتون أو

ظروف مريبة تتطلب التحقيق (فقانون المصادفة) لا يسمح بهذا التكرار العجيب .

١ ـ أن تصر أسرة المشير على أنه لم يمت منتحرا وعقب التصحيح مباشرة ذهب حسن عامر لعصام حسونة المحامى ووزير العدل السابق وقت وفاة المشير ليطلب اعادة التحقيق فى موته ولدقة موقفه وقت الحادث واشرافه على التحقيق فقد اعتذر عن قبول القضية الا بعد شرط يطلب تنفيذه وقد تعذر على الاسرة تنفيذه لاسباب خارجة عن ارادتهم ثم أصبح هذا الشرط غير ضرورى(اذ أنه لم يكن شرطا موضوعيا) فكلفت الاسرة محاميهم الزميل السابق عبد المجيد عامر (ليس قريبهم وليس من الصعيد) بتقديم عريضة للنائب العام باعادة التحقيق وقدمها ولا يزال التحقيق لم يحفظ حتى الآن (نوفمبر ١٩٧٨) .

٢ ـ وليس مصادفة أن يموت العميد طيار أيوب الوثيق الصلة بالمشير وقبل أن يقدم للمحاكمة فى قضية (المحاولة) وينشر أنه مات بسبب انهيار عصبى والمعروف أن الطيارين أقوى الناس اعصابا هم وحراس مرمى كرة القدم ! ثم انه لم يكن متهما رئيسيا فى القضية وكان المتهم الاول شمس بدران (بعد موت المشير) يذهب للمحكمة متألقا وكأنه يذهب لحفل ساهر ! وتطلب أسرة العميد أيضا التحقيق فى أسباب موته !

وأنا أبتعد عن اسلوب يقال ويشاع ولا أذكر الا ما لدى عليه أدلة مكتوبة أو شهود .

٣ ـ وليس مصادفة أن يموت أيضا الدكتور أنور المفتى الذى كان يعالج عبد الناصر وتطلب أسرته أيضا التحقيق فى أسباب موته وتقرر أنه مات أيضا بالسم الذى مات به المشير ! وكما نشر أيضا !!

٤ ـ وليس مصادفة أن ينشر رجلا له مكانته وعلى مسئوليته عن اللواء الحناوى فى مجلة أسبوعية مصرية (السياسى) منذ أكثر من عامين أن الفريق عبد المنعم رياض لم يمت مصادفة وأن جهة مصرية (ذكرها فى مقاله) ظلت تذيع تحركاته والمواقع التى يزورها حتى أصيب من

قنبلة اسرائيلية ونقل فى عربة اسعاف للعلاج وظلت تلك الاذاعة تذيع تحركات عربة الاسعاف !

ثم يذهب عبد الناصر الى القيادة العامة ويكون موجودا فيها اللواء الحناوى صديق الشهيد والفريق محمد فوزى ويطلب عبد الناصر عدم اذاعة الخبر لبعض الوقت ويذاع على انه حادث سيارة ثم يسمعون الخبر يذاع من اذاعة لندن فيذاع الخبر !!

ويقول اللواء الحناوى ان الفريق عبد المنعم تكلم فى الاردن عن مسئولية الهزيمة (وعدم ملاءمة هذا الوقت للحرب) وكان معه بعض الذين اعتقلوا وحوكموا فى قضية المحاولة مع المشير والذين سبق لهم (الكلام !!) وقال بعضهم (طيب ما هو الفريق رياض تكلم زينا اشمعنى احنا ؟! وكان ما كان !

وليس مصادفة أن يجمع علماء النفس والاطباء المتخصصون أن الذى يحاول الانتحار مرة لا يحاول مرة ثانية ولا يحاول بالطبع مرة ثالثة والمصيبة أن ينتحر فعلا فى المرة الثالثة كالمشير !

وليس مصادفة ألا يحفظ التحقيق على أنه انتحر فعلا ولكن لانه لا توجد أدلة على انهم انتحروه ! كما ذاعت نكتة فى ذلك الوقت ووصلتنا فى المعتقل وتدل على ذكاء المصريين الذين يستغفلهم العباقرة كما تدل أيضا على الشك الذى يوجد دائما عند من يحكمون (ديكتاتوريا) فكان يقال فلان مات أو لسه بينتحروه !!

وليس مصادفة أن يدرس فى احدى كليات الطب (وأعتقد أنه لابد أن يكون فى جميع الكليات) وكما قال لى حسن عامر وهى المرة الوحيدة والمعلومة الوحيدة التى يساعدنى بها حسن أو أحد من الاسرة وبدون قصد فى تأليف هذا الكتاب أو فيما نشرته عن أسرار الحكم الناصرى (وسأنشره باذن الله فى كتاب أو كتب) قال لى حسن أنه يدرس أن السم الذى تناوله المشير ليس مما ينتحر به الانسان بتناوله بيده وانما يوضع فى شىء ما !

وليس مصادفة أن من غير المعقول أن المنتحر (كما يقول أيضا بعض علماء النفس) يفكر فى (المزاج !!) عند شروعه فى الانتحار (وكان

مزاج المشير) فى أنه يحب شراب الجوافة فوضعه (أى المشير !!) فى هذا الشراب ليعدل المزاج قبل ان نموت !! كما قيل أيضــــا بالنسبــة للحشيش والافيون أى أن الرجل الذى جده من أولياء الله ويسمى سيدى أبو الليل وضريحه فى بنى مزار وكان يقام له مولد سنوى لابد أن يموت ويلقى ربه وهو مسطول !!

٥ ــ وهذه المصادفة الاخيرة تقول إن عبد الناصر حقق مع المشير وأمر باعتقاله وفى نفس اللحظة تتحرك كل قوات البوليس فى كل مدن وقرى الجمهورية لتعتقل أكثر من ٢٠٠ مواطن وتعرف عناوينهم لحظة الفكرة (الطارئة) على عبد الناصر باعتقالهم ومنهم من اعتقل فى غير بيته وفى أماكن لم يعتدها وغير معروفة .. فهل اتسع الوقت بعد قراره باعتقال المشير لكى يملى هذا العدد الكبير من الاســـماء ومناقشاته مع المشـــير استمرت حتى الهزيع الاخير من الليل .. ويمليها على من ؟ لقد كان فى بيته !. ثم يأخذها من أمليت عليه ليتصل بشعراوى جمعة ويمليها للمرة الثانية عليه .. ويســتيقظ شعراوى ليمليها على المســـئولين فى وزارة الداخلية للمرة الثالثة !!

بينما الذى حدث هو أنه بعد دخول المشير من الباب الرئيسى لبيت عبد الناصر وتجريده من سلاحه كانت هذه القوات بما لديها من تعليمات (ولا مواجهـــة أو تحقيق ودبا ولو) تتجه الى المعتقلين المراقبين للقبض عليهم حتى أنه بالنســـبة لى مثلا حوصر بيتى فى البلد وبيتى فى الدقى ولما لم يجدونى فى بلدى اتصلت المنيا بالقاهرة ليأخذوا ابنى الطــالب رهينة فى دار المباحث العامة بالدقى حتى يعتقلوا موسولينى الجديد ؟! وحتى لا يوجد شىء واحد لا حضارى ولا أخلاقى يخلو منه حكم عبد الناصر الخالد !.

العمولة الاخيرة !!

فى صباح يوم الاربعــاء ٢٤ أغسطس اتصــل بى الزميل (ع . أ) وهو عضو سابق فى مجلس الامة ومن الوجه البحرى وسألنى ان كنت

مستعدا لاستقباله ليشرب معي فنجان قهوة .. وأجبته بأهلا وسهلا تفضل فى أى وقت .. وكان الزميل ممن لهم صلة بجهة من جهات معرفة الاخبار فظننت أنه علم بصلح عبد الناصر وعبد الحكيم وأن أول الغيث هذه الزيارة ثم تأتى الوفود للتهنئة !!

وقال الزميل انه معه ضيف من رومانيا ! وكدت أقول له النكتة المشهورة عن الصعايدة (ولد مين فى رومانيا ؟) ولكنى قلت له وايه الصلة يا فلان بين الرومانى والمنياوى ؟!

قال ان الضيف الرومانى جاء ليعقد صفقة بترول بين مصر وبلاده ! قلت فى دهشة يشترى بترول أو يشترى بطاطس وأنا مالى ؟ قال الزميل يا أخى وسع مخك شويه .. دى فيها لقمة عيش كويسة لى ولك ! الخواجة عارف انك صاحب حسن عامر رئيس مؤسسة البترول !

قلت عايز تقول انهم فى رومانيا عارفين انى صاحب حسن عامر ! فطلب منى أن أصحى من النوم اذا كنت لم أفق بعد فانه هو الذى قال للخواجة هذا الكلام وأنه بمجرد زيارته لى ومعه الخواجة الرومانى تتم صفقة عمولة معتادة ومعروفة !

وأقسم انى لم أكن أعرف حتى هذا الوقت أنه يمكن لانسان ان يكسب مبلغا محترما بدون جهد وبمثل هذه البساطة والسهولة بتقديم تاجر أو وسيط فى صفقة لصديق لرئيس مؤسسة ما !

كما دهشت لغباء الزميل الصديق اذ لماذا لا يقدمه لاى واحد غيرى والخواجه لا يعرف أحدا سواء كان شفاطا أو غير شفاط ؟!

ولان للصديق مكانة كبيرة فى قلبى أمكن (زحلقته) بأن وعدت أن أقابله فى نادى الزمالك فى المساء ولم أجد غير هذا الاسلوب المهذب فى الزحلقة فالزميل كان صاحب مكتب استيراد وتصدير وكانت منتشرة بين أمثالنا وبلا استيراد أو تصدير !

وفى المساء كنت فى بيت المشير وقال لى مصطفى عامر انه سيعود للبلد الليلة وسألنى ان كنت أسافر معه ونعود بعد أيام فوافقته وقبل وصولى الى باب حديقة البيت طلبت منه أن ينتظرنى قليلا وقلت له (أصلى

على الراجل قبل ما أسافر) ولا أدرى كيف خطرت لى هذه الرغبة ونفذتها فالسفر الى المنيا لا يحتاج لوداع فهل هو شعور خفى بأنه وداع أبدى وليس كأى وداع ؟!

ولم يكن هذا النداء الداخلى الخفى هو وحده العجيب فبعد نزولى من بيتى بعد أخذى حقيبة ملابسى عانقت ابنى الاكبر على غير العادة أيضا وقلت له (خد بالك من اخواتك انت كبرت وخليك رجل البيت !)

وبعد خروجى من المعتقل قابلنى الزميل صاحب العمولة وكان من النادرين الذين لم تتغير علاقتهم بى وقال لى انه ذهب الى مؤسسة البترول فى صباح السبت لما عرف انى سافرت وكان زميلا لحسن عامر ولى فى سنة ١٩٥٧ .. وقال له سكرتير حسن بعد انتظار طويل انه لن يأتى ولا يدرى متى يأتى ؟! ذلك أن حسن كان فى هذا الوقت فى المعتقل !

لقد رأيت أن أذكر آخر يوم لى فى القاهرة وآخر عينة وفى الايام العصيبة ليتأمل القارىء كم من مئات العينات كانت فى أيام الاضواء ؟! ولاسأل هل لو كنت من (الهياشين) كنت دخلت الحراسة ؟! والجواب لا أعتقد فالحراسة لم يدخلها غير الشرفاء !! فقد خرجت مع ١١٤ حالة ولم يكن واحد منهم غير شريف أو من مئات الهياشين الذى أعرف منهم الكثيرين !! وأرجو تكرار انى على استعداد لنشر أى اسم أكتبه بصفة المجهول متى طلب منى هذا النشر !..

تليفون المشير عطلان !!

وصلنا اسطال قرابة الساعة الثالثة صباحا وأزعجنى كما أثار دهشتى أنى وجدت اثنين من البلد ينتظران مصطفى وجلس الثلاثة يعدون كشفا بأسماء الفرقة الجديدة من حرس الجلاليب التى ستسافر الى القاهرة لتأخذ دورها فى الحراسة وتعود التى هناك بالاجازة كالمعتاد .

وتركتهم ودخلت البيت لانام ولكنى رحت أستعيد هذه الاعاجيب الجديدة .. فقد لاحظت فى الطريق اكتئاب مصطفى فقلت له أنى لم أعد معه الا لكى تضحك بعد انتهاء الازمة وكما كنا نفعل من قبل لا من

السعادة ولكن من القرف ! وانه ليس هناك ما يسبب قلقــه فالمشير سيتناول العشاء مع عبد الناصر بعد باكر ويسافران فى صباح السبت الى الخرطوم .. وان هذا الاتفق ليس كالذى يحدث بين الافراد العاديين يمكن أن يلغى أو يتغير .. فلا بد أن يكون معروفا من زملاء المشير ومن رئيس الوزراء وكذلك أمين الجامعة العربية لاخطار الخرطوم بأسماء أعضاء الوفود .. حيث يتم اعداد أماكن الاقامة حسب المناصب وأسماء أعضاء الوفود .

وتظاهر مصطفى بالاقتناع وراح يضحك ضحكات صفراء من تهكمى من أعصابه الضعيفة التى تسبب له هذه الوساوس السخيفة ! استعدت هذا وحاولت أن أفهم سبب استمرار اعداد هذا الحرس بعد أن انتهت مهمته .. وازداد عجبى من هذا التصرف لانى لم أعش أيام القصة على هامشها أو متفرجا أو أسمع كلمة من هنا وكلمة من هناك وأكون منهما جملة مفيدة أحاول فهمها واستنتاجها .

وخرجت من تفكيرى بتقدير أن المشير لم يأمر بانهاء مهمة الحرس وترك الامور تجرى عادية كى يبقى أمر الصلح فى طى الكتمان ! الى أن يفاجأ به الناس منشورا فى الصحف !

وفى اليوم التالى (الخميس) حاول مصطفى أن يستبقينى ولكنى قلت له انى لا أحب التشاؤم وانى أيضا سأحاول (أن أشوف شغلى) وطلبت منه أن يرسل لى عربة فى مساء الجمعة كى أجىء عنده ونحتفل بانتهاء الازمة ونظل على اتصال ببيت المشير حتى تقله طائرة عبد الناصر ويطيران معا الى الخرطوم .

وعشت حياتى العادية فى بلدى فى يومى الخميس والجمعة وأرسل لى مصطفى السيارة وأخذت وكيل أعمالى معى لنبحث مع مصطفى فى زراعة بعض أرضى بالعنب الارضى وكانت هذه الزراعة موضة تلك الايام ولو تأخر اعتقالى شهرين فقط لبقيت لى تلك الارض ولم تلتهمها الحراسة وتؤجرها بملاليم والى الابد !

وسار السائق فى طريق جانبى لا تسير به السيارات عادة فى

الليل ولم أسأله عن السبب الا بعدما توقف لنفاد البنزين وقد اختار هذا الطريق كى يوفر فيه .

وقلت للرفيقين لا ضرورة للانزعاج أو التفكير فليس أمامنا الا النوم هذه الليلة هنا .

وقد يقلق مصطفى ويبحث عنا بسيارته ونعود معه .. وبعد ساعة قال وكيلى المتدين فرجت والحمد لله .. فقد رأى ضوء سيارة قادمة ولما وصلت عندنا توقفت وفوجئت بأنها سيارة حكومية وملأى بأفراد من حرس الجلاليب ! سيارة حكومية تنقل أفرادا لمقاومة الحكومة ! ونزل السائق ونقل الى سيارتنا كمية من البنزين وواصل سيره بحمولته الى القاهرة .

ولما وصلت لعزبة خديجة عند مصطفى رأيت خفيرين خاصين بسلاحهما يحرسان الكوبرى الصغير الذى يصل ببيت مصطفى ومزرعته بالطريق الزراعى .. وكان مصطفى يجلس بعد الكوبرى أمام البيت وبجانبه بندقية !

وضحكت من هذا الذعر الذى سأتخذه مادة لا تنتهى للتهكم من الصديق الذى لا يفهم السياسة ويفكر بطريقة بدائية !! وقلت له يا ابنى ايه اللى بتهببه ده احنا فين ؟! أطلب العشاء وخلى الخفيرين دول يروحوا يناموا الا اذا كنت عايز تعيش فى مغامرة خيالية ؟!

ولكن مصطفى لم يطمئن وظل قلقا حتى هددته بالانصراف والعودة الى بلدى فطلب منى فجأة أن أنظر الى الطريق الزراعى فرأيت (بوكس حكومة) يحمل جنودا ومر بنا وعاد بعد قليل ومر مرة أخرى ثم عاد .. ثلاث أو أربع مرات ثم اختفى !

وقلت له انها مهمة محلية عادية لضبط سلاح أو أشقياء !

وعند منتصف الليل حاولت أن أبدد قلق مصطفى الذى بدأ يزعجنى لا لأنى كنت أخشى شيئا ولكن لانى أكره جو التوتر والاكتئاب .. فقلت له أطلب بيت المشير علشان تطمئن وتريحنى .. وهنا لم يجد

مفرا من الافصاح عن سبب قلقه فقد طلبه قبل حضورى ومضى أكثر من ساعتين وموظف الترنك يقول له النمرة لا ترد !!

وبكل بساطة قلت له لازم فيه عطل فى الخطوط ! أشياء عادية صادفتنا مائة مرة ولم تزعجنا وهنا أضع علامات استفهام كبيرة ·· فهل كان عند الادارة المحلية وعند وزارة الداخلية علم بما سيحدث للمشير ولنا ·· وهل قطعوا خط تليفون بيت المشير واتخذوا الاجراءات الاخرى بعد تركه البيت مباشرة حيث توجه لتناول العشاء الاخير ؟! لا أدرى ولكنه الارجح بحكم العقل والمنطق ·· وفى الساعة الواحدة أعاد المحاولة وأعدناها فى الثانية والتليفون لا يرد وازداد قلق مصطفى ولم تنقص ثقتى بأى قدر فى أنها مصادفة فليس عجيبا أن يتعطل تليفون المشير ·

زائرو الفجر !!

وفى الساعة الثانية والنصف قلت لمصطفى وعامر (الذى كان رحمه الله سرحان فى العالم المجهول أو حياة انلا معقول) أنا نعسان تعالوا وصلونى وتشموا هواء وان شاء الله بكره أنام لغاية الظهر ··

وقاد مصطفى عربة المشير المرسيدس السوداء وكنا عدنا بها من القاهرة حيث ترك سيارته فى بيت أخيه لسبب لا أدريه ·· ووصلنا بلدى حوالى الثالثة وكان يصل بيتى من الطريق الزراعى طريق قصير من أسوأ انطرق فى كل بلاد المركز ويغرق معظم الايام لانخفاضه عن الارض الزراعية ولا تستطيع أى سيارة فاخرة المرور به الا حينما كنت أمهده على نفقتى الخاصة وكان هذا موضع نقد من جميع المواطنين اذ أن بعض أعضاء الاتحاد الاشتراكى يمهد مجلسى المدينة والمركز لهم طرقهم المؤدية لبيوتهم وبعض الزملاء رصفت لهم الدولة الطرق المؤدية لمساكنهم بحجة انها طرق تعد لزيارة الآثار أو لصالح الامن أو الصحة فما أسهل التبرير ؟!

وكنت أجد راحة نفسية لابعاد الدولة عن حياتى الخاصة !!

انه قدرى وليست غفلتى التى صورت لى وجود حياة لمثل هذه المبادىء الخيالية السخيفة !

وقلت لمصطفى كفاية لغاية هنا أحسن عربية أخوك تنكسر وحيرجع الحكم بكره ويحبسني !

وسرت الى بيتي ولا أدرى ما الذى جعلني أشعر بحزن بسبب السؤال الصعب من أسئلة الامتحان القاسي الذى كانت الاقدار وضعته لابدأ الاجابة عليه ! وهو هدم بيتي ؟

وعند بداية سور الحديقة رأيت جندى بوليس واقفا على قرب منه جندى آخر ولم يخطر فى ذهني أى خاطر غير عادى وظننته جندى حراسة عادية يتسامر مع زميل له لقتل الوقت !

ولكنني بعد أن رأيت بين كل جندى وجندى جنديا ثالثا وحول السور ومن جميع الجهات أدركت أن عبد الناصر عملها !!

وقال لى أحد الجنود تسمح ؟ وسار أمامى حيث كان للحديقة ثلاثة أبواب ولم أعرف من أى باب يريدنى أن أدخل بيتي ؟! فسرت خلفه فى دهشة واستسلام وفوجئت بمنظر عربة ملأى بالجند .. وحمدت الله اذ أن القرية نائمة وكل العشرين ألف من أطفالها ونسائها ورجالها أهلى وأقربائى .. ولو لم يكونوا نائمين لتظاهروا وقاوموا وودونى فى داهية جنائية لا اعتقالية ! فالمشير يقاوم عبد الناصر معلهش .. ولكن أنا لو قاومته أبقى مجنون !

وكانت الحديقة ممتلئة بضباط وجنود وسط أنقاض وأتربة ومناظر خرابة جعلتهم فيما يظهر يتأثرون ويبدو عليهم الحزن والخجل .. وكانوا جميعا كرماء ما عدا واحدا كان يجلس ويضع ساقا فوق ساق ولا يقف عند دخولى أو يعبأ بى وأنا ما زلت أشعر بأنى فى بيتي ! فقلت لأقرب ضابط مين الافندى ده ؟ قال ده نائب المأمور الجديد فوجهت له كلامى وقلت له طبعا لو سألتك عن الحصانة البرلمانية ح اتقول لى أنا عبيد المأمور ؟! احنا كمان كلنا عبيد المأمور ! تحبوا تشربوا شاى أو أجيب شنطتى ؟! قال ضابط مهذب بعد اذنك بلاش الشاى !

معاملة ممتازة !!

وجلست فى السيارة بين ضابطين وقادها أحدهما وقال لى الثاني في

تأثر الحاكم مالوش صاحب .. قلت له ده مثل قالوه أيام الاتراك باعتبار أنهم أغراب ما تعرفش مثل جديد ؟ قال بعد اللي شفته عايزني أوصلك ولا أرجعشي ؟!

وكنت كونت رأياً بالنسبة لما حدث وما سيحدث فاعتقدت أن جمال وعبد الحكيم اختلفا بسبب ما سيبحث في مؤتمر الخرطوم أو لاى سبب آخر وأن الوقت لم يتسع لعلاج هذا الخلاف ورأى جمال أن يسافر وحده وبسبب توتر أعصابه نتيجة عمليات التهويش التي حدثت في الايام الاخيرة ولكي لا يحدث في غيابه ما يخشاه فانه قرر تحديد اقامة عبد الحكيم في مكان ما (وبموافقة عبد الحكيم ورضائه ؟) ولكي لا ينتشر النبأ رأى أن يجمع كل المتصلين به في مكان واحد أو في أكثر من مكان حتى يعود وتسوى المسائل في فسحة من الوقت وبغير انفعال ثم يعتذر عما حدث !

اننا عادة حينما نفكر في قرار أو اجراء نجهله .. نضع أنفسنا في وضع صاحب القرار أو الآمر بالاجراء فتصورت أن الذي يتخذ ضدنا هو اجراء مؤقت ومعه أوامر مشددة بأرق وأكرم معاملة كما أن اقامتنـا ستكون اما في بيوتنا أو أن كل مجموعة تقيم في بيت أحدهم أو ننزل جميعا في أحد قصور الضيافة !!

ولكن الاجراءات الطائشة التي رأيتها كادت تفسد تقديري للموقف فقد قطعت القوة التي كانت في بيتي أسلاك التليفون لتمنع الاتصـال بقواتي المسلحة التي أعددتها للمقاومة .

ووقف جندي بوليس يحرس خزينة النقود وقد أمرت باعطائهم مفتاحها الذي لا أحمله وفوجئوا بأن فيها ثلاثة قروش وليست بالعملات الصعبة ! ثم يعثروا أوراقي الخاصة في حجرة نومي وفتشوها تفتيشـا سخيفا ولا يمكن أن يعتبر هذا معاملة كريمة !

وقلت للضابط المرافق لنا أنتم نسيتم ترفعوا البصمـات ؟ قال بصمات مين ؟

قلت بصمات القاتل ! قال في دهشة قاتل مين ؟! قلت قاتل أي

حاجة !! يعنى لازم أكون متهم بقتل سيناء مثلا أو قتل إنسان ما والا ايه شغل الروايات والإفلام ده !!

قال الحمد لله إنتم أول ناس نعتقلهم ويكون عندنا أوامر نتصرف معاهم تصرفات إنسانية قلت أمال التصرفات غير الإنسانية ح تكون ايه؟! قال مسألة المعاملة مسألة تقديرية لكن فيه اختلاف في المعاملة فيه ناس زيكم مطلوب معاملتهم معاملة (أ) وفيه (ب)وفيه والعياذ بالله (ج)!!يعنى أنتم عاملناكم معاملة ممتازة .. قلت له كتر خيرك .. دلوقت أقدر أرتاح للتقدير إللى قدرته .

سجن العائلات !!

ولم تأت سيارة المعتقل الا فى الظهر وكانت تشبه سيارات الموتى فلها شاسيه كاديلاك أسود وموتور موتوسيكل من تلك الموتوسيكلات المائة (تقريبا) التى كانت تتقدم موكب عبد الناصر كأول تقليد عرفناه وقتها وانبهرنا به ٠٠ حتى قيلت النكتة الشهيرة ٠٠ عندما كان عبد الناصر فى رحلة داخلية فى طائرته الخاصة وقال أحد المتفرجين لزميله شايف طيـــــارة الريس ؟ قال له ٠٠ لا مش دى ! الثانية قدامهـــا موتوسيكلات !

واخذ مصطفى الامور بجدية وضيق وتأثر .. أما عامر وأنا فكنا كأننا فى طريقنا الى القاهرة لتشييع جنازة أحد المعارف ممن يأتون للحيـــاة وينتهوا ولا يحسنون اليها أو يسيئون ٠ وفى رحلة عذاب استرحنا فيها فى بنى سويف لنأكل فول وطعمية وبصل أخضر وأصبحت كأنى ابتلعت علبتى منوم وزاد الشعور بالنوم حتى كان كالشعور بالموت والعيـــاذ بالله ٠٠

وقال لى مصطفى اننا سنذهب الى شارع حشمت بالزمالك حيث تجددت اقامتنا هناك !

قلت له مش قلت لك إنه مش معقول يعتقلونا زى الناس التانيين؟ فكها بقى يا عم وبلاش غم !

وتذكرت حياتنا الماضية وأن هذه الايام ستكون امتدادا لها فقد تصورت أن اقامتنا حدثت فى بيت حسن عامر فهو يقيم فى هذا الشارع وكنا نعيش ولا حديث لنا اذا التقينا نهارا فى غير المتاعب والهموم بينما كان الناس يظنون اننا ندير مستشفى لعلاج المتاعب والهموم !

ولما كنا كأغلب الخاطئين نعتقد أن المتاعب والشجون لا يزيلها الا الخمر فقد كانت زجاجة ويسكى تتوسط مائدة عشائنا واذا لم تكن فى بيت أحدنا فانى اقترحت وصممت على تنفيذ الاقتراح الاشتراكى كما سميته وهو أن توزع تكاليف السهرة على المشتركين فيها .. فقد كان يحدث أن يكون من بين الحاضرين من يسعده أن يدفع كل ليلة ثمن صندوق ويسكى وجيبه لا يهتز وكأنه يطلب واحد قهوة لاحد أصدقائه ! وكان يستحيل أن آكل وأشرب مجانا كل ليلة ثم أتحدث عن المبادىء والنظافة الا اذا كنت أحد أحفاد راسبوتين !

ولم أتصور أن الحياة ساءت وفسدت الى هذا الحد اذ بعد خروجى من المعتقل لم يزرنى واحد من شلة المخمورين ولهم عذرهم فهم يخفون خجلهم فى كئوس الخمر ولكن ما هو عذر عدد ليس بالقليل من أصدقاء أنقياء صالحين أحبونى وصادقونى وأنا أشرب الخمر ثم ابتعدوا عنى وتنكروا لى وأنكرونى بعد أن تبت وعدت كواحد منهم ؟!

وقلت لمصطفى حسن جاب طباخ جديد ونجيب صندوق ويسكى وندرمغ ليل ونهار لغاية مايبيجى عبد الناصر من السودان ويسيبنا ! لكن ده يبقى اسمه اعتقال ؟! يا خسارة حتى الحدث التاريخى اللى كنت ح أختم به حياتى ضاع !

قال مصطفى أنا مش ح انزل معاكم وان حبيت تيجى معايا تعالى! قلت له آجى فين أحسن من الزمالك ؟ قال أنا اتفقت مع السواق يفوت من أمام بيت المشير ويهدىء السرعة لآخر ما يقدر وح انط فجأة من العربية وانت معايا ان حبيت وبعدين الحرس ح يمنع أى واحد يحاول يقبض علينا أما عامر فراكب بين الضابطين من الخلف ومايقدرش يقفز علشان سمين معلهش يروح هو معاهم !

ولا أدرى حتى الآن كيف غاب عن مصطفى وتفكيره منظم وذكى أن عبد الناصر لا يعتقلنا الا اذا اعتقل المشير فليس لنا وزن نحن ولا غيرنا ولا يخاف أو يعمل لنا أى حساب ولكنها عمليات انتقام وتأديب وتخويف فبعد اعتقالنا لن يجرؤ مصرى على فتح فمه إلا عندما يتثاءب .

وناقشت معه هذا القرار كأنه قرار عاقل وحكيم .. قلت له انت مش شايف العربية اللى ورانا محملة بالعساكر ومدججة بالسلاح مافيش عسكرى ينش كل واحد منا رصاصة ويخلص ؟! عايزنى أهرب من الاقامة فى الزمالك علشان أموت فى شارع الطحاوى وعلى باب بيت أخوك ؟!

وسخر من تفكيرى وقال انت فاكر الدنيا سايبة ؟ قلت له هى لسه ماسابتش ؟ قال ما عندهومش أمر يضربونا كل اللى ح يحصل انهم ح يحاولوا يمسكونا باليد وقبل ما يفوقوا من المفاجأة نكون جوه البيت!

قلت له يظهر انك عايز تموت فى مغامرة روائية .. أما أنا فطول حياتى أحترم القانون وأمشى فوق الرصيف ومش مستعد أغير أسلوبى فى الحياة .. قال قانون ايه ؟

هو انت قبضوا عليك بالقانون ؟! قلت قبضوا على بالقوة وما دام ماعنديش قوة أقاوم بها خلاص لتفعل بنا القوة ما تشاء أفرادا وجماعات زى ما قال سعد زغلول !!

وألقى على نظرة ساخرة وقال خليك انت ابقى أخطب فى السجن لما تشبع وادخل جنب السواق أول ما نركب وسيبنى أنا من بره !

واستبدلنا مقعدينا وسار السائق فعلا فى اتجاه بيت المشير وهدأ من سرعته وكانت المفاجأة التى لولا قسوتها لاستغرقت فى الضحك !! فقد ذكر سائق السيارة هذا الاتفاق للضابطين فطلبا منه أن ينفذه لان المشير أيضا معتقل !

وكان مصطفى الوحيد الذى فوجىء باعتقال أخيه ! كانت الحراسة حول البيت مكثفة وبأضعاف القوة المعتادة التى كانت تحرسه ولم يكن من بين الجنود أو الضباط أى وجه من الذين نعرفهم .. والبيت غارق فى سكون مخيف هو والشارع والشوارع المجاورة فقد كانت الساعة تقترب

من السادسة مساء بالتوقيت الصيفي والجو ملتهب والجيران شـــاهدوا الاعتقال والتفتيش وحرق بعض الاوراق التى قيل أن من كانوا فى البيت حرقوها بأمر شمس بدران •• وخيل لى وقتها أنى رأيت فى شـــارع النيل آثار معركة ولا أدرى ان كان هذا وهما أم حقيقة •• وقلت لمصطفى شفت انك كمان طلعت بوليس سرى خايب ! الســـواق مش مجنون يتحبس بارادته مع اللى بيوديهم السجون •

ووقفت السيارة فى شـــارع حشمت أمام قصر فاخر من طابقين يتوسط حديقة زاهرة ومنسقة وفي مكان هادىء وجو شاعرى جميل !! ولعنت فى سرى كل الذين تحدثوا عن عبد الناصر ومعاونيه بسوء فى الشهور الثلاثة الماضية !.

اننا لا نعرف الحقيقة إلا عندما نعيش فيها ههه ها هو الرجل رقيق ورءوف لا ينسى العشرة ولا يتنكر لاصدقائه •• وشعراوى جمعة أيضـا الذى أسأنا به الظن والذى لا بد أن يكون صاحب إقتراح اقامتنا فى هذا القصر اذ يعلم أننا لم نذهب للمصيف ولا ذقنا طعم الراحة فى تلك الايام العصيبة •• إنه رجل يعيش بفكر عصرى مهذب وكريم !.

وصعدنا الى الطابق الثانى وأسرعت الى دورق ميـاه مثلج لاطفىء شيئا من لهيب الطعمية والفول •• وألقيت نظرة على حجرة النوم ووجدتها كاملة ورائعة النظافة فاتجهت الى دورة المياه لاطمئن إلى نظافتها فهما كل ما يهمانى بالنسبة للاقامة •• ووجدت أنهما لا يقلان فى مستواهما عما فى أفخر فنادقنا السياحية •:•

وكان مصطفى قال لى إنه علم أن فى الدور الارضى حســـن عامر وشمس بدران وحسن حسين صهر الدولة أى صهر الرئيس ونائبه الاول •:• وقلت للضابط الذى إستقبلنا أنى لا أريد العشاء ولا أى شيء غير النوم وأرجو أن يدلنى على حجرتى المخصصة لى وفوجئت به يقول انه ليس عنده غير سريرين ونحن ثلاثة !! قلت له معلهش إحنا نتصرف المهم تسيبونى أنام ! وقال الضابط أنا آسف ماعنديش هنا غير اسمين عامر محمد عامر ومصطفى على عامر !. قلت عال !! يبقى أنا مش معتقل ••أروح أنام فى بيتى !

وفوجئت به مرة أخرى يقول آسف حضرتك ح تروح القلعـــة ! وقلت في هدوء قلعة مين ؟ إذا ماكانش اسمي عندك يبقى خلاص ح انزل أروح الدقي لاني جيت معاهم غلط !!

وتدخل ضابط المنيا وقال إسمك في الكشف وهنـــا التوزيع ! وضقت بهذا النقاش وقلت ما تفهموني إيه الحكاية ؟ اسمي هنا ومش هنا •• وقلعة •• وتوزيع •• أنا معاهم والا مش معاهم ؟ ان كنت معاهم سيبوني أنام •• مش معاهم سيبوني أروح !!

وبعد أن شرحا لي الموقف قلت لهما •• أنا ماليش دخل باجراءاتكم أنا مش منقول من هنا الا لبيتنا أو لجبانة الغفير !

قال عامر وقد أراد حلها بالطرق الريفية •• خليك انت مع مصطفى وأنا أروح القلعة ! •• قلت له بحدة بلاش الكلام ده يا عامر أنا عايز أتفرج على المبادىء !!

اذا كانت المسألة مسألة طبقية وعائلات ثورية وعائلات غوغائية ففهموني قوانين شجرة العائلات الجديدة علشان على الاقل أبقى اشتراكي غوغائي ؟!

قال ضابط هذا القصر المسألة مش كده آ ولم أتركه يتم كلامه وقلت له أنا اشرح لك المسألة ان كانت عايزه شرح •• أعضاء مجلس الامة رسميا بييجي ترتيبهم بعد الوزراء فاذا كانت الفيلا دي مليانه وزراء فأنا وعامر زملاء وترتيبنا واحد وان كان فيه أفضلية تبقى لصـــالحي لأسباب في تنظيمنا •• ومصطفى رئيس مدينة وأتقدمه بمسافة أكثر من اللي هنا للقلعة يبقى ح تشرح ايه ؟ لكن كلامي ده مش معناه انكم ضربتونا ببعض •• لا عند اللزوم أنا أتنـــازل عن بدلتي لهم لكن أنا باثبت حقي وباثبت إنه مافيش مبادىء آ

وقال ضابط المنيا لضابط القاهرة ما تكلم حسن بك ؟ واتصـــل الضابط باللواء حسن طلعت مدير المباحث العامة وعاد يقول انه لم يجده وأنه سيتصل بحسن بك في القلعة •• وعرفت أن حسن بك الثاني هو اللواء حسن أبو باشا الآن وكان برتبة عقيد ويشرف على معتقل القلعـة ويسمى بالمفتش وشعرت بغيظ وضجر خاصة والنوم يجعلني لا أكـاد

أستطيع فتح عينى فقلت له متهكما واذا ماكانش موجود كلم جسن بك عامر أو حسن بك حسين !!

وبعد عدة اتصالات لا أعرف مع من جرت عاد الضابط يقول ان آخر تعليمات أن نذهب نحن الثلاثة الى القلعة !!

وشعرت مؤقتا بارتياح كأنى نجحت فى اصدار قانون بالغاء إمتياز العائلات !

فندق القلعة العجيب

غادرنا هذا القصر الذى كان أحد القصور المصادرة كما علمت فيما بعد ثم أخذته المباحث العامة لتقوم فى هذا الجو الشاعرى بهذه الاعمال الخطيرة والجليلة !.. والذى مررت به عشرات المرات فى زيارتى لحسن أو عند توصيله لبيته فى معظم الليالى ولم يلفت نظـــرى أو أتخيل أنه سيستضيفنى ساعة من الزمان وأنى سأرى فيه مذبحة مبدأ من المبادىء العديدة التى رأيتها وهى تذبح !

ولا شك أنه بيت أميرة أو أمير أو أحد أبناء الذوات وكنت أحسب أن هذه الالقاب والصفات ألغيت ولكنى أفقت عـــلى أنى لم أكن من أبناء الذوات قبل الثورة ولا من أبناء غير الذوات بعد الثورة !

وأحسست بخجل من الصديقين ولم أكن أنانيـــا أو أريد أن يشاركانى المجهول الذى ينتظرنى ولكنها المبادىء الكثيرة فى حياتنا والتى لم يصغها أحد وللاسف فى شعارات لان الشعارات تدوســـها وتنتهكها فهى شعارات دجل وهذه مبادىء لجميع البشر ومنذ الازل نرى هـــل كل واحد منا يولد ومعه مبادئه التى يعتنقها ويتمسك بها وغالبا تشـــقيه ؟ ولا أريد الغوص فيما لا أستطيعه ولا أريده ولكن الذى عرفته من خبرتى فى الحياة أنه لا يوجد مبدأ كرامة أو أخلاق يفيد صاحبه الا فى رضائه عن نفسه وفى النهاية يريه الله آياته فيسعده بمبادئه .. ولولا تمسكى ببعض هذه المبادىء ما كان هذا الظلم أصابنى ولكنت الآن أعيش بين روث البهائم فى أكوام السماد وتربية الفراخ وتسمين العجول وهى موضـــة

السياسيين بعد اعتزالهم السياسة ولا أدرى ما هى الصلة بين السياسة والعجول ؟!

وسرنا فى طريقنا الى القلعة ولكنى لم أكن أرى الطـــريق بسبب النعاس العجيب والذى لو ألقونى فوق الرصيف لنمت حتى الصباح وأنا أحسب أنه فراش وثير ٠

وفى طريقنا الى القلعة كنت لا أزال حسن الظن بهؤلاء الاصدقاء السابقين ٠٠ كنت أعتقد أننا سننزل فى مكان ما قريب فى المستوى من مستوى قصر الزمالك الذى تركناه ٠٠ ربما فى قصر تاريخى لا أعرفه أو فندق للسائحين أو شقق مفروشة من تلك التى كنت أعرف أن الدولـة استأجرتها لاغراض لا تستعمل فيها (وعندى بعض العناوين) ٠

ولذا اعتبرت المعاملة المهذبة التى عاملنا بها الضـــابطان زكريا وعاصم الوكيل (ولم أكن أعرف أنهما ضابطان) معاملة عادية لنزلاء هذا الفندق الذى كان مدخله يشبه مدخل حمام هندى دخلته مرة ٠٠ ومن شدة الارهاق والرغبة فى النوم استجبت بلهفة لدعوة الضابط الاكبر فى الرتبة والسن زكريا لما قال لى تحب تشوف أودتك يا عمى ! وامتعضت من كلمة (عمى) هذه التى جعلتنى عجوزا قبل أن تقع الاهـــوال التى رأيتها وكانت هى العيب الوحيد فى زكريا ٠٠ فقد سرت معه وأنا لا أرى شيئا غير ملاءة بيضاء فوق فراش يدعونى للنوم ٠٠ فاستلقيت على هذا الشىء الذى لا اسم له غير السرير وقال زكريا عايز حاجة يا عمى ؟ ولو أنه شتمنى لكان أفضل عندى من تكرار كلمة عمى !٠٠ فقلت له بجفاء كتر خيرك ومش عايز حاجة غير أنام ٠٠

وفى الصباح استيقظت لارى مدير المعتقل وسألته عن الساعة مع أنها فى يدى وعرفت انى نمت أربع عشرة ساعة وبأعمق نوم فى حيـاتى وأعرف أن من القراء من يدهش للراحة النفسية التى شعرت بها بعد أن عرفت النهاية التى تصورت أنها بداية لاستقرار حياة قادمة فلا شىء فى الحياة أسوأ من القلق والخوف وانتظار المجهول الذى لا نعرف مدى قسوته ٠٠ وهذه النهاية لم تكن بالسوء الذى وجده السياسيون الذين سبقونى فان تكون نهايتى على يد صديق قال عقب الانفصال ان طعنة العدو تدمى

وطعنة الصديق تقتل .. خير من نهاية على أيدى أعداء ولم آكن أضفت بعد هذا الشعار الى غيره من الشعارات الذبيحة فتصورت أن النهـــاية ستقف عند حد هذا الاعتقال !

سألنى عايز حاجة ؟ قلت له .. خلاص أنا تنـــازلت عن تمسكى بالبقاء فى فيلا الزمالك فارجو أن يعود الصديقان الى الزمالك .. وأنا مبسوط هنا أو فى أى مكان ..

وفجعت لما قال لى ببساطة أنهما عـادا من الامس ! وكتمت غيظى وقلت الحمد لله مش عايز حاجة ! وظللت فترة فى دهشـــة من أعجب تصرف حكومى لم أتوقعه بل لم أقرأ مثله ! لماذا هذه الحركات الصبيانية واللا أخلاقية ؟ من أجل من ؟ من أجل خدعة شخص فى زنزانة ؟ هـل خافوا من مواجهتى ؟ غير معقول كانوا خافوا من إعتقالى ! .. ولا تفسير لهذا التصرف غير أنه قوة الحق والمنطق واجه من ليس عندهم صـــفاقة (اللغوصة) فى المواجهة ! فتصرفوا بهذا الالتواء .

وبعد يوم واحد من هذا التصرف العجيب عاد الصديقان الى القلعة وعاد حسن وحسن حسنين وشمس وباقى الذين كانوا فى سجن العائلات .. وقيل أن شمس شتم شـــعراوى وقيل أنه من أجل الامن .. وأى أسباب وأى شىء غير المعاملة بمبادىء معروفة !

اتهامات خطيرة جدا !!

قدموا لى فى الزنزانة ورقتين بحجم الفولسكاب وطلبوا كتـــابة معلوماتى ! معلومات عن ايه ؟ عن تاريخ حيـــاتى ؟ فهمت أن أكتب من رأيتهم فى بيت المشير .. فكتبت كل من رأيتهـــم وفى مقدمتهم شمس بدران وصلاح نصر وعباس رضوان وحسنين هيكل .. وعثمان نصـــار وجلال هريدى الخ .. وكتبت هيكل وأنا لا أعرف إن كان معتقلا معنا أم غير معتقل !

ولكن بعد أن قرأت ما كتبه فى الاهرام بعد أسبوع (قبـــل منع الصحف عنا) عن تحديد اقامة المشير والمقربين منه الذين قال عنهم أنهم

أفسدوا العلاقة بينه وبين عبد الناصر وقال انهم خمسون (وكان هـذا عدد الذين في سجن القلعة وحده) فهمت أنه غير معتقل !!

وفي المساء استدعيت لمكتب العقيد حسن أبو باشا ووجدت معه الرائد زكريا وفتح محضراً !!

وكالمعتاد الاسم والسن والعمل الخ .. وقلت أنا اللي عايز أعرف أنا هنا ليه ؟

وكان الرجل جريئا وصادقا فقال بيقولوا انه كان فيه محاولة للاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة .. قلت له انتم جبتونى من بلدى يبقى ح أعرف ايه عن الكلام ده ؟

وترك الاملاء والكتابة وراح يسألنى أسئلة لا يكتبها .. ومن أحد هذه الاسئلة تصورت أنه سيحاول أن أقول ما يسىء الى عبد الحكيم عامر وأسرته .. وتصورت أنه ستحدث اهانات اذا لم أجب كما يريدون .. والاهانة مسألة نسبية وتناسب شعورنا وقت حدوثها وقد تصورت أن فى هذا السؤال اهانة وأن البقية تأتى !!

ولاول مرة تأثرت بصورة لا أعرف كيف ظهرت على وجهى فما تصورت يوما أن يحاول أحد ارغامى على القيام بعمل دنىء والذى أذكره لهذا الرجل ومساعده أنه لاحظ تأثرى فقال لى :

تأكد يا فلان انه عندنا ضمائر وذمم وأى سؤال لا يعجبك لا تجيب عليه ولن أوجهه لك وكانت أهم الاسئلة ثلاثة :

س : هل زرت المشير وكم مرة ؟

ج : كل يوم وقت وجودى فى القاهرة وأحياناً مرتين فى اليوم .

س : هل طلبت عقد اجتماع مجلس الامة ؟

ج : نعم .. طلبت اجتماع الهيئة البرلمانية وكتبت الطلب بخطى ووقعت أول اسمم :

س : ما هى حكاية توزيع صورة من استقالة المشير فى عام ١٩٦٢ فى مجلس الامة ؟

ج : الحكاية كذا وكذا وهو ما شرحته من قبل .

والطريف أن أحد الاعضاء من المنيا قال انه لا يعرف المشير ! وكان السبب في الغالب اهتزاز أعصابه !

ومضت أسابيع وذات مساء طلب مني أن أرتدى ملابسى وأرافق المخبر لمكتب المعتقل وقلت لهذا المخبر هل آخذ شنطتى معى فقد اعتقدت أنه أفرج عنى فأجاب انه لا يعرف وكان هذا جواب المخبرين على أى سؤال حتى لو سألته أبوك حى أو ميت يقول ما أعرفش !

وقابلت المفتش وكان يقف معه أفندى فقال لى ح تروح معاه مشوار وترجع !

ولم يقل لى من هو الذى أروح معاه ولا أين أذهب ولا أنا سألت الافندى فلا ح أناسبه أو يناسبني وأي مكان أذهب اليه يحكمه عبد الناصر !!

وقاد سيارة فولكس صغيرة وبجانبى أفندى آخر .. وسار ولا أدرى الى أين .. ولا أرى في الليل وفى الظلام وفى طرق خالية من الناس والسيارات .. الى أن وصل الى باب حديدى فى جهة ما وأضاء أضواء السيارة وأطفأها وأضاءها وأطفأها بطريقة تشبه ما كنت أقرأه في الروايات البوليسية ولا أدري لماذا لم يطلق آلة التنبيه وقد فتحوا الباب بعد هذه الحركات !

وسرت فى حديقة مبني لا أعرفه واستلمنى أفندى آخر وأجلسني في غرفة مكتب وتركني وانصرف .. ودخل أفندى ثالث وأخذ شيئا من المكتب وانصرف !

ثم جاء أفندى لا أدرى ان كان الاول أم الرابع فقد كنت كالابله من الدهشة .. فأنا واثق من أن هذا الكلام كله كلام فارغ .. ليه وعلى ايه! ربما قرأوا ما فعلوه فى (هيس) نائب هتلر ويطبقوه علي ! وعرفت فيما بعد أنها حركات مقصودة لهز الاعصاب .. والذى يدهشنى حتى الآن هو أسلوب المعاملة الواحد بالنسبة لمن قتل رجلا أو قطف زهرة .

واقتادنى الاخير الى مكتب فى حجرة فسيحة ويجلس خلفه رجل

ومعه رجلان عرفت أحدهما ٠٠ وأعطانى رئيس الهيئـــة أو المحققين (لا أدرى) مظروفا بعد أن سألنى عما أشربه وكان مهذبا ودمث الاخلاق وسألنى انت ما تعرفنيش ؟ قلت له مع الاسف لا ٠٠ قال مش تشوف المظروف ؟ أنا اللواء محمد صادق مدير المخابرات وفى كل يوم جمعـة كنت باشوفك فى نادى الزمالك لكن طبعًا أعضاء مجلس الادارة الكبار ما يرفوش الاعضاء العاديين !

قلت له علشان تعرف سوء الحظ ؟! اشمعنى انت اللى مارقنكشى ؟ نهايته ٠٠ انتم اعتقلتونى علشان نكسة النادى فى الكورة ؟! ضـحك وقال طبعا علشان حاجات أهم !

قلت وهو فيه أهم من الكورة ؟! ولم أعرف الا فيما بعد أنه كان هناك جهاز تسجيل وأن لطف الرجل وأدبه جعلانى أخر كـلام وهات يا ثرثرة وياصراحة ويانكت سياسية ونسيت نفسى وفـكرت انى فى قهوة ! ذلك انى كنت مشتاقا للكلام ٠٠ وفى النهاية قال تعرف حد مننا كمان ؟ أشرت له على اللواء مختار صالح مدير السجن الحربى فى ذلك الوقت وكنت دعيت معه مرتين من صديق مشترك لنا للعشـاء فى نادى الصيد ٠٠

فقال اللواء صادق (الفريق) تحب تيجى عنده فى الســجن الحربى ؟ قلت له أشكرك ماأحبش أتحبس عند أصحابى وأحرجهم !

ثم كانت المرة الثالثة والاخيرة أمام وكيل النائب العام الاسـتاذ عبد الغفار وراح يسألنى الاسئلة الثلاثة المعتادة وكان قد سألنى عنهـا الفريق صادق ووجدت اجاباتى فى نفس الورقة التى قدمتها للفـريق صادق عند المحقق ٠٠ وقلت له الحمد لله دى أول مرة يسألنى فيها رجل قانون هل فى هذه الاسئلة اتهام أو جريمة ؟! قال اعتبرها مسـألة استيفاء أوراق !

ولما وجدنى أجيب بتهكم قال الرجل كتر خيره ممكن تسيبنىأجاوب عنك ؟ قلت له اتفضل ! وأملى على سكرتير التحقيق الاجابات بايجـاز ووقعت !

كبير القلب

عندما قامت الثورة كان من بين اللعنات التى شيعنا بها فاروق أن بعض الفنانين أشادوا به فى أغنيتين أو ثلاث أغانى لما كان فتى وسيما قبل أن يترهل بدنياً ونفسياً ويفسد [*]

ثم نسينا هذا النقد والسخط وأصبحنا لا نفتح الراديو على أى محطة وفى أى وقت الا ونصدمنا اغانى تمجد الزعيم وتقدسه وتتدله فى حبه !!
وكان منها أغنية لام كلثوم نسبت اليه معجزات لم تنسب لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وهى تقول تفوت على الصحراء تخضر ! وفات عليها فلم تخضر أو تحمر وانما احتلتها اسرائيل !

وفى البداية كان الشعب يحيل كل أغنية الى كلمات شبيهة ساخرة ويؤلف عنها نكتة الى أن عجز المؤلفون الساخرون عن ملاحقتها لكثرتها حتى صورتنا وكأننا شعب من الكورس والهتافة !

وكنت أسمع فى الزنزانة عبد الحليم حافظ يردد أغنية ياريس يا كبير القلب ! فكنت أقول قل يا عبد الحليم أى حاجة الا أن له قلبا كبيرا أو صغيرا ..

كانت الحراسة استولت على كل شىء أمتلكه حتى اسمى ! ولم أعرف أنى فقدت اسمى فعلا الا بعد أن دفعت رسوم توكيل للدكتور عصفور المحامى ليقدم لى تظلما لاعجب محكمة المسماة بمحكمة التظلمات وعند توثيق توقيعى سألتنى الموظفة أن كنت خاضعا للحراسة فأجبتها بالايجاب فردت لى الورق وقالت هات جواب من الحارس بالموافقة على التوكيل ! وقلت يا خبر ! يا عقول المجانين فكروا معى فى تصرفات العقلاء ! جواب من الحارس ليوافق على توكيل محامى يترافع ضد الحارس ؟!

ولما سمعت تلك الاغنية كانت الحراسة لم تدفع لنا أى شىء الا بعد شهرين لندفع ما يساوى ايجار المسكن كما كان مجلس الامة أوقف المكافأة البرلمانية لمدة شهرين أيضا .. وبقيت أنا وأسرتى لا نجد الحديدة التى يقال ان فلان أصبح على الحديدة ! وربما كان يمكننى التفكير فى كيف أعيش لو لم أكن سجينا .. أما فى الزنزانة فماذا غير الاشباح والحشرات ؟!

وكان تفكيري في الله وحده الذي أنزل سكينته في نفسي فقلت إن واحدا مثلي واجه هذا الموقف وسأله صديق له كيف عاش .. فقال انه وأسرته كانوا يجلسون حول مائدة الطعام في الصباح ويتوهمـــون أن في البراد شايا فيصنبه لهم في الاكواب وبنفس الوهم يأكلون من الاطباق الخالية وبهذا الايحاء يشبعون ! وفى الغذاء يغيرون الاطباق والسرفيس ويتخيلون أى أنواع يشتهونها ويأكلون بالايحاء حتى يشبعون ! وسأله الصديق الغبى وفى العشاء ؟ فأجاب الخاضع للحراسة نأكل ما تبقى من الغذاء !

وأراد الله أن يبقى لى عزة نفسى وأنا فى وضـــع أسوأ من وضع الدودة فى الحجر يرزقها الله ويحييها .. ففى مساء ليلة مشئومة قال لى عصام خليل انت حطوك فى الحراسة ؟ قلت له ليلتك سوده ليه ؟ قال علشان حطوا عامر ومصطفى فيها !

وأعتقد أن من بين حواسنا الخفية حاسة التنبؤ الصادق فقد شعرت بخوف رهيب يشبه الخوف الذى يشعر به واحد ألقى بنفسه من الطائرة وضغط زر الباراشوت فلم ينفتح ! .. إنه بعد مليثانية واحدة سوف يسقط ويتهشم فوق الارض ولكنه سيموت من الخوف قبل سقوطه !.. وهذا شىء معروف لا يتحمل الانسان مثل هذا الخوف لمليثانية أو أقـل فكيف تحملته شهرا ونصـــفا الى ان جاء قرار مولاى عبـــد الناصر باسترقاقى ؟!

انها آية من آيات الله التى لا تحصى ففى هذه الظروف الرهيبـــة رفضت الكتابة له لاسترحمه وأستعطفه ومن كثرة الحاح الناصحين كنت أكتب ما لا توافق عليه ادارة المعتقل فهى مسئولة عما ترسله من مكاتبات لانها مفتوحة .. وأخيرا توصلت الى صيغة ترضيهم وترضينى على أنه سيخفى عليهم قراءة ما بين سطورها .. وفعلا لم يقرأوا ما بين السطور !

قلت له انه عن نفسى له أن يبقينى فى المعتقل الى نهاية العمر .. أما أولادى فانى أقول له ما قاله سيدنا عيسى للخالق العظيم (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) .

وكنت أعتقد أنه إذا كان الغرور لا يزال يملأ نفسه فسوف لا يفهم

المعنى الذى أقصده .. وان كان أفاق سوف يفهم ولا شيء أتعس مما أنا فيه ولا أدرى هل فهم أو لم يفهم ولكنه لم يشعر ولم يرحمهم !

وكانت بنتى الصغيرة علمت بأن ناظرة المدرسة رفضت طردها لعجزها عن دفع المصاريف وتولت بالنيابة عنها الكتابة للحراسة .. وقرأت عن ابنة الطيار المصرى الذى تعرف على نيكسون أثناء زيارته لمصر قبل توليه رئاسة الجمهورية .. ثم لما تولى الرئاسة كتبت له خطابا فدعاها الى زيارة أمريكا ونزولها ضيفة عليه الخ هذه الحكاية .

وببراءة الاطفال وتفاؤل نظرتهم للناس كتبت لعمها جمال الذى فى مصر وليس فى أمريكا تقول له انها لا تعرف ما فعله والدها ولكنها واخوتها أحبوه وكان والدها ينمى فى نفوسهم هذا الحب وتسأله أن يرفع الحراسة عنهم لانهم لا ذنب لهم ان كان أبوهم أخطأ ..

وفى ادارات قصره تتناول الرسالة أيدى تدل على أننا حكمنا بتخلف لم يعرفه حكم شيوخ القبائل .. فلم يقرأ الرسالة موظف واحد عنده ذكاء يعرف به الفرق بين اختصاصات رئيسه واختصاصات الوزراء

وبقيت الرسالة بين هذه الأيدى الى ما بعد خروجى من المعتقل بشهور حيث فوجئت ذات صباح بسيدة تأتى لزيارتنا وفتحت لها باب الشقة فسألتنى ان كان هذا بيت فلانة فأجبتها بالايجاب فظلت تنقل بصرها مدهوشة فى مظاهر خادعة فى الشقة لاثاث رخيص وبسيط ولكن خدعها الديكور .. وقلت لها أى خدمة ؟

قالت انها تريد بحث الحالة الاجتماعية لوالد الآنسة صاحبة الخطاب ! ولاول وآخر مرة فى حياتى أشتم سيدة ومن أرسلها ومن أنجب الذى أرسل الذى أرسلها !

ان الغباء والعمى أصاب موظفى عبد الناصر وموظفى وزارة الشئون الاجتماعية فلا أحد قرأ الخطاب ليعرف إنه ليس من اختصاصه وأن التى كتبته كتبته من غفلتها لعمها عبد الناصر شخصيا !

وكانت شهوة صاحب هذا القلب الكبير فى الانتقام وهوايته للتعذيب تفوق نظرته الى قراراته وما يجب أن تكون عليه من تعقل والاحترام لاحترام المنصب على الاقل فقد طلبوا منى أن أكتب ما أملكه ومن

أعولهم وعرفت بالطبع أن هذا تمهيد للنظر فى فرض الحراسة وربمـــا كان يظن أن ما سمعه عنى كذبا فأراد أن يتأكد ٠٠ فكتبته فى صـــورة اقرار ذمة أعنى ما كنت أملكه قبل عشر سنوات عند ترشـــيحى لمجلس الامة ثم وقت كتابة هذا الاقرار وقلت انى كنت أملك ثمانية وســـبعين فدانا بالملكية والحيازة وأصبحت أملك ثمـــانية وأربعين بنقص ثلاثين فدانا ! وكنت أملك وابور طحين وشريك فى آخر ودارا للسينما (باعتها الحراسة بثمن تليفزيون لا أعرف أن كان ملونا أو أبيض وأسود لانى لم أقبض لا أبيض ولا أسود) ورصيدا فى بنوك لا أذكره ويمكن معرفته من البنوك التى ذكرتها ٠٠ والآن أملك ما ذكرت من الارض ونفس العقارات ومدين بما يقرب من ستة آلاف جنيه ٠

وتناول هذا الاقرار عشرات الايدى وقرأته عشرات العيون وحكمت عشرات العقول بأنى آخر مصرى تفرض عليه الحراسة ٠٠ ولكن طبيعته الظالمة والمستهترة بشعور المواطنين وشعوره بالسعادة كلما أذل آخرين أثبت أن كل المؤلفين كانوا كدابين وكذب هو هذه الاغنية ووقع هـــذا القرار العجيب !! وليتنى أستطيع كتابته كيف كان الناس يغنون هـــذه الاغنية !

قانـــون العبيد والخدعة الكبرى

كان بين يدى عبد الناصر لقمة العيش بالنسبة لموظفى الحكومة الا أنهم ليسوا كل من يعيشون على المرتبات والاجور ٠٠ فأحال معظم الانشطة الاقتصادية الى قطاع عام لتصبح لقمة العيش فى يده بالنســـــبة لجميع العاملين فيه ٠

وبقى أصحاب الارض والعقارات والمتاجر ٠٠ وأى ملكية ٠٠ وأى رزق يأتى عن غير وظائف الحكومة والقطاع العام فقرر مبدأ الحراسة ! التى بدأت بفرضها على كبار الاثرياء من المتمصرين وبعض الاجانب ثم من المصريين ٠٠ ثم وصلت الى ملكية الثلاثة فدادين ! وأفصح عن الغرض من هذه الحراسات بأن سمى المفروضة عليهم بالخاضعين ٠٠ وما تعطيه لهم

الحراسة من أموالهم يسمي بالنفقة !. إنها السعادة أن يخضع رجل لرجل مثله ويأخذ كالنساء نفقة من هذا الذى تزوجه !

وأخيرا يضع هذا القانون الذى يجعل جميع المصريين بلااستثناء فردا واحدا من الخاضعين اذا شاء ومنهم (الاحرار) الذين لا يزالون يتحدثون عن عهده بحنين !! إنهم أحرار فى أن يكونوا عبيدا ولكنهم ليسوا أحرارا فى أن يأخذوا معهم الى قوافل العبيد ..

فى ٢٣ مارس سنة ١٩٦٤ صدر هذا الذى يسمى بالقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ وأعجب ما فيه أنه يراد الايهام بأنه قانون فيقال بعد الاطلاع على كذا وكذا وبعد عرضه على مجلس الرياسة الخ ثم بعد موته يشهد ثلاثة من اعضاء مجلس الرياسة هم السادة البغدادى وكمال الدين حسين ونور الدين طراف بأن هـــذا القانون لم يعرض على مجلس الرياسة !

وتحدث أول سابقة فى تاريخنا فيزيف قانون بمثل هذه الصورة المشينة !!

وفى ٢٤ مارس يصدر الدستور المؤقت (وأرجو متابعة هـــذه التواريخ) فيلغى هذا القانون أهم ما تصدر من أجله الدساتير ! وفى يوم ٢٥ فى اليوم التالى يصدر قانون مجلس الامة وفى يوم ٢٦ يجتمع مجلس الامة وقد الغى هذا القانون هذا الدستور وهذا المجلس فأصبح صدور الاول واجتماع الثانى مسألة شكلية فكلاهما وهما معا لايستطيعان بحماية مواطن واحد من الاعتقال أو الاسترقاق بالحراسة ! ولو اعتقل رئيس الجمهورية كل اعضاء هذا المجلس (وقد اعتقل ستة منهم) فلا يستطيع المجلس ولا الدستور أن يقولا له احم أو دستور !

وقد تعمد اصدار هذا القانون قبل صدور الدستور اذ لو كان بعده لكان قانونا غير دستورى بلا مناقشة وقبل اجتماع مجلس الامة فلا يعرض على مجلس الرياسة ولا يعرض على مجلس الامة ! وتنشر جريدة الاهرام هذا القانون العجيب وهى تكاد تخفيه واذ تحاول أن تخفيه تنشره فى حجم طابع البريد ! حتى أننا لم نقـــرأه فلم تنشر مواده وانما تلخيص عجيب له ولفت نظرنا اليه الزميل ابراهيم شكرى ولكن بالاسلوب الذى

لا يمكن تجاوزه في عهد عبد الناصر فقال انه ما كان يجب أن يستهل المجلس أعماله وقد سبقه صدور هذا القانون وأن لجمال عبد الناصر من المكانة ما اذا قال لمصري الزم بيتك فانه يلزمه على الفور ولم يقل الزميل انه لو قال لمواطن اخرب بيتك فانه يخربه على الفور !

ويقول هذا الشيء المسمى بالقـــانون ان لرئيس الجمهورية بدون ابداء الاسباب وبدون التجاء الى القضـــاء وبدون تظلم أو طعن أو نقض وبدون أن يفتح انسان فمه أو يئن أو يتوجع أن يأمر باعتقال أو فرض الحراسة عن كل من سبق اعتقالهم أو فرضت عليهم الحراسة أو أضيروا من قوانين الاصلاح الزراعي أو التـــــأميم أو من أى قوانين واجراءات استثنائية .. وكان ذكر هذه الفئات من باب الخدع الساذجة .. فان المادة أو المصـــــيبة الاخيرة تشمل جميع المصريين بلا استثناء واحد فانها تقول كل من أتى بأعمال فيها اخلال بالامن العـــــام للدولة !! وما دام الاعتقال والحراسة يصدران بدون ذكر أسباب وبدون عرض على القضاء فقد انتهى الامر وأصبح السيد جمال عبد الناصر مالكا لثلاثين مليون عبد يعتقل من يشاء ويخرب بيت من يشاء بدون حساب فهل هناك رق أبشع من هذا الرق ؟

وبعد هذه الوصمة التاريخية لقانون من قوانين الـدولة لم يذكره أحد بالاستهجان الذى يستحقه حتى الآن تحدث الخدعة أو الفضـــيحة الكبرى التى خدعت جميع المصريين بلا استثناء فيصدر بيان ٣٠ مارس الخالد وتدق الطبول وتعزف المزامير ويحرق البخور فقد نال المصريون الحرية كاملة ويذاع وينشر ويقال في الخطب كلام فارغ أقرأه في المعتقل ومن تأثير البخور أتصور أنه شيء جاد !!

ان كل ما في هذا المجد والخلود أن المواطن المعتقل أو الخاضـــع للحراسة له حق التظلم ! والتظلم لمن ؟ لمحكمة تظلمات ! وبعد ؟ لا تعتبر أحكام هذه المحكمة نافذة الا اذا صدق عليها رئيس الجمهوريـــة ! أعنى أتظلم من رئيس الجمهورية ! لرئيس الجمهورية .

ويبقى قانون العبيد قائماً لم يمسه البيان من قريب أو بعيد .. أعنى بعد البيان الراقص بحكم الذين رقصوا ترحيبا به يستمر رئيس

الجمهورية فى اعتقال المواطنين وفرض الحراسة عليهم أثنـاء تصفيتهم للبيان الجديد الذى يخدع هؤلاء العبيد !

وها هو الزعيم خالد محيى الدين يكتب فى مجلة الاهالى منذ شهور يطالب أن يكون من بين مواثيق الدولة سيدنا الشيخ المبارك الميثـاق والشيخ الباتع الخالد هذا البيان وينسى الزعيم الشرفى المخضرم أن عمر الميثاق كان من عمر واضعه أىأنه الذى نسب اليه انتهى فى عام ١٩٧٠ وأن البيان الخالد جعل الزعيم الاكبر مالكا لهذا الزعيم الاصغر ولكل من تظلهم سماء مصر ملكية السيد للعبيد !! فاذا كان رئيس حزب خدع فى هذا البيان وهذا القانون فما بال باقى المصريين ؟

ولا تنكب بالخدعة الكبرى وحدها بل وبفضيحة كبرى بعد فضيحة التزوير فى هذا القانون فقد شاهدت انعقادا لهذه المحكمة فى دار القضاء العالى بعد أن عملت بمثل الغرقان يتعلق بقشاية وكنت أحـد المعتقلين الذين يقدمون تظلما لهذه المحكمة فرأيت أن أرى كيف تحكم فى القضايا ! وكانت تنظر قضايا المتظلمين من الاعتقال ٠٠ ونودى على القضية الاولى والثانية الى العاشرة ويقول القاضى ٠٠ المتظلم أفرج عنـه وتشـطب القضية !

ويصرخ المحامون وأقارب المتظلمينويقولون (يا فندم المتظلمون فى السجن وزرناهم امبارح) !

ويقول القاضي في أسي ٠٠ النيابة بتقرر كده ! ويقول أحـد المحامين عن الباقين : الحكاية يا افندم أن المتظلم أفرج عنه علىالورقوبعد ثانية فقط أعيد اعتقاله بقرار جديد ٠٠ حتى يتظلم بعد شـهور من جديد !

ويقول القاضي فى مرارة وحزن تظلموا من جديد !

وأحاول أن أجد جوابا لسؤال أسأله لنفسى هل هناك أغبى من هذه العقلية ؟! لماذا لم تترك المحكمة تحكم وننقد المظاهر وننقذ شكلا شيئا من سمعة هذا الحكم ؟

انه يمكن أن تحكم بعدالة ثم لا يصدق رئيس الجمهورية على الحكم بدلا من هذه التمثيليات التى لا يؤلفها تياترو فى عزب الارياف ٠

أما قضايا الحراسة فكان علاجها بسيطا فلا تعرض أى قضية أمام أعجب محكمة فى التاريخ ! وأرجو من هذا التاريخ أن يضيف هـــذه المحكمة الى محاكمات دنشواى مع الشكر !

الدعاء للإمام أحمد

فى يونيو ســـــنة ١٩٦٤ فوجئت بأن زميلى عامر وقع باسمى بموافقتى على السفر الى اليمن مع بعض أعضاء لجنتى الشـــئون العربية والدفاع وأعتبر هذا التوقيع نوعا من الهزار اذ كان يعلم أنه لاسبـــاب تتعلق بعاداتى فى حياتى الخاصة لا أستطيع القيام بمثل هذه الرحلات وربما كان يجب أن أتحمل المغامرة لو كنت مقيدا فى هذه الرحلة ولكنى كنت واثقا أننا فى الغالب لن نكتب تقريرا عنها واذا كتبناه لن يقرأه أحد واذا قرأه لن يناقشنا فيه أو يعترض أو يوافق على شىء مما فيه وهــذا ما حدث فعلا وأعطونى مبلغ خمسة وثلاثين جنيها مقابل الاسبوع الذى سنقضيه هناك وزادت خسائرنا فى حرب اليمن بهذا المبلغ الذى رأيت أنه لن يكون حلالا الا اذا اعتبرته مقابل تعريض حياتى للضياع !

فقد سافرنا وأقمنا مجانا وكانت هذه الاقامة هى التى تســـتحق أضعاف هذا المبلغ ! فلم أذق الطعام أو النوم لمدة ستة أيام ولا أدرى كيف عشت حتى أكلت فى تعز فى آخر أيام الرحلة ؟ وكان سبب عدم الاكل هو تلك العادات السخيفة التى اعتدتها بالنسبة لطعامى أما عدم النوم فكان أيضا بسبب هذه العادات من توفر جو معين من حيث النظــافة والهدوء كى أنام ٠٠ وقد وضعونى فى حجرة واحدة مع ستة من زملائى كان كل واحد منهم يعزف لحنا خاصا ومميزا من شخير متواصل ومنقطع ٠٠ ولكى أنام كان يجب أن أتوقع أن تكف الموســـيقى عن العزف ثلث ساعة على الاقل !!

وكان يمكن أن أتوقع توقف عزف الموسيقى من واحد منهم لبضع دقائق حتى يغير اللحن ٠٠٠ أما أن يمضى هذا الوقت فى سكوت تام وبدون

عزف فمعنى هذا أن يموت الزملاء جميعا موتا جماعيا بالسكتة القلبية وهذا ما لم أتمناه بالطبع !

ووجهت الينا دعوة من السيد أحمد النعمان رئيس مجلس الامة لتناول العشاء فى منزل المشير السلال وكان غائبا عن البلاد .

وفوجئنا عند وصولنا للقصر الجمهورى (القصر رسميا وليس وصفا) أن أحدا لا يستقبلنا ليدلنا الى الطريق على الاقل .. وصفقت كعادتنا فى الارياف وأنا أصيح (ياللى هنا ؟) واعتبرها وفدنا نكتة وأذاعوها بين الاعضاء مع أنها عادتنا قبل الدخول الى بيت ما ! وتحدثت مع السيد أحمد النعمان والفريق العمرى وغيرهما وكعادتى فى مثل هذه الرحلات أعطيتهما عنوانى كى يزورانى اذا جاءا القاهرة فأرد الضيافة .

وفى أحد الايام الاولى للمعتقل فوجئت برؤية النعمان وكان فى مبنى أمامنا يسمى بالعنبر ويصعدون ويهبطون منه بسلم خشبى وكان ينزل ومن خلفه الفريق العمرى ثم وزيران آخران (كما عرفت) وخامس وبترتيب لا يتغير ويذهبون للوضوء ثم يعودون .

ورآنى النعمان ولا أدرى ان كان وقع المفاجأة عنده كوقعها عندى ولكنه أشار اشارة فهمت منها آدينا يا سيدى جينا وزرناكم ! وكانوا جاءوا ليشكوا لعبد الناصر من السلال رئيس الجمهورية فاستقبلهم بهذه الحفاوة الكبيرة ولم يجد مكانا مناسبا يتحفظ عليهم فيه الا هذا المكان !

وكان من بين وسائل التعذيب بالنسبة لى أنه يوجد معنا مخبر شباب لا يزيد سنه على الخامسة والعشرين ومولع التظرف فى القاء النكت السخيفة وينتظر منا الضحك حينما نسمعها .. وكان يتعمد التظرف أو الثقل فلا فرق بينهما مع اخواننا اليمنيين الذين كان يتقدمهم فى الذهاب الى الوضوء والعودة منه وكان النعمان يتوضأ ويستغفر الله خشية ألا يكون الماء نظيفا نظرا لان مجرى المياه تحت الحنفيات كانت تختلط فيه المياه الطاهرة بالمياه الملوثة بسبب تبول بعض المعتقلين فيها بسببه عدم تحملهم لشدة البرد وذهابهم لدورة المياه الرئيسية .

كما كان يشمئز هو وزملاؤه بسبب أن فرن تسخين المياه كان يوقد بتفسير القرآن الكريم المكتوب فى أجزاء من كتاب الشهيد سيد قطب تحت ظلال القرآن والمصادر وتمتلىء به مخازن المعتقل وقد ضايق أسرتى ألا أكون متهما فى شيء فأرسلوا لى من مكتبتى بعض أجزاء هذا الكتاب القيم الذى يباع الآن وعادت اليه حريته ولولا طيبة الضابط زكريا لكنت من أصحاب السوابق !

وفى أثناء عودة النعمان ومن معه عقب الوضوء لصلاة ظهر يوم ما وكان هذا الشاب يرافقهم اذ به يحاول التظرف كالمعتاد بأسلوب مبتذل فيقول لهم آمرا محلك سر .. خطوة الى الامام .. قف .. اقفز ابدأ الخ! ووقف النعمان مذهولا وقال له يا ابنى اذا ماكنتش تحترمنى كضيف احترم على الاقل سنى ! ولكن أقول ايه غير الله يرحمك يا امام أحمد !!

ولا أدرى كيف واجه عبد الناصر الموقف لما وقع انقلاب فى اليمن بعد قليل من هذا الذى أرويه . وخرج العمرى والنعمان ومن معهما والاول كرئيس للوزراء والثانى فى منصب مماثل وذهبوا لوداع عبد الناصر الذى استقبلهم كالعادة بالقبلات والاحضان !

مجانين

اردت الا يكون الكتاب قاصرا على قصة عبد الحكيم عامر ومن معه حتى يوم اعتقالهم وبداية النهايات المختلفة لحوالى خمسين معتقلا فى سجن القلعة ..

اذ لا شك أن حياة آلاف المعتقلين الذين لم يكونوا من أصدقاء عبد الناصر أو على الاقل من المقربين منه ليست كحياة الوزراء والسفراء والمحافظين وكبار قادة الجيش وأعضاء مجلس الامة الذين جاءوا فى عهده .

والسجن يترك أعمق ذكر وأثر فى نفس الانسان وبالنسبة لهذه الايام كان فيها من العجب ما يساوى كل عجب الزمان ! فكل شيء كان عجيبا .. التصرفات والقرارات والعقول التى تصدرها .. المسجونون عادة متساوون فى المعاملة ونحن العكس .. المعتقل أفضل من المتهم ..

ونحن العكس .. المفروض أن معاملة السجن معروفة ولا تتغير ومعنا تتغير فجأة وأحيانا كل ساعة !.. المسجون عادة له طابور رياضة ونحن عشنا فى مترين لمدة أربعة أشهر تقريبا حتى صغر حجم كل واحد عن طريق التجمد ثم سمحوا لنا بعشر دقائق يسيرها كل واحد منا أمام الزنزانات وكان مخبر أهلاوى يمسك الساعة كصفارة الحكم وكان صديقى يعد الوقت بالضبط قال لى خلاص ! قلت له لسه الوقت الضايع يامحمد والا ح تتعصب ؟ ومن أجل هذه النكتة سمح لى بدقيقتين زيادة !

مئات الحكايات كتبتها فى أسبوعين وفى ثمانين صفحة وذهبت بها الى المطبعة وفوجئت بأن حجم الكتاب تضخم ويجب أن أضغطها فى عشر صفحات وأحرق معظم أيامى وأخنق معظم نبات أفكارى وحتى لا وقت للاختيار فاخترت هذا العنوان وكان أحد عناوين تلك الايام ..

كانت المعاملة من يوم ٢٧ أغسطس الى ١٣ سبتمبر معقولة بالنسبة لما بعدها .. وبالنسبة للسجون ولكن بالنسبة للحياة العادية فأنا لا أدرى كيف لم أجن .. وربما كنت ولا زلت مجنونا وأنا لا أدرى حتى بالنسبة لاصدار كتاب بدون ناشر وبدون بيع مقدما أو مساعدة فى تخفيض تكلفة من سعر السوق السودة .. أو أمل فى أن يكتب عنه أحد (بل تعمدت قطع هذا الامل) بما لا يخفى على ذكاء القراء بل شاءت الاقدار أن تتضاعف ورسوم دمغة الاعلانات وأنا أكتبه ! ولكن فى النهاية الايمان يصنع المعجزات واذا كانت الكرامة جنونا اذن ما أعظم الجنون ! ولولا هذا الايمان كيف كان يمكن تحمل الذهاب لدورة المياه بعد اذن وفى انتظار الدور ؟! من قال ان المعدة تعرف الدور والروتين ؟ لقد كان شمس يبقى فى الحمام أكثر من ساعة وأنا أتلوى من الالم وباقى ثلاثة قبلى ينتظرون! وكتبت من غيظى على جدران دورة المياه (دى مش لوكاندة أبوك يالى بتستنى ساعة ! فيه غيرك بيموت يا مجنون !)

وبينما كنت فى شدة الاستياء من الاكل الذى كان يأتى من نادى البوليس وهو عبارة عن ربع فرخة عجفاء من الحزن على النكسة وطبق كوسة بارد ولا أربعمائة يوم لم يتغير (وليه الكوسة !؟) وبضع ملاعق أرز وكمثراية ... يتغير فجأة ليكون فى الصباح طبق فول وبدلا من الزيت طبقة من الذباب فوقه ورغيف ودمتم !

وفى الغذاء طبق الكوسة اياه ولكن من متعهد السجن ومسلوق بمرقة بيضتين احداهما على الاقل فاسدة وأنا ممنوع من أكل البيض ورغم بشاعة الكوسة فقد كان فوقها طبقة مكثفة أكثر من الذباب مما جعلنى ألقيها بأقصى قوة وأنا أقول الموتة مرة واحدة خلصونا يا أولاود الـ ..! وفى أيام اللحوم تأتى قطعة عظمة تصورتها من ميت من المقابر المجاورة .. وفى يوم آخر قطعة جلدة من جثة مجهول .. وكانت الزنزانة ابتداء من يوم ١٣ سبتمبر أغلقوها تماما من الخارج .. وبعد عدة شكاوى عديدة أمر طبيب طيب بفتحها عشرة سنتيمتر وكان قد أوصاه (التوصية الوحيدة غير العكسية) الصديق الدكتور عبد الغنى البشرى وهو الذى قام وقتها بصفته كبير الاطباء الشرعيين بتشريح جثة المشير !

وفى نفس الوقت كانت تأتى لاحد المعتقلين وكل ليلة زجاجة ويسكى مع أفخر أطباق المزات التى تكفى لعشاء نصف المعتقلين وكان يأكلها غيرهم .. وتكرم هذا الصديق وتحايل حتى أسمعه وهو يقول أبعت لك كاس ؟ قلت له تانى غير اللى أنا شاربه ؟ قال علشان تنسى .. قلت .. هو ضيعنا غير النسيان !

وفى ثانى يوم (١٤ سبتمبر) أغلقوا علينا الزنزانات فجأة وسحبوا الراديوهات والكتب ومنعوا الصحف وأى اتصال بأى حياة خارج الزنزانة وأثناء ذهابى للحمام رأيت مصطفى عامر يبكى فقلت لا بد وصله الجنون لا حول ولا قوة الا بالله .. ثم قلت لمخبر طيب يا عبدالعزيز قل لمصطفى اذا ماكانش ح يكون راجل ويفضحنا أنا ح أنقل لاى سجن تانى ؟ وكنت أؤلف له حكايات على أن أبو مدين والملك حسين وغيرهما يتوسطون فى الموضوع لكى يتنحمل فى ظنى .. وكان هو يرسل المخبر الطيب الذى كان يعرف ليسألنى تفصيلات هذه القصص المؤلفة ! ثم اتضح أن سبب البكاء كان فى أن ادارة المعتقل استدعته يوم ١٤ وابلغته بنبأ موت أخيه وعاد ليجد الصحف فوق الوسادة وكان هو وشمس الوحيدان اللذان علما بالنبأ وباقى المعتقلين ظللنا لمائة يوم تقريبا لانعرف!

ولماذا شمس ومصطفى ؟ قيل فيما بعد لان أعصابهما قوية! وهل كان عندهم مقياس قاسوا به أعصابنا جميعا ؟!! وما هذا الجو الرهيب ؟ألا يخطىء واحد ويقول لنا كلمة ؟ ولكن كيف يخطىء ؟ وفي أحد الايام قلت لاحد المخبرين هات لي شنوية ملح أبلع بهم الرغيف من نمرة ١٧ (عصـــام خليل) ولم يرد على أو يعود بالملح .. وصحت فيه يا مجنون ! مابتردش ليه ؟ طيب هات الملح وان شاء الله تخرس ! وبعد يوم كامل علمت لماذا لم يرد واستنتاجا .. لان عصام خليل نقلوه لمستشفى المعادى بالوساطة بالطبع .. وممنوع على المخبر أن يقول لى أن جارى عزل مع أنى ساعرف بالضرورة !

وبعد أن أعادوا الصحف والراديو وفجأة فى مساء ٢٢ نوفمبر كى نسمع خطبة عبد الناصر فى اليوم التالى .. بعد أسابيع عادوا وقطعوها فى العشر زنزانات التى يقيم شمس معنا فى إحداها .. وكنت أفضـــل قطع الاكل أفضل .. ثم فهمنا السبب وكان ككل شىء عجيب فقد كتب موسى صبرى فى أحد أيام نظر القضية أن شـــمس بدران كان يحتسى الويسكى فى شقته الفاخرة المطلة على النيل ... وثار شمس وطلب من محاميه مقاضاة موسى وجريدة الاخبار وقال لى أنا ح أقول للمحكمة مين اللى مابيشربشى الويسكى ؟ تجاوبوا أو أقول أنا ؟! وقال له محاميه ان موسى اعتذر له وقال إنه كتب ما كتب بالامر !

وقيل ان هذا كان سبب نقله لجريدة الجمهورية والله أعلم فهذا ما سمعته من شمس .

وكان شمس يوم قبض عليه لا يزال فى شقته فى شـــارع فؤاد والقديمة جدا والمكونة من أربع حجرات وكان قد قيل لى ان والده كان يسكن فيها وهو الذى استأجرها والمعروف أن شمس كان بيده توزيع الشقق الخالية للضباط وغير الضباط ! وكان شمس يقرأ الصحف يوميا فى المحكمة بينما تمنع عنا نحن الذين لا صلة لنا بهذه المحكمة أو بأى محكمة !

وفى العادة يغادر أهل الميت أو أصحاب الفرح السرادق بعـــد

المعازيم وبعد التشطيب ولكن فى المعتقل حدث العكس ! حدث أن أفرجوا عن عبد المنعم عامر فى أول رمضان .. وهو الاخ الاكبر من المشير .. وانتظر المعتقلون على أنه البشائر ولكن لما لم يفرج عنهم بدأت كلمة اشمعنى .. وقلت إن عبد المنعم رجل طيب وكان فى ألمانيا ولا دخل له فى الموضوع .. وقال الباقون يعنى إحنا اللى مش طيبين ولنا دخل ؟ ثم أفرج عن سعد عامر وحسن عامر معا .. وقال المتسائلون .. وايه تفسيرك ؟ قلت سعد عامر مريض بالقلب .. قالوا حسن سعداوى مريض أكثر وأكبر بخمسة وعشرين سنة .. ومع ذلك إيه تفسيرك للافراج عن حسن عامر ؟ ولم أجد ما أقوله الا أنه ابن عم المريض ومش معقول يسيبوا المريض يخرج لوحده ! وبقى من شجرة العائلات صهر الدولة حسن حسين ومصطفى عامر وعامر .. وكان حسن حسين ينقد كل المعترضين على الافراج باعتبار أنها أنانية ! وفجأة أفرجوا عن مصطفى وبقى وحده لان عامر كان فى مستشفى المعادى .. وبدأ هو يرفع راية النقد والسخط! ثم أفرج عنه ولم يبق غير عامر .. وكان الجواب العجيب عن السبب هو أنه سيبقى للمساواة بينه وبين زملائه أعضاء مجلس الامة ! ولم يسأل أحد ولماذا لا تساوون الاعضاء بغير الاعضاء ؟ أسئلة عجيبة حينما تكون المسألة سمك فتة ملوخية !!

وفجأة سمحوا بتغميض العين للعساكر بكنس الزنزانات فكانوا يكنسونها جميعا ما عدا زنزانتى ! فباقى الزنزانات اما أن نزلاءها من الضباط أو من الاغنيـاء وأنا كنت لا من هؤلاء ولا هؤلاء بل كنت أفقر جميع المعتقلين ! وقلدت أسلوبا معروفا وهو البلطجة ! اما تكنسوا لى يا أولاد الـ ... والا ح اشكى لاوثانت ! وكنسوها فى الآخر وكفلته لكن زى بعضه ! وأسوأ ما رأيت من الفقر هو استعمال تعبير النساء حينما أستغير (طشت) فلازم أقول علشان النهارده عندى غسيل !

والمعروف أن الطيران كان من أول أسباب الهزيمة .. ولكن رجال الطيران المعتقلين كان لهم الامتياز الاول (مكرر مع شمس) فى المعتقل .. فكان عند صديقى محمود تليفزيون فى زنزانته وأشهى أطعمة كانت تأتى

يوميا من بيوتهم ربما كي تتعذب من الحرمان حينمـا نراها في الاواني الانكسابل تذهب للتسخين على فزن محمد على وما أحسب أن عهده كان فيل مثل هذه الامتيازات العجيبة ٠٠ وكنا نتساءل أنكون نحن المدنيين سبب الهزيمة ؟!!

وكان الفريق جمال عفيفي لا يعرف لماذا قدم للمحاكمة وكان مديرا أو رئيسا للطيران المدني ولم ينقل الى الحربي وفي وظيفة غير مسـئولة الا قبل الحرب بقليل ٠٠ وكان أيضا على منصور وهو ملحق عسكري في سفارتنا في موسكو جاء في أجازة ولا يعرف سبب اعتقاله الا أن أخـاه مصطفى كامل منصور حكم كرة ويعرف المشير ! فأي شيء وأي كلام فقد كان على أيضا له امتياز احضار أكل ومعاملة بينما كان السفير أسماعيل فريد ليس له آى إمتياز !!

وكان اثنان من المخبرين يطهيان الطعام المسلوق لشمس لاصـابته بقرحة ويقومان بخدمة كاملة له غسيل ونظافة وعمل قهوة وشاي وأحدهما (سيد) يحكى له طول الليل ويسليه ونحن غير المتهمين لا يكلمنا أحد وكنا لا نرى شمس الشتاء بينما يجلس هو فوق كرسى بلاج لاخذ حمام شمس ! ولما كان ممنوعا في وقت ما أن يكلم احـــد المعتقلين زميلا له ضبط يتسامر مع على منصور ذات ليلة ٠٠ وفي الصباح تقرر حرماننا جميعا من الجلوس خارج الزنزانات ! ٠٠ونظرت فجأة فرأيت شمس وعلى منصور جالسين وحدهما في الشمس ونحن معاقبين ! وأصابتني نوبة غضب جنونية فأخرجت الكرسى وجلست وأقسمت أني سأحطمه فوق رأس من يعترض !!

وحتى حمزة البسيوني لم يشعر بأي تغيير في حياته في المعتقل٠٠ فهو يقيم في السجن الحربي وهو مديره والآن يقيم في القلعة كمعتقل وكان المخبرون يعدون له الجوزة والشيشة وأهم ما عجبت له هو أن حمزه يمسك النار بيده ويضعها فوق حجر الجوزه ! ويـداعب القطط ويحنو عليها ثم يقف يلقيهـــا بكل عنف في الارض !

ولما قرأ أنهم يحاكمون عليش نائب مدير المخابرات في قضـــية

تعذيب ظهرت عليه علامات جنون ! والعجيب أني كنت أعرف أن حمزه ليس جبانا مع أن القساه عادة من أجبن الجبناء وسألته عن هذه الظاهرة الطارئة فقال لى انه بيستعبط ! لانه يعتقد أنهم يكتبون تقارير عن المعتقلين ! وقلت له ده انت صحيح عبيط ! ولا تقارير ولا أى شيء خاضع للعقل والمنطق ٠٠ وأسألني أنا ؟ علشان انت ماكنتش تعرف غير فى التعذيب ! وأنكر أنه عذب أحدا الا فى ثلاث حالات ٠٠ الحالة الاولى دفن أحياء فى الصحراء زعم (وأعتقد انه كذب) أنهم من الاعداء الجواسيس فقط والحالة الثانية حكاية مصطفى أمين ٠٠ فقد قال له انه لما قيل له ان مصطفى يرفض التوقيع على الاعتراف المطلوب ٠٠ أخذ منهم صورة الاعتراف ٠٠ وذهب للمحقق وقال له عن اذنك آخذ مصطفى بك يشرب معايا فنجان قهوة فى المكتب وأرجعه !!

قال وأجلست مصطفى أمامي وأخرجت المسدس من درج المكتب ووجهته لرأسه وقلت له أنا لم استلمك بايصال ولن أعطيهم ايصالا عن جثتك ! قال وأمليت عليه الاعتراف المطلوب ووقع !

أما الحالة الثالثة فقال انه كان يجمع الاخوان المسلمين فى طابور الصباح ويأمرهم بالدعاء لعبد الناصر والهتاف بحياته ! ويضيف حمزة ٠٠ لكن مانفعش وحبسني وده ذنب الاخوان ! .

ولما سمحوا بالاختلاط جمعونا فى خنادق واحدة أعنى الزنزانات التى فى بدروم المعتقل وكان أجمل ما فيها هو أن أبوابها حديدية فوق الباب الصاج المعتاد فكانت تصور لى خطورة شخصية عدوانية لم تكن لى فى أى يوم من حياتى !

وظهرت (مضار) الحرية خناقات بين بعض المعتقلين وبينى لانهم ينامون مبكرين وأنا أفتح الراديو طول الليل لانى أقوم بالتأليف ! ومهما كان الصوت خافتا فهو يزعجهم لتلف الاعصاب ٠٠ وفى النهار تكون الشكوى منى لانى أحب الحاكم بأمر الله فأنام النهار وأسهر الليل ! وتظهر أيضا فوارق الثراء الفاحش والفقر المدقع الذى أمثله ! فكل شيء وأى شيء يمكن احضاره من الخارج بالفلوس ! والمعتقل لا يخدم نفسه

فى شيء فالخدمة أيضا بالفلوس •• وقال لى أحد الزملاء وهويرانى أتألم من التفرقة فى المعاملة من العساكر والمخبرين معلهش ! قلت له أو عليه! أنا اللى أستاهل ده برضاتى عملت زى أحد السائحين الاتقياء نزل فى فندق سياحى يديره يهودى شاطر ووجد مدير الفندق قيد مائة جنيه زيادة فى الفاتورة •• ساله ليه يا خواجة ؟

أجاب خمسين جنيه ثمن ويسكي ! قال السائح والله ما دقته ! قال المدير كان قدامك حد قال لك ماتشربش ؟ قال والخمسين الثانية ؟أجاب •• أجر الفسحة مع مراتى ! قال السائح أنا يا شيخ كلمتها حرام عليك ! قال له •• حرام عليك انت حد قال لك ماتكلمهاش وماتفسحهاش

وجاءوا بمعتقل بجانبى وقالوا لى انه مجنون ! ولم أصدقهم لانهم رفضوا نقله من جانبى أو نقلى وقالوا لى ان جنونه هادىء ووديع !! وقلت له فى يوم صباح الخير •• فلم يرد فصدقتهم ! ثم اتضح انه ضابط بوليس ومن عائلة كبيرة واسمه (ج) وكان متهما فيما يسمى بالجريمة المستحيلة •• إذ اتهموه بأنه دبر محاولة لخطف عبد الناصر ! •• وضربوه وعذبوه •• وكان سبب عدم رده على أنهم قالوا له أنى من المخابرات ووضعت بجانبه للتجسس عليه !!

وقد رآه وزآنا طلبة الجامعة المعتقلون فى مارس سنة ١٩٦٨ وأذاعوا ما رأوا فعوقب أحد الضباط بنقله وذلك لانه سمح للطلبة بالاختلاط بنا رغم أن التعليمات كانت أن يعاملوا معاملة حسنة جدا خشية القاعدة الكبيرة التى خلفهم •• فلو حبسهم فى الزنزانات يعاقب •• ولما عاملهم كما طلبوا عوقب أيضا !

أما هذه الحكاية فللايجاز اضعها فى هذا الحوار ••

انهم اعتقلوا دفعة سنة ١٩٤٨ فى السجن الحربى ••

فما هى هذه الدفعة ؟ هم الذين تخرجوا فى الكلية الحربية هذا العام !

ولماذا اعتقلوهم ؟ لانهم تخرجوا مع شمس بدران ! وما ذنبهم ؟ ذنبهم هذه المصادفة ! وهل سعدوا بها من قبل ؟ أبدا فلو كانوا سعدوا

لكانوا مثله أو على الاقل محافظين !! اذن ماذا ؟ الحمد لله الذى جعلهم لا يفكرون فى اعتقال مواليد ثمانية واربعين ؟ وأين السجون التى تتسع لهم ؟ بسيطة ٠٠ إيه يعنى نص مليون يبنوا لهم سجون ؟!

وكان معنا أحد خريجى هذه الدفعة واسمه على قناوى وهو مدنى يعمل فى وزارة الثقافة ولم يقابل شمس أو يسلم عليه ٠٠ لسبب بسيط هو إنه لا يعرفه !

قرار الافراج العجيب

اقتحم مخبر وبعض المعتقلين زنزانتى قبل غروب شمس يوم الجمعة ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٦٨ وهم يتصايحون ويحثونى على الاسراع فى الاستيقاظ من نومى وارتداء ملابسى وحسبت أن حريقا شب فى المعتقل ولم أجد فى الامر ما يدعو للانزعاج فليحترق هو والذين بنوه ٠

ولكنهم قالوا إنه صدر قرار بالافراج عن أعضاء مجلس الامة المعتقلين ٠٠ وحسبت انى لن أكون بين المفرج عنهم فهو لم يساوهم بى فى الحراسة فكيف يساوينى بهم فى الافراج ؟

ولكنى لما عرفت أن القرار شملنى عرفت أنه أمر وليس قرارا ! والفرق بين الاثنين أن القرار يسبقه تقديم مذكرات وبيانات وربما تحقيقات كنتيجة لدراسة ما ٠٠ ولكنى كنت أعرف أن هذه الامور يصدر بها أمر نتيجة رغبة أثناء دردشة أو حديث عابر وقد يكون رأيا طارئا فيقول احبسوا فلان واخربوا بيت علان بدون حاجة لبيانات أو مذكرات مثلما يحدث فى بيوتنا لا تحتاج لدراسة حينما تقول اعملوا شاى أو هاتوا قهوة فنحن نملك ما فى بيوتنا وهو يملكنا بحكم القانون الذى وضعه لنفسه ولن يحاسبه أو يناقشه أحد ولا فرق بين أحد وبين البراد والكنكة !

وكنا ستة أعضاء وكان أمر الافراج هذا بسبعة أسماء ! فأين السابع ؟ السابع كان تماما مثل احنا بتوع الاوتوبيس !

فقد كنا خمسة أعضاء من المنيا والسادس لا صلة له بالمنيا ولا بأهلها .. انه فكرى الجزار أحد أعضاء محافظة الغربية وعضو عن الفلاحين وكان متطرفا فى يساريته ويتغزل الشيوعيون فيه .. وقد اعتقل فى نفس التوقيت ونفس المعتقل فكيف لا يمكن استنتاج سبب اعتقاله فهو ليس منياويا ولا رجعيا ولا يساريا ولا يمينيا .. انه هو لا يعرف ولكنه يحاول كل يوم أن يؤلف قصة بطولة لا نصدقها .. وقد أكرمه الله فأصبح مؤذنا لنا وكاد يصبح اماما بعد استقالة اسماعيل فريد لولا سقوطه فى الانتخابات !

أما السابع فهو المرحوم حسن سعداوى وكان عضوا سابقا فى المجلسين السابقين على هذا المجلس المنحوس وقد اعتقل على أنه عضو معنا وكنت أعلل السبب على أنه عندنا كمبيوتر روسى يعطى المعلومات بالمقلوب ! ولما طلب من أمانة المجلس أسماء الاعضاء المطلوب الافراج عنهم كان نائب الامين العام المرحوم محمد حسن مازن وهو منياوى ويعرف قصة هذا الخطأ وكان ذكيا فأعطى اسمه على أنه عضو !

وخرج الزملاء بأفراح نفوسهم وأفراح أهلهم وبلادهم التى عادوا اليها لم يضع منهم شىء غير الايام التى كانت ستضيع سواء كنا فى قصر أو فى الزنزانة وكان شعورى حائرا بين الحزن على فراق هذه الزنزانة التى اعتدتها ولا أشكو منها وفى أيامنا الاخيرة كنا نكون مجموعة من الاصدقاء نعيش معا وسوف لا أجد أحدا فى الخارج يشترك معى فى معيشة واحدة ومشاعر واحدة .. أشتاق أشياء عديدة وستنطفىء الاشواق بعد أيام معدودة .. وتبقى قسوة الحياة كمسئول عن شئون أسرتى ونفسى .. جعلنى عبد الناصر كالعبد الذى يعتق فيبتئس لانه لا يعرف كيف يدير شئون معيشته ! .. وفى الطريق الى بيتى كان يحزننى انى لن أجد كلبى الذى نفق فى مظاهرات مارس ! قتلوه لأنه الوحيد الذى كنت أثق فى وفائه فهو يستحيل أن يتغير أو يتنكر .. كل المخلوقات لها صفات لا تتغير ما عدا الانسان !

وأول ما رأيت كانت قصة ايمان من مئات القصص التى تدل على أن

لنا حواس خفية لم يكتشف سرها الانسان بعد .. فقد كان وكيلى الحاج محمد يزور أبنائى استمرارا لوفائه فهو قريبى ويحاول أن يعرف مصيرى .. وذهب لمسجد السيدة زينب رضى الله عنها وبقى بعد الصلاة فغفا ورأى فى نومه أنى خرجت من المعتقل .. وأسرع يزف البشرى لاسرتى على أنه أمر واقع لا ريب فيه .. وبينما هم يتشككون فى كلامه رأوا التاكسى يقف وأنزل منه !!

وكنت أعرف أن زوجتى فى أشد حالات المرض ولا بد من تدبير مبلغ لدخولها مستشفى خاص .. وكانت حقارة الحياة بلغت منتهاها فدخلت مستشفى عام ولم تطق البقاء فيه ساعة وخرجت تنتظر الموت فى بيتها لعجزها المادى .. بينما نشرت صحيفة عن علاج احدى الراقصات على حساب الدولة فى أوربا !

ولم يكن لى بيت فى بلدى انه مهدم وفوق هذا مغلق بالشمع الاحمر وعينوا له غفيرا يقيد مرتبه دون أن يحرس شيئا على حساب الاسير الذى فى الحراسة ..

ولكن كانت لى بلدى وأهلى وقال لى وكيلى انه سيبرق لهم بالخبر .. سألته لماذا لا يكلمهم فى التليفون فانفرط فى البكاء وقال شالوه للعجز عن دفع اشتراكه .. نزعوا تليفونى وبقيت من غيره حتى الان فى بلد كنت وراء كل طوبة بنيت فيها حتى أحلتها من قرية الى أحدث مدينة فى الصعيد وليس من جيبى بالطبع فلم أرث فورد ولا روكفلر ولكن بجهدى وبتضحياتى .. أبنى للناس وبيتى مهدم بينما يوسف كمال الجديد يغضب ويرد سبع عشرة سيارة ببنزينها وسائقيها وبطارياتها ورخصها وقطع غيارها غير المخصصات التى ينعم بها السيد حاتم صادق مع أسرته ولم تكن لاحد الامراء الملاعين مثل هذه المخصصات ! وعربتى أخذها الجراج ثمن بقائها فيه فلم نستطع اصلاحها ولا بيعها فالبيع والشراء ممنوعان على الخاضعين !

وبعد ساعات من وصول البرقية امتلأت شوارع الدقى بأهل بلدتى

جاءوا وطافوا فى مظاهرة لا يخافون من شىء كما بقيت قريتى وقـــرى مجاورة فى أفراح للصباح ٠٠ وملأ الله نفوس هؤلاء البســـطاء بالحب والوفاء وتحدى الخطب والدجل والشعارات وتكدست النقود فوق مائدة صغيرة فى البيت من الذين جاءوا يدفعون (النقطة) المعتادة التى تناسب قدراتهم لاكرمهم فهى بدل شراء خروف أو ديك رومى أو صفيحة سمن ٠٠ مثل الهداية التى انهالت بعد هذا لتملأ الثلاجة وثلاجات الجيران بكل خيرات الريف ٠٠ ولم يأت مهنىء أو مهنئة بيد فارغة حتى الشاى والسكر من دكاكين البقالين ليكفينا بضعة شهور ٠

وبعد انتهاء حضور المهنئين ونفاد الهدايا اقترح أبنائى أن أعود الى المعتقل مرة أخرى لتتكرر الهدايا والمهنئين ! ٠

وقد ظل وكيلى يعتذر طويلا عن تسببه فى ضياع التليفون الى أن حكيت له هذه القصة فارتاح وهى قصة عرفها عبـــد الناصر فى حينها وبحكاية يطول شرحها ولكن ليس لمثل هذه الاشياء قيمة عنده فى كشف الحسنات والسيئات ٠٠

ففى بداية عام الهزيمة الشؤم وصلنى خطاب من الهيئة الســلكية واللاســلكية باســـمى الثلاثى وعنوانى الكامل بأنها وافقت على تركيب تليفون فى منزلى بالدقى وطلبت ذهابى لكتابة العقـــد ! ولم أكن قدمت طلبا ولا فكرت فيه فعندى تليفـــون من وقت أن كانت التليفونات يتم تركيبها بعد طلبهـــا بثلاثة أيام ٠٠ وكنت عرفت أن بعض زملائى ركبوا تليفونات فى بيوت أبنائهم وبناتهم (وعندى الاســـماء) وبأســـلوب استنكرته واستهجنته وظهرت فى نظر أسرتى بأنى أقل شأنا من هؤلاء وتحملت كل نكت الاصدقاء وسألت المرحوم محمود يونس وزير المواصلات عن سر هذا الخطأ وأعطيت له الخطاب فأعطاه لزميل (عندى أيضا اسمه) كان يلح فى طلب تليفون وأرجو ألا يسخر منى القراء حينما أذكر أن هذا الزميل كان عنده تليفون آخر !! لقد كنت وما زلت أومن بأن النائب الذى يرتكب مثل هذه الاخطاء يعطى اقرارا بأن جميع الذين انتخبوه لصوص وانهم انتخبوا كبير اللصوص !!

وجه المجتمع الذى كان

وكنت مطمئنا على أنى سأعيش ستة أشهر فى حياة الستر الـذى هو لقمة العيش التى تملأ البطون لا التى تشـتهيها النفوس والعيون .. فقد كانت المكافأة البرلمانية شيئا وستين جنيها (والنفقة) أقل منهـا بجنيهات

ولكن فجأة حـل المجلس بقرار كقرار الافراج فلا أذيع أو نشر فى الصحف ولا مدته انتهت فقد كانت تنتهى بصريح النص فى الدستور فى ٢٥ مارس سنة ١٩٦٩ وكان قطع المكافأة لا يعنى قطع نصف الستر بل ضياع الستر كله فنصف الدخل كان للمأوى والنصف الثانى كان للحياة .. ولم يتركنا الله نموت جوعا ولا هما وغما وبدل خوفنا أمنا وأخـيرا سعادة وطمأنينة وتعويضا بسخاء ورخاء !! وكان جهلى بشئون الحراسات قبيحا وأستحق عليه بعض ما ذقت وعذرى أن الحارس نفسـه لا يعرف معظم القرارات !! .. وكان من الطبيعى أن تكون أسرتى أكثر منى جهـلا فقد أرسلت لى زوجتى فى المعتقل قبل أن أعرف بوضعى فى الحراسـة تقول لى أما عن شغلك فالحمد لله عينوا لنا حارس يشوفه لاننا مانعرفش فيه !! ولما لم تصلها فلوس أرسـلت برقية لعبد الناصر بأن الحارس حرامى وتطلب تغييره !! وذهبت لاقابل الحارس واكتشفت أنه صديقى فقد كان وكيلا لنيابة بنى مزار وهو الان الامين العام لمجلس الشـعب ابراهيم الشربينى وطلبت منـه مائة جنيه كقرض لنشر كتاب لى فقال لى وهو يضحك أولا سنأخذ ثمن المباع من الكتاب حتى لو لم يحقق ربحـا وثانيا ليس فى الحراسـة مبدأ القروض لمثل هذه الاغراض ! وقلت له ولكن علمت أن احدى الراقصات خاضعة للحراسة ولا تأخذون منها شيئا أجر هز بطنها فكيف تأخذون أجر عمل العقل وهز الفكر ؟!

وكان الجواب ببساطة لانه ليس فى الحراسة مؤلف وحينما يوضع مؤلف فى الحراسة عليه أن يتقدم بطلب مساواته بالراقصة وسـوف يجاب طلبه !!

وبعد خروجي من المعتقل بقيت في بيتي أتوقع أن يزورني نصف أصدقائي الذين كانت لهم المكانة الاولى في حياتي والذين كنا لا نفترق يوما الا لعذر طارىء لاحدنا .. وكنت كل ليله اسمع خطب عصماء عن الوفاء وعن أسف هؤلاء الاصدقاء على أننا عرفناهم في أيام رخاء لانهم اصدقاء شدة لا رخاء .. ولم أكن ساذجا لاصدق كل هذه الخطب .. ولكن أيضا لم أقطع بكذبها وظننت أنه اذا فقد نصفهم الوفاء فيكون عند النصف الآخر شيء من الحياء !! وكانت نتيجة الامتحان صفرا في الصفتين ..

ومضى عامان وأسبوع مدة حكم عبد الناصر وكأني كنت أعيش في أحد الاديرة لم أشعر بعتاب أو سخط على أحد الاصدقاء .. انه الخوف وقد رأوا الذبائح أمامهم ولهم عذرهم ..

وبعد زوال الخوف خرجت أنا اليهم كي أجنبهم الخجل وعفا الله عما سلف .. ولكن كانت الوجوه ليست هي الوجوه المألوفة .. ولا البسمات على الشفاه المعروفة انها فوق جلد جديد صفراء وبلهاء ..

قابلت مرة واحدا كان في أعلى سلم وظيفي وكان يوقظني كل صباح ليقرأ على في التليفون ما كتبته الصحف عن نادي الزمالك ! وما كنت أرضى عن هذا الابتذال ولا يخفى على هذا النفاق ولكني كنت أجامل وأتحمل كل الناس فهذه احدى ضرائب الحياة العامة ، ووضع يده في يدي ليسلم على وكأنه لا يعرفني وشعرت بيده باردة كأنها يد ميت .. وكان فعلا هو وكل هذه الاشياء التي عرفتها موتى الاحباء ..

وأين يجد الانسان الانسان ؟ في أي وسط ؟ وأي بيئة وأي مكان ؟ هذه حكاية واحد من كبار كبار الاثرياء ومن أقدم وأشهر العائلات أوشك أن يذبح نفسه لاقبل دعوته للعشاء في نادي الصيد دون أن أعرفه ! ووسط صديقا لنا مشتركا وعرف من أين تؤكل الكتف فزعم أنه معجب بأحد مواقفي في مجلس الامة ويريد تكريمي بسبب هذا الموقف الذي صادف هوى شخصيا في نفسه .. وصدقت .. وخطوة خطوة وتمثيلية

وراء تمثيلية أصبح من أصدقائنا الاول ! ٠٠ وفجأة وضعوه فى الحراسة رغم هذه الصداقة ٠٠ ولكى لا يظن الناس أنه مبعد ومكروه أقمت له وليمة عشاء كلفتها أكثر مما أطيق ودعوت لها جميع الاصدقاء الاوائل كى تكون علنية وأتحدى بها هذا القرار الظالم ٠٠وحدثلى ماحدثوخرج هو من من انقاذ صهرين له من الحراسة وحدث لى ما حدث وخرج هو من الحراسة التى لم تصبه فى شىء يذكر .. وخرجت لأبقى سنوات يكاد يغمى على وأنا أشم رائحة الكباب وهو يوالى حفلاته وولائمه ولا يفكر فى أى نوع من السؤال فضلا عن محاولة رد الوليمة ولو بربع كيلو كباب !! وكان هو وصهراه على استعداد تام أن يذبحوا أحدهم لو طلبت !! وآخر للاسف الشديد ينتمى لفئة نظيفة ٠٠ وخدعت فيه وأعجبت لغفلتى به وأوصلته الى منتهى أحلامه بأن كان أيضا من الاصدقاء الاول رغم أن هذه الشلة أعلى من مستواه وأمضيت معه المصيف السابق لاعتقالى فى صداقة عائلية وقابلته مصادفة (وكل هؤلاء بعد زوال الخوف) وقلت له صادقا يا راجل مشتاق عليك وعلى الاولاد كلمنى فى التليفون قال ضرورى حنزورك ٠٠ قلت بلاش أتعبك بس كلمونا ! ومضت سبعة أعوام على وعده ولن يكلمنى أبدا لانه ليس عندى تليفون فقد طلبت نقله وربما تحقق هذا لاحفاد أحفادى ! والداعر الاخير أو هذا الشىء الذى كان آخر ترقية له عن طريقى أنا وصديق آخر ورغم أنه لم يرسل لى حتى مع النسيم سلاما فقد جاملته فى مناسبتين اليمتين ٠٠ ثم مرضت فى مستشفى بجواره مدة شهرين ر.رنى من يراهم كل يوم ٠٠ ولم يفكر فى أى سؤال ٠٠ وقابلنى واستقبلنى بوجه ضاحك كالعاهرات ! انها عينات قليلة من مئات حالات ولم تكن هذه أسوأ الحالات !! فأين الحياء الذى خلقته يا ربى ؟ وأحمدك على أنك أبعدتنى عن الحياة مع هذه الاشياء !

أما أوساط السياسة فللأسف أوشكت صفحات الكتاب على الانتهاء ٠٠ فلا أجد غير هذه الواقعة كعنوان أو مثل لا أصفه وهى أنى دهشت لما قرأت مضبطة مجلس الشعب وأحضرها لى صديق صحفى لأقرأ القانون رقم ٦٩ سنة ١٩٧٤ والمسمى بتيسيرات للخاضعين للحراسة وهى (١) الاعفاء من دفع فوائد الديون الحكومية (٢) اعادة النظر فى قضايا

الضرائب (٣) اعادة العقارات المباعة بغير تسجيل لاصحابها ‥ وجميع الثلاثة أنواع من الظلم أصابتنى ٠ ولكن الصياغة أغفلتنى أنا وأمثالى ‥ ليه ؟ ما أعرفش ‥ ولا أحد يدرى ؟. المهم أنى كتبت لعشرة من أصدقائى القدامى اخترتهم من أقربهم وأفضلهم ‥ وكتبت لهم مشروع تعديل بسيط فى الصياغة ‥ وأعرف آكثر ما يسعد النائب أن يجد من يدله على عمل صالح أو عادل أو نافع يضيفه لتاريخ حياته ‥ كما كتبت لثلاث جهات يهمها أمر هذه المساواة ومنها مكتب المدعى الاشتراكى العام الذى يقرر صراحة فى القرار رقم واحد فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٧٢ بأنه مسئول عن كل خلاف أو نزاع بالنسبة لالغاء الحراسات التى ذكرها القرار ‥

ولم يرد أحد من هؤلاء الاصدقاء ولا أى جهة من هذه الجهات ! وأعتبرت هذا عقابا من الله لانى خالفت الاعتماد عليه فى كل صغيرة وكبيرة ولم أتصل بأحد فى أى شىء حتى تركت كل حقوقى ومنها مصادرة سلاحى فلم أطلبه ‥ ولم أصل الى فهم التوكل والتواكل فى هذا السلوك فالله يقبل التفكير الذى استطاعه عقل عبده ولعنت نفسى ولعنت الفلوس ودفعت هذه الفوائد الظالمة وكانت ستمائة جنيه وقلت فى ستين داهية هى وباقى التيسيرات !.

وكانت كثرة النهايات التى عرفتها للزملاء كالنهايات المعتادة لخريجى المعتقلات والسجون ! فمع الايام والزمان نسوا كل شىء ‥ نسوا العلاقات التى كانت والزمالة فى المحنة وعاد كل واحد الى حياته بلا تبديل أو تغيير ‥ فمن كان أقلع عن الخمر عاد اليها ‥ ومن كان واظب على الصلاة جعلها رمزية ‥ أو انشغل عنها ليعود اليها اذا أمتحن مرة أخرى ‥

وبقى معى أصدقاء المحنة الذين نكبوا باحالتهم الى المعاش ‥ نتزاور ونتسامر ونذكر الاشواق والحنين والانين وكلنا فى الهم شرق ‥ وبعد التصحيح عادوا لوظائفهم ولحقوا بالسابقين !. وبقيت وحدى كما كانت تغنى عفاف راضى لا فى الموانى فتلك مصايف الاذكياء ‥ ولكن كحارس المولد يحرس خرابه بعد أن هدمت الصواوين ‥ وأغلقت المتاجر

الى موسم قادم ٠٠ وربح من ربح وخسر من خسر وانفض السامر !٠
ولكني كنت أسوأ من هذا الحارس فلا أتقاضى أجرا ولا أنتظر مولدا آخر !

ذلك لان ضحايا المبادىء هم الذين يزيدهم الظلم تمسكا بها ٠٠ ولم تكن لنا (مع الاسف وباعتراف أدرك أهميتـــه) مبادىء محددة واضحة نريد تحقيقها الا اذا كان العمل على الاستمرار فى الحكم مبدأ ! فالسلوك النظيف ان كان عند أحـد لم يكن من المبادىء المعلن عنهـا أو الذى يثاب عليه أحد فما البال اذا عوقب من حافظ عليه ؟! وأثيب من تخلوا عنه ؟!! ولو كان لنا مبادىء حقة لجمعنا الشعور بها ولو فى المعتقل ٠٠ فيتعاون المستفيدون مع الضحايا ويقتسمون معا رغيف الخبز الذى كان يطلب فى الخطب أن نكتفى بنصفه وما كان أحد يكتفى بنصــف خروف أو نصف عجل ٠٠ لقد كان من أفدح خسائر النفوس !٠ أن الناس لا يفرقون بين المحسن والمسىء فلم نقل لهم ما هو الاحسان وما هى الاساءة ؟ من الصالح ومن الطالح ؟ كيف نعرفهما ونفرق بينهمـا ٠٠ وبأى المقـاييس نحكم عليهما ؟ ٠ وما الفرق بين من يكسب ويغنم ومن يخسر ويضحى ؟٠ ومن يسف ومن يعف ؟ لا شىء ٠٠ كله عند العرب صابون !

وما كان لى أن أمشى فى زفة ٠٠ أو أقف فى طوابـير زلفى ٠٠ أو انتظر خيرا من غير الله بعد أن ذقت هذا الخير الوفير من النـاس ! وكان يجب ان أوثر النهاية السعيدة على باب الرحمن وفى ساحة الايمان ..وقد كان ٠٠ وكانت نهاية الكتاب ٠٠ وكان فضل الله عظيما ٠

يناير سنة ١٩٧٩

عبد الصمد محمد عبد الصمد

صدر للمؤلف

١ ـ انه الله علما والهاما
يطلب من الناشر العربى ٨ شارع الصحافه
٢ ـ العشاء الاخير
يطلب من المكتبات ومن المؤلف (تحت الطبع ومطلوب ناشر) .
٣ ـ شموع لا تضىء او حقيقة حكم عبد الناصر .
تصحيح مما كتبه الموظفون والمنتفعون عن عبد الناصر
٤ ـ أسرر حكم عبد الناصر .
٥ ـ هيئات وبرلمانات عبد الناصر
النظم السياسية من هيئة التحرير الى الاتحاد الاشتراكى والتنظيم السرى والمجالس النيابية من ١٩٥٧ لنهاية ١٩٦٨
٦ ـ أى كلام !!
حكايات عن القوانين والقرارات العجيبة التى صدرت ايام عبد الناصر
٧ ـ معتقلات وحراسات عبد الناصر .
أسرار وحكايات عن المعتقلات والحراسات
٨ ـ عدالة النساء
حكايات قصيرة عن ديكتاتورية الزوجات والقصد منها سياسى ومنها تمثيلية قصيرة باسم محاكمات عائلية عن المحاكم الاستثنائية .
٩ ـ هالة أو سياسى يحب
قصة طويلة عن الحب والسياسة
١٠ ـ الهام أو طبيب يحب
قصة طويلة عن الحب والالهام
١١ ـ الكورة لعبة سياسية
قصة الخمس سـنوات فى نادى الزمالك واسرار عن الناديين الكبيرين والقصد السياسى من الاهتمام بالكرة
١٢ ـ مصرى فى الجنة .
تصور خيالى عن حياة مشاهير التاريخ فى الآخرة

عنوان المؤلف : عمارة صلاح سالم شارع الربيع الجيزاوى بالجيزة المدخل الغربى شقة ٢٣

تقديم الكتاب والمؤلف

كل ما فى هذا الكتاب من أسرار جديد ، عليك يا عزيزى القارىء

وأكثر ما فيه كنت لن تقرأه ..
وكان التاريخ لن يكتبه

ولا أستطيع تقديم نفسى ولا أريد أن يقدمنى أحد اليك ..

فان كنت لا تعرفنى فانى أذكر لك صلتى بالقصة التى كنت أحد المشتركين فيها من بدايتها لنهايتها وبالاحداث والاسرار التى تقرأها من ١٩٥٧ لنهاية ١٩٦٨ كنت عضوا بمجلس الامة ومن الدائرة بلد المشير ورئيسا للاتحاد القومى لمركز مطاى وسكرتير هذا الاتحاد لمحافظة المنيا ثم رئيسا للمجموعة البرلمانية بها وأحد أمناء الهيئة البرلمانية لمجلس الامة (عن الصعيد)

ونتيجة لهذه القصة فى الزنزانة رقم ١٥ بمعتقل القلعه وفى الحراسة رقم ١٧١٤ هـ !!

أما صدق ما سوف تقرأه وصراحته وما آومله فى قيمته التاريخية فذلك ما أتركه لك وللايام

والتاريخ .. والله ولى التوفيق

عبد الصمد محمد عبد الصمد

رقم الايداع ١٩٧٩/١٦٩٥

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر